

مَعَاهِدُ النَّصِيصِ عَلَى شَوَاهِدِ النَّخِصِ

تأليف

الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي
المتوفى في عام ٩٦٣ من الهجرة

حققه ، وعلق حواشيه ، وصنع فهرسه

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ

مفتش العلوم الدينية والعربية
بالجامع الأزهر والمناهد الدينية

الجزء الثاني

عالم الكتب - بيروت

تمتاز هذه الطبعة بدقة الضبط، وإضافة الشروح والتعليقات

١٣٦٧ هـ — ١٩٤٧ م

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها

مصطفى محمد

جميع حق الطبع محفوظة

شواهد الفن الثاني ، وهو علم البيان

٧٣ - وَكَأَنَّ مُحْمَرَّ الشَّقِيقِ إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَدَّ:
أَعْلَامُ يَاقُوتٍ نُشِيرُ نَ عَلَى رَمَاحٍ مِنْ زَبَرَجَدٍ

علامد التنصيص
الحال

البيتان من الكامل المجزوء المرفل ، ولم أقف على اسم قائلهما ، ورأيت
بعض أهل العصر نسبهما في مصنف له إلى الصنوبري الشاعر .
والشقيق: أراد به شقائق النعمان، وهو النُّورُ المعروف ، ويطلق على الواحد
والجمع ، ومسمى بذلك لحرته تشبيها بشقيقة البرق ، وأضيف إلى النعمان بن المنذر
— وهو آخر ملوك الحيرة — لأنه خرج إلى ظهر الحيرة وقد اعتم نبته ما بين
أصفر وأحمر وأخضر ، وإذا فيه من هذه الشقائق شيء كثير ، فقال: ما أحسنها!
أنجوها ، فكان أول من حماها ، فنسبت إليه .

وكان أبو العَمَيْثَل يقول: النعمان اسم من أسماء الدم ، ولذلك قيل شقائق
النعمان نسبت إلى الدم لحررتها . قال : وقولهم « إنها منسوبة إلى النعمان بن
المنذر » ليس بشيء . قال : وحدثت الأصمعي بهذا فنقله عنى ، انتهى . والذي
قمناه هو الذي ذكره أبواب اللغة .

والشاهد فيهما : التشبيه الخيالي ، وهو المعدوم الذي فرض مجتمعا من أمور
كل واحد منها مما يدرك بالحوس ، فإن الأعلام الياقوتية المنشورة على الرماح
الزبرجدية مما لا يدركه الحس ، إنما يدرك ما هو موجود في المادة حاضر عند
المحرك على هيئة محسوسة مخصوصة ، لكن مادته التي تتركب منها كالأعلام
والياقوت والرماح والزبرجد كل منها محسوس بالبصر .

وقريب من هذا النوع قول بعضهم [من المقتضب] :

كَلْنَا بِاسِطِ الْيَدِ نَحْوَ تَيَلُوفِ رَنْدَى
كَتَابَيْسٍ عَسَجَدٍ قُضِبُهَا مِنْ زَبَرَجَدٍ

ومثله قول أبي الفنائم الحمصي [من مجزوء الكامل] :

خودٌ كَأَنَّ بِنَاتَهَا فِي خُضْرَةِ النَّقْشِ الْمَرْزُوقِ
مِمَّاكَ مِنَ الْبُلُورِ فِي شَبَكٍ تَكُونُ مِنْ زَبْرِجَدٍ

وقد تفتن الشعراء في وصف الشقائق : فما ورد من ذلك قول ابن الرومي أو
الأخطل الأهوازي [من البسيط] :
وهذا الشقائقُ قد أَبْصَرَتْ حُمْرَهَا

مَعَ السَّوَادِ عَلَى قُضْبَاتِهَا الذُّبُلِ
كَأَنَّهَا أَدْمَعٌ قَدْ غَسَلَتْ كَحُلًّا
جَادَتْ بِهَا وَقْفَةً فِي وَجْنَتِي خَجَلٍ
وقول سيدوك الواسطي [من مجزوء الكامل] :

انظر إلى مَقَلِّ الْعَقِيقِ تَضَمَّنَتْ حَقَقَ السَّيِّحِ
مِنْ فَوْقِ قَامَاتٍ حَسَنٍ وَمَا سَمِعَ مِنْ الْعَوْجِ

وقول الخباز البلدي من أبيات [من الوافر] :

إِلَى الرُّوضِ الَّذِي قَدْ أَضْحَكْتُهُ شَايِبُ السَّحَابِ بِالْبَكَاءِ
كَأَنَّ شَقَائِقَ النِّعَانِ فِيهِ ثِيَابٌ قَدْ رَوَيْنَ مِنَ الدِّمَاءِ

وقول ولد القاضي عياض رحمه الله تعالى [من السريع] :

انظر إِلَى الزَّرْعِ وَخَامَاتِهِ نَحَى وَقَدْ وَلَّتْ أَمَامَ الرِّيحِ
كَتَيْبَةٍ خُضَاءٍ مَهْزُومَةٍ شَقَائِقَ النِّعَانِ فِيهَا جِرَاحُ

وقول الخالدي أيضاً [من الوافر] :

وَصِغَ شَقَائِقَ النِّعَانِ بِحَكِي يَوَاقِينَا نُظْمِنَ عَلَى اقْتِرَانِ
وَأَحْيَانًا تُشَبِّهُهَا خَدُودَا كَسَاهَا الرِّيحُ نَوْبًا أَرْجَوَانِي

شَقَائِقُ مِثْلُ أَقْدَاحٍ مِلَاءٍ وَخَشْخَاشٌ كَفَارِغَةِ الْقَنَاقِ
وَمَا غَاظَلَتْنَا الرِّيحُ خِلْنَا بِهَا جَيْشِي وَغَى يَنْقَالَانِ

وقول الصنوبري [من الوافر] :

وجوه شقائق تبدو وتحقق
على قضب تيس بهن ضعفا
تراها كالمذاري مسيلات
عليها من حميم الشعر سيفا
إذا طلمت أرتك الشرح تذكي
وان غربت أرتك السرج تطفأ
نخال إذا هي اعتدلت قواما
زجاجات ملئن الراح صيفا
تتنازع الحدود الحر حسنا
فما قد أخطأت منهن وصفا
وقول ابن الدويبة [من المتقارب] :

كان الشقائق والأفحوان خدود تقبلهن النُفُور
فهايك أخجلهن الحياه وهاتيك أضحكهن الشرور
وقول أبي الحسن بن وكيع من أرجوزة [من الرجز] :

يضحك فيها زهر الشقيق كأنه مدأهن العقيق
مضمنات قطعاً من السيج فأشرقت بين احمرار ودعج
كأنما الحمرة في المسود منه إذا لاح عيون الرُمْدِ

وقول أبي الفضل الميكالي [من الطويل] :

تصوغ لنا أيدي الربيع حدايقاً كعقد عقيق بين سخط لال
وفيهن أنوار الشقائق قد حكت خدود عذارى نطقت بنوآلى

وقول الخبز أرنؤى أيضاً [من المنسرح] :

وروضة راضها الندى فندت لها من الزهر أنجم زهر
تنشر فيها أيدى الربيع لنا ثوبا من الوشي حاكه القطر
كأنما شق من شقائقها على رباها مطارف خضر
ثم تبدت كأنها حدق أجفانها من دمانها حمر

٧٤ - • وَمَسْنُونَةُ زُرْقٍ كَأَنْيَابِ أَعْوَالِ •

هَامِدُ الْقَتَنِيبِ
الرَّمِي

هو من الطويل ، وصدره :

• أَيْقَنْتُكَرَ وَالْمَشْرِقُ مُضَاجِجِي •

وقالته امرؤ القيس الكندي ، من قصيدة (١) أولها :

وَهَلْ يَعْنِي مَنْ كَانَ فِي الْمَصْرِ انْطَالِي	أَلَا عَيْمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالُو
قَلِيلُ هُمُومٍ مَا يَبِيتُ بِأَوْجَالِ (٢)	وَهَلْ يَعْنِي إِلَّا سَعِيدٌ مَحَلُّ
ثَلَاثِينَ شَهْرًا أَوْ ثَلَاثَةَ أَهْوَالِ (٣)	وَهَلْ يَعْنِي مَنْ كَانَ آخِرُ عَهْدِهِ
أَلَحَّ عَلَيْهَا كُلُّ أَسْخَمَ مَطَالِ	دِيَارٍ لَسَلَى عَافِيَاتُ يَذَى انْطَالِ
يُوَادِي انْطِرَافِي أَوْ عَلَى رَأْسِ أَوْعَالِ	وَنَحْسَبُ سَلَى لَا تَزَالُ كَهْدَنَا
كَبُرْتُ وَأَنْ لَا يَشْهَدَ اللَّهُ أَمْثَالِ (٤)	أَلَا زَعَنْتُ بِسَبَاسَةِ الْيَوْمِ أَنِّي
بِأَنْسَةِ كُنَانَهَا خَطُّ نَمْنَالِ	بَلَى رُبَّ يَوْمٍ قَدْ هَوَتْ وَلِيلَتِ
كَمَصْبَاحِ زَيْتٍ فِي قَنَادِيلِ ذَبَالِ	يُضَى الْفَرَّاشِ وَجْهَهَا لَضَجِيمَا
تَمِيلُ عَلَيْهِ هَوْنَةً غَيْرَ مَطَالِ (٥)	إِذَا مَا الضَّجِيعُ أَبْزَاهَا مِنْ نِيَابِهَا
لَمَّا احْتَسَبَا مِنْ لَبَنٍ مَسٍّ وَتَسْهَالِ (٦)	كَدَعَصِ النَّقَا يَمْشِي الْوَلِيدَ أَنْ فَوْقَهُ

(١) انظرها في الديوان (١٣٧)

(٢) في الديوان « قليل المهوم »

(٣) في الديوان « أحدث عهد » وفيه « في ثلاثة أهوال »

(٤) في الديوان « وألا يحسن السر أمثالي »

(٥) في الديوان « غير مجبال » وغير مجبال : أي ليست لفة ولا خليفة

(٦) في الديوان « كحفف النقا » وفيه « بما احتسبا »

إِذَا مَا اسْتَحَبَّتْ كَانَ فَيْضٌ حَمِيمًا عَلَى مَتْنَيْهَا كَالْجَنِّ لَدَى الْجَالِي (١)
تَوَرَّتْهَا مِنْ أَذْرَعَاتِ وَأَهْلِهَا يَتَرَبَّ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَلَى
نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالنَّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تُشَبُّ لِقَمَالِ (٢)
تَمَوَّتْ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سَمَوْتُ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ
فَقَالَتْ سَبَّكَ اللَّهُ إِنَّكَ فَاضِحِي أَلَسْتَ تَرَى السَّمَاءَ وَالنَّاسَ أَحْوَالِ
فَقُلْتُ يَمِينُ اللَّهِ لَا أَنَا بَارِحٌ وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِ (٣)
فَلَا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ وَأَسْمَحَتْ هَصُرْتُ بِفَضْنِ ذِي شِمَارِيخٍ مِيَالِ
فَصَرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقَّ كَلَامُنَا وَرُضْتُ فَذَلْتُ صَبَّةً أَى إِذْلالِ
حَافَتْ لَهَا بِاللَّهِ جَلْفَةً فَاجِرِ لَنَامُوا فَمَا إِنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالِ
فَأَصْبَحْتُ مَعشُوقًا وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا عَلَيْهِ قَتَامٌ كَاسْفُ اللَّوْنِ وَالْبَالِ (٤)
يَغْطُ غَطِيطَ الْبَكْرِ شَدَّ خَنَاقَهُ لِيَقْتُلْنِي وَالْمَسْرُءَ لَيْسَ بِقَتَالِ
وَبَعْدَ الْبَيْتِ ، وَبَعْدَهُ :

وَلَيْسَ بِذِي سَيْفٍ فَيَقْتُلْنِي بِهِ وَلَيْسَ بِذِي رُمْحٍ وَلَيْسَ بِبَيْتَالِ
أَيَقْتُلْنِي وَقَدْ قَطُرْتُ فَوَادِهَا كَمَا قَطَرَ الْمُهْنُوَّةَ الرَّجُلُ الطَّالِي (٥)

- (١) في الأصل « لدى الجالى » بالهاء مهملة، وليس بشيء . وما أثبتناه عن الديوان ، والجالى : صراف الدراهم
(٢) تشب : توقد ، والتقال : جمع قافل من قفل من الغزو والسفر إذا رجع
(٣) في الديوان « يمين الله أروح قاعدا » وهذا هو المحفوظ ، وهو من شواهد النحاة على حذف حرف النفى بعد القسم ، وما في الأصل ضعيف في العربية
(٤) في الديوان « عليه القتام سىء الظن والبال »
(٥) في الديوان :

ليقتلنى أنى شغفت فؤادها كما شغف المهنوءة الرجل الطالى

وَقَدْ عَلِمْتُ سَلَى وَإِنْ كَانَ بَعْلَهَا بَأَنَّ الْفَقَى يَهْدَى وَلَيْسَ بِعَالٍ
وَمَا ذَا عَلَيْهِ إِنْ ذَكَرْتُ أَوْ أُنْسًا كَفَرْلَانِ رَمَلٍ فِي مُحَارِبِ أَقْوَالِ (١)
وهي طويلة .

والمشرفى - بفتح الميم والراء - نسبة إلى مشارف الشام ، وهي قرى من أرض العرب ، تدنو من الريف ، منها السيوف المشرفية . والمسنون : المحدد المصقول ، ووصف النصال بالزرقة للدلالة على صفائها ، وكونها مَجْلُوءَةً ، وأراد بقوله « أنياب أغوال » أى شياطين ، وإنما أراد أن يُهَوَّل . قال أبو نصر : سألت الأصمعى عن الغول ، فقال : همجة من همجة الجن .

والشاهد فيه : التشبيه الوهمى ، وهو الغير المدرك (٢) بإحدى الحواس ، ولكنه بحيث لو أدرك لكان مدركاً بها ، فإن أنياب الغول مما لا يدركه الحس لعدم تحققها ، مع أنها لو أدركت لم تدرك إلا بحس البصر .

وذكرت بأول القصيدة ما حكاه ناشب بن هلال الحزائى الواعظ الهندي - وكان يلقب به لقوله الشعر بديهاً - قال : قصت دُيَّار بكر متكسباً بالوعظ ، فلما نزلت قلعة ما بردين دعانى بها صاحبها تمر داس بن المغان بن أرتق للإفطار عنده فى شهر رمضان ، فحضرت إليه ، فلم يرفع مجلسى ولم يكرمنى ، وقال بعد الإفطار لغلّام عنده : إئتنا بكتاب ، فجاء به ، فقال له : ادفه إلى الشيخ ليقرأ فيه ، فأزاد غيظى لذلك ، وفتحت الكتاب ، فإذا هو ديوان امرئ القيس ؛ وإذا أول ما فيه :

أَلَا عِمٌ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِى وَهَلْ يَمِنُ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِى

(١) الأقوال : جمع قيل ، وهو من بلى الملك من ملوك حمير
(٢) من حق الاستعمال العربى أن يقال « غير المدرك بإحدى الحواس »

صَلَّتْ فِي غُصْنٍ : أَنَا ضَيْفٌ وَغَرِيبٌ ؛ وَأَسْتَفْتِحُ مَا أَقْرَأَهُ عَلَى سُلْطَانٍ كَبِيرٍ
وَقَدْ مَضَى هَزِيعٌ مِنَ اللَّيْلِ أَلَا عِمٌّ صَبَاحًا ، صَلَّتْ :
أَلَا عِمٌّ مَسَاءً أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَالِي . وَلَا زَلَّتْ فِي عَزِيمٍ وَإِقْبَالٍ
نَمْ أَتَمَمْتَ الْقَصِيدَةَ ، فَهَلْ لَمْ وَجْهَ السُّلْطَانِ لَذَلِكَ ، وَرَفَعَ مَجْلِسِي ، وَأَدْنَانِي
إِلَيْهِ ، وَكُنْ فَلَكَ سَبَبٌ حَظُّونِي عِنْدَهُ .

* * *

٧٥ - وَكَانَ النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهَا سُنَنَ لَاحَ بَيْنَهُنَّ أَبْتِدَاعُ

عَامِدَاتُ
التَّخْيِيلِ

الْبَيْتِ لِقَاضَى التَّنَوُّخِ ، مِنْ أَيْتَاتٍ مِنَ الْخَفِيفِ ، أَوَّلَهَا (١) :

رُبَّ لَيْلٍ قَطَعْتُهُ بِصُدُودٍ أَوْفَاقٍ مَا كَانَ فِيهِ وَدَاعُ
وَحْشٍ كَالْقَلِيلِ تَقْدَى بِهِ الْعَيْسُنُ وَتَأْتِي حَدِيثُهُ الْإِسْمَاعُ

وَبَعْدَهُ الْبَيْتُ ، وَبَعْدَهُ :

مُشْرِقَاتُ كَأَنَّهُنَّ حِجَابُ تَقَطَّعُ الْخُفْمَ وَالْغَلَامَ انْقِطَاعُ
وَكَانَ السَّمَاءُ خَيْمَةً وَثَنِي وَكَانَ الْجُوزَاءُ فِيهَا شِرَاعُ

وَالْهَجَى : جَمْعُ دُجْيَةٍ ، وَهِيَ الظُّلْمَةُ ، وَالضَّمِيرُ رَاجِعٌ إِلَى اللَّيَالِي أَوِ النُّجُومِ ،
وَالْإِبْتِدَاعُ : الْخَبْرُ فِي الدِّينِ بَعْدَ الْكَمَلِ ، أَوْ مَا اسْتَبَدَّ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْأَعْمَالِ .

وَالشَّاهِدُ فِيهِ : التَّشْبِيهُ التَّخْيِيلِي ، وَهُوَ أَنْ لَا يُوْجَدُ فِي أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ أَوْ فِي
كِلَيْهِمَا إِلَّا عَلَى سَبِيلِ التَّخْيِيلِ وَالتَّأْوِيلِ ، وَوَجْهُهُ فِي هَذَا الْبَيْتِ هُوَ : الْمِثْلَةُ

(١) أَقْرَأَهَا فِي يَتِيمَةِ الدَّهْرِ لِاتِّعَالِي (٢ - ٣٣١ بِتَحْقِيقِنَا) وَفِيهَا بَيْتٌ
سَادِسٌ ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

كَانَ لَيْلًا فَصِيرَتُهُ نَهَارًا كَتَبَ تَكَبَّتِ الْعَدَى وَرَقَاعَ

الخالصة من حصول أشياء مُشرقة يبيض في جوانب شيء مظلم أسود ، فذلك الهيئة غير موجودة في المشبه به إلا على طريق التخيل ، وذلك أنه لما كانت البدعة وكل ما هو جهل فجعل صاحبها كمن يمشي في الظلمة فلا يبتدىء للطريق ولا يأمن أن ينال مكروها شبهت بالظلمة ، ولزم بطريق العكس أن تشبه السنة وكل ما هو علم بالنور ، لأن السنة والعلم تقابل البدعة والجهل ، كما أن النور يقابل الظلمة .

ترجمة القاضي
التنوخى

والقاضى ^(١) التنوخى : هو على بن محمد بن داود ، أبو القاسم التنوخى ، قدم بغداد ، وتمع على مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى ، وكان حافظاً للشعر ، ذكياً وله عروض بديع ، وولى القضاء بعمدة بلدان ، وهو والده أبى على المحسن ^(٢) التنوخى صاحب «نشوار المحاضرة» وكتب «الفرج بعد الشدة» وغيرها . وكان أبو القاسم هنا بصيراً بعلم النجوم ، قرأ على الكسائى المنجم ، ويقال : إنه كان يقوم بشرة علوم ، وكان يحفظ للطائيين سبعائة قصيدة ومقطوعة ، سوى ما يحفظ لتعريم من الحديين وغيرهم ، وكان يحفظ من النحو واللغة شيئاً كثيراً ، وكان فى التمه والقراض والشروط غاية ، واشتهر بالكلام والمنطق والهندسة ، وكان فى الهيئة قدوة .

وقال الثعالبى فى حقه رحمه الله تعالى : هو كما قرأته فى فصل للصاحب ^(٣) إن أردت فانى سبعة ناسك ، أو أحببت فانى تفاحة فاك ، أو اقترحت فانى مدرة راهب ، أو آثرت فانى نخبة شارب .

وكان الوزير المهلبى وغيره من وزراء العراق يميلون إليه جداً ، ويتمصبون له ، ويُمدُّونه ريحانة الندماء وتاريخ ^(٤) الظرفاء ، ويماشرون منمن تطيب عشرته

(١) له ترجمة فى يتيمة الدهر للثعالبى (٢ - ٣٣٥ - ٣٤٥ بتحقيقنا)

(٢) فى الأصول « أبى على الحسن » محرفاً ، ولأبى على ترجمة فى اليتيمة تلو ترجمة والده

(٣) يزيد الصاحب بن عباد

(٤) كذا فى الأصول ونسخ اليتيمة ، وأحسبه محرفاً عن « ونارنج الظرفاء »

وتلین قشرته ، وتكرم أخلاقه [وتمنن أخباره] ^(١) ، وتسیر أشعاره [ناظمة] ^(٢)
حاشیق البر والبحر ، وناحیتی الشرق والغرب .

ويحكى أنه كان من جملة القضاة الذين ينادون الوزير المهلبى ويحتمعون
عنده فى الأسبوع ليلتين على أطراح الحشمة والتبسط فى القصف والخلاعة ، وم
ابن قريعة وابن معروف والأينجى وغيرهم ، ومامنهم إلا أبيض اللحية طويلها
وكذا كان المهلبى ، فاذا تكامل الأنس ، وطاب المجلس ، ولد السماع ، وأخذ
الطرب منهم مأخذه ، وهبوا أثواب الوار للعقار ، وتقلبوا ٣ ، أعطاف العيش ،
بين الخفة والطيش ، ووضع فى يد كل منهم طاس من ذهب ألف مثقال مملو
شراباً قطر بلبل أو عكبريا ، فيغمس لميته فيه بل ينقعها حتى تتشرب أكثره
ثم يرش بها بعضهم على بعض ، ويرقصون بأجمعهم ، وعليهم المصبغات ومخاق
البرم ، وإياهم عنى السرى الرفاء بقوله [من المنسرح] :

تجالسُ ترقصُ القضاةُ بها	إذا انتشوا فى مخانيقِ البرم
وصاحبٌ يخلطُ المحونَ لنا	بشيمة حلوة من الشم
تخضبُ بالراح شيبه عبنا	أناملٌ مثل حمرة العنم
حتى تحالَ العيونُ شيبته	شيبة عثمان صُرجت بدم

فاذا أصبحوا عادوا لمعادتهم من التزام التوقر والتحفظ بأبهة القضاة وحشمة
الشايع الكبراء .

وكان له غلام يؤثره على غيره من غلمانه يسمى نسبا ، فكتب إلى القاضى
التنوخى بعض أصحابه [من الرمل] :

هل على لامة مدغمة
لاضطرار الوزن فى ميم نسيم؟

فوقع تحته ، نعم ، ولم لا؟!

وقال منصور الخالدي : كنت ذات ليلة عند التنوخي في ضيافة ، فأغنى
إغفاءة فخرج منه ريح ، فضحك بعض القوم ، فانتبه بضحكه وقال : لعل ريحاً ،
فسكرنا من هيبته ، فكث ساعة ثم قال : [من الطويل] :

إذ نامت العينان من مُتَيْقَظٍ تراخت بلاشك تشاريحُ ففتحته
فن كان ذا عقلٍ فيعذر نائمًا ومن كان ذا جهل ففي جوفٍ لحينه
وهذه نبذة من شعره .

قال من قصيدة كثيرة العيون ، وكان الصاحب بن عباد يفضلها على سائر
شعره [ويرى أنها من أمهات قلائده ^(١)] وهي [من الكامل] :

أحِبُّ إلىَّ نَهرَ مَمَلٍ الذي فيه لِقَلْبِي من هُمومي مَعْبُلٌ
عَذَبٌ إِذا ما عَبَّ مِنْهُ ناهِلٌ فكأنه من ريق حِبِّ يَنْهَلُ ^(٢)
مَنْسَلٌ وكأنه لَصَفَاءه دَمْعٌ يَجْدِي كاعْبٍ يَتَسَلُّ
وَإِذا الرِّياحُ جَرَيْنَ فوق مَتونِه فكأنه دَرْعٌ جَلاها صَيْقُلُ ^(٣)
وَكانَ دَجَلَةً إِذْ تَغْطِطُ مَوْجُها مَلِكٌ يُعْظَمُ خِيفَةً وَيَجِلُ
وَكانَها ياقوتَةٌ أو أُعِينَ زَرْقٌ يَلْأَمُ بَيْنَها وَيُوصِلُ ^(٤)

(١) الزيادة عن يتيمة الدهر فإن هذه الترجمة نقلت بمخذافيرها عنها ، وإن
لم تكن مساقها على ترتيبها هناك

(٢) في اليتيمة « إذا ما عب فيه »

(٣) في الأصل « فكأنها درع » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة ،
والضير يعود إلى النهر وهو مذكر ، وفي اليتيمة « علاها صيقل » وأراها
معرفة عما هنا

(٤) في اليتيمة « وكأنها ياقوتة » ولكل منها وجه ، فإن الضير هنا
يجوز أن يعود إلى النهر ، وإلى دجلة ونظما مؤنث

عذبت ف نرى أماء ملؤها عند المناقة أم رحيق سئل
وطأ بجزر بعد جزر فاهير جيشان يذبرا وهنا يقبل
وإذا نظرت إلى الأبنية خلفها من جنة الفردوس حين تحيل
كم منزل في نهرها آني السرو ربه في غيره لا يقبل
وكانت تلك القصور عرائس والروض حلّى في فيه رزق
غنت قيل الزرق في أرجلها هزجا قبل له التقليل الأول
وصاحت تلك النصوص فأذكرت يوم الوداع وعيرهم ترحل
ربيع الزرع بها فحابت كفه حللا بها عقد الموم تحل
فنبج وموشع ومدبر ومعد وعبر ومهلل
فخلل فاعينا وفاترا وفا حدا يفض مرة وقبل
ومن شعره أيضا قوله [من السريع] :

كانما المريح والمشرى أمله في شليخ الرّفه (١)
منصرف بليل عن دعوة قد أوقدت قمامه شمه (٢)

ومثله قول أبي عتيق السفر [من الرمل] :

وكان البدر والمرّيح إذ وافى إليه
ملك توقد ليلاً شخمة بين يديه

رجع إلى شعر القاضي التنوخي رحمه الله ، قال [من الطويل] :

(١) في البيّنة « قمامه » في مكان « أماء » وكذا في كتب البيان ، وفي
التلخيص فيما يأتي

(٢) في البيّنة « قد أخرجوا » في مكان « قد أوقدت »

وبينة مشتق كاذب فيجوماً قد اغتصبت عيني الكرى فهي تؤم^(١)
 كين سواد البيل والفجر ضلوك يلوح ويخفى أسود يتبسّم
 وبه أيضاً في غوز الكواكب عند الصباح [من البسيط]:
 عهدي بها وضياء الصبح يطفئها كالشرح تطفأ أو كالعين العور
 عجب بها حين واني وهي تيرة فظلاً يطمس منها النور بالنور
 وكتب إلى الوزير المهلب، وقد منعه المطر من خيمته [من الطويل]:
 سحب أنى كالأم بعد تخوف له في الترى قل الشفاء يندفع
 كعب على الآلق إطراق مطوق يفكر أو كالنديم المتلف^(٢)
 ومد جناحه على الأرض جانحاً فراح عليها كالتراب المرفرف
 غدا البريج آخراً وانتهى الضحى بظلمته في نوب ليل مسج
 يمس عن برقي به متبسّم عبوس بخيل في تبسم مفتى
 تحاول منه الشمس في الجو مخرجاً كاحاول الملووب نجريد مرهف

أبن هنا من قول ابن المعتز رحمه الله [من الوافر]:
 نحاول فتق غيم وهو ياني كعنين يريد نكلح بكر

فأفرغ ماء قال وارد حوضه أسل مال أم سلاة قره^(٣)

-
- (١) في البينة «وهي قوم» وبين البيتين في البينة بيت آخر، وهو
 كان عبود الساهر يطلها إذا شخصت لأنجم الزهر أنجم
 (٢) في الأصل «أو كالنائم المتلف» وما أثبتناه موافق لما في البينة
 (٣) في البينة «فأفرغ ماء»

أَتَى رَحْمَةً لِلنَّاسِ غَدِيرِي ، فَإِنَّهُ عَلَى عَذَابٍ مِثْلِهِ مِنْ تَكْثُفِ
 سَحَابٍ عَدَّ ابْنِي عَنْ سَحَابٍ ، وَعَارَضُ مُنَعْتُ بِهِ مِنْ عَارِضٍ مُتَكَفِّفٍ
 أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ لِحَمْدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزُّبَايَ [مِنْ الْخَفِيفِ] :
 لَسْتُ أُدْرِي مَاذَا أَذَمُّ وَأَشْكُو مِنْ سَمَاءٍ تَعُوقُنِي عَنْ سَمَاءٍ
 وَمِنْ شَعْرِ الْقَاضِي التَّنَوُّخِيِّ أَيْضاً^(١) [مِنْ الْبَسِيطِ] :

أَمَّا تَرَى الْبَرْدَ قَدْ وَافَتْ عَسَاكِرُهُ وَعَسْكَرَ الْحَرِّ كَيْفَ انْصَاعَ مُنْطَلِقًا
 فَالْأَرْضَ تَحْتَ ضَرْبِ الثَّلَجِ تَحْسِبُهَا قَدْ أَلْبَسَتْ حُبُكًا أَوْ غُشِيَتْ وَرَقًا
 فَاتْرُضْ بِنَارٍ إِلَى فَحْمٍ كَأَنَّهُمَا فِي الْعَيْنِ ظِلٌّ وَإِنْصَافٌ قَدْ اتَّفَقَا
 جَاءَتْ وَنَحْنُ نَكْفُلُ الصَّبَّ حِينَ سَلَا بَرْدًا فَصَرْنَا كَقَلْبِ الصَّبِّ إِذْ عَشَقَا
 وَمِنْهُ أَيْضاً^(٢) [مِنْ الطَّوِيلِ] :

رِضَاكَ شَبَابٌ لَا يَلِيهِ مَشِيبٌ وَسَخَطُكَ دَاءٌ لَيْسَ مِنْهُ طِبِيبٌ
 كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ النَّفْسِ مُرَكَّبٌ فَأَنْتَ إِلَى كُلِّ النَّفْسِ حَبِيبٌ
 وَلَهُ فِي مُعَذَّرٍ [مِنْ السَّرِيعِ] :

قُلْتُ لِأَصْحَابِي وَقَدْ مَرَّ بِي مِنْتَقِبًا بَعْدَ الضِّيَاءِ بِالظُّلُمِ
 بِاللهِ يَا أَهْلَ وَدَادِي قُفُّوا كَيْ تَبْصُرُوا كَيْفَ زَوَالُ النِّعَمِ

وَحِجَاسُهُ رَحِمَهُ اللهُ كَثِيرَةٌ ، وَهَذَا الْأَمْثُودُجُ كَافٍ فِيهَا . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ
 اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِينَ

(١) أَنشَدَ الشَّيْخُ عَبْدِ الْقَاهِرِ هَذِهِ الْآيَاتِ الْأَرْبَعَةَ فِي أَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ
 (٢٠٠ طَبْعَةٌ ثَالِثَةٌ)

(٢) قَالَ الشُّعَالِيُّ قَبْلَ إِشْدَادِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ : « وَمَا أَنشَدْتُ لَهُ وَلَمْ أَجِدْهُ
 فِي دِيْوَانِهِ »

٧٦ - وقد لآح في الصبح الثرى بالمن رأى كمنقود ملاحية حين نوراً (١) شاهد للركب الحسى البيت لأبى القيس (٢) بن الأسلت ، من الطويل .

والملاحى - بضم الميم وتخفيف اللام ، وقد تشدد - عنب أبيض فى حب طول . ومعنى نور : تفتح نوره . والثريا : مصفرة ، قيل : تصغير لعظيم ، وقيل : تصغير تقريب إعلاماً بأن نجومها قريب بعضها من بعض ، ومكبرها ثروى ، وهى الكثرة . وسميت هذه النجوم المجتمعة بالثريا لكثرة نورها ، وقيل : لكثرة نجومها مع صغر مرآها ، فكأنها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق الحبل . وعدد نجومها سبعة أنجم : ستة ظاهرة ، وواحد خفى تختبر به الناس أبصارهم ، وذكر القاضى عياض رحمه الله تعالى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يراها أحد عشر نجماً .

والشاهد فيه : المركب الحسى فى التشبيه الذى طرأه مفردان ، الحاصل من الهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض الصغار المقادير فى الرأى وإن كانت كباراً فى الواقع على السكيفية المخصوصة منضمة إلى المقدار الخصوص ، والمراد بالسكيفية المخصوصة أنها لا مجتمعة اجتماع النضام والتلاصق ، ولا هى شديدة الافتراق ، بل لها كيفية مخصوصة من التقارب والتباعد على نسبة قريبة مما نجد فى رأى العين بين تلك الأنجم . والطرفان المفردان هما : الثريا ، والعنقود .

ومما جاء فى وصف الثريا أيضاً قول امرئ القيس [من الطويل] :
إذا ما الثرى فى السماء تمررت
تعرض أثناء الوشاح المفصل

آيات فى وصف
الثريا

(١) المحفوظ فى هذا البيت * وقد لآح فى الصبح الثريا كما ترى *
(٢) أنشده الشيخ عبد القاهر فى أسرار البلاغة (٧٥) ونسبه إلى قيس بن الخطيم ، ولبس بشيء

وقد أبدعَ المتأخرون في وصفها : فمن ذلك قول ابن المعتز^(١) [من المنسرح] :

فَدِ انْقَضَتْ دَوْلَةُ الصَّيَامِ وَقَدْ بَشَّرَ سُقْمُ الْهَلَالِ بِالْعِيدِ
يَتَلَوُ الثَّرِيَاءُ كَفَاغِرَ شَرِّهِ يَفْتَحُ فَاهُ لَا كُلَّ عُنُقُودِ
ومثله قوله أيضاً [من الخفيف] :

زَا رَأَى وَالِدُجِي أَحْمُ الْحَوَاشِي وَالثَّرِيَاءُ فِي الْغَرْبِ كَالْعُنُقُودِ
وَهَالِكُ السَّاءِ طَوْقُ عَرُوسٍ بَاتَ يُجَلِّي عَلَى غَلَاثِلِ سُودِ
وقول ابن بابك [من مجزوء الرجز] :

وَلَيْلَةٍ جَوْرًاؤُهَا مِثْلُ الْخِيَاءِ الْمُنْتَهَكِ
قَطَعْتُهَا وَالدَّرُ عَنْ تَمَتَّتِ الثَّرِيَاءُ مُنْفَرَكِ
كَأَنَّهَا فِي عُرْضِهِ بَارِزٌ عَلَى كَفِّ مَلَكِ

وقول سهل بن المرزبان [من الكامل] :

كَمْ لَيْلَةٍ أُحْيَيْتَهَا وَمُؤَانَسَى طُرْفُ الْحَدِيثِ وَطَيْبُ حَثِّ الْأَكُوسِ^(٢)
شَبَّهْتُ بَدْرَ سَاهِئِهَا لَمَّا دَنَتْ مِنْهُ الثَّرِيَاءُ فِي قَيْصِ سِنْدُسِي
مَلِكًا مَهِيئًا قَاعِدًا فِي رَوْضَةٍ حَيَّاهُ بَعْضُ الزَّاثِرِينَ بِنَرْجَسِ
ومثله قول ابن المعتز أيضاً [من الطويل] :

أَتَانِي وَالْإِصْبَاحُ يُرْفَلُ فِي الدُّجَى بِصَفْرَاءَ لَمْ تَفْسُدْ بِطَبِخٍ وَإِحْرَاقِ

(١) أنشدها الشيخ عبد القاهر في أسرار البلاغة (٧٦ الطبعة الثالثة)

(٢) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هامش النسخة مانصه « قوله حث الأاكوس هكذا في النسخ ، ومعناه شربها ، ولم أجده بهذا المعنى في القاموس ، فلعله محرف عن حسو ، فقدر » اهـ

فناولَنيها والثرىا كأنها جنى نرجس حيا الندامى به الباقى
ومثله قول الناشئ الأصغر [من الطويل] :

وليل توارى النجم من طول مُكنه كما ازورَّ محبوبٌ خلوف رقيه
كانَ الثرىا فيه باقة نرجس يُحىي بها ذو صبوةٍ لحبيبه
وقول أبى الفرج البغواء من أبيات [من المنسرح] :

نرى الثرىا والبدر فى قرْنٍ كما يُحيا بنرجس ملكُ
وقول الوزير أبى العباس الضبي [من مجزوء الرجز] :

خلتُ الثرىا إذ بدت طالعةً فى الحديس

مرسلةً من لؤلؤٍ أو باقةً من نرجس

وقوله أيضاً [من مجزوء الرجز] :

إذا الثرىا اعترضت عند طلوع الفجر

حسبتُها لامعةً سبيكةً من دُرٍّ

وفنيس قولُ ابن حمديس أيضاً من قصيدة [من الرمل] :

فاسقنى عن إذن سلطانِ الهوى ليس يشفى الرُوح إلا كاسُ راح

وانتظر للحلم منى كَرَّةٍ كم فساد كانَ عقباه صلاح

فالقَضيبُ اهتزَّ والبدرُ بدا والكثيبُ ارتجَّ والعنبرُ فاح

والثرىا زجيجُ الجوبها كابن ماء ضمَّ للوكْرِ جناح

وكانَ القربُ منها ناشقٌ باقةً من ياعمين أو افاح

وقول الصاحب بن عباد [من الطويل] :

تُنيرُ الثرىا وهى قرطٌ مُسكَلٌ ويُعقلُ منها الطرفُ دُرٌّ مُبدد

وما أطفِ قول ابن حصن [من المقتضب] :

عَلَى أَنْ أَتَذَلَّلَ لَهُ وَأَنْ يَتَذَلَّلَ
خَذَ كَانَ الثَرِيَا عَلَيْهِ قُرْطٌ مُسْلَسِلٌ

وقول أبي الفرج البغواء [من البسيط] :

خَفُوا مِنَ الْعَيْشِ فَلَا عِمَارَ فَانِيَةً والدهرُ مَنْصَرِفٌ وَالْعَيْشُ مَنْقَرَضٌ
فِي حَامِلِ الْكَأْسِ مِنْ بَدْرِ الدَّجَى خَلْفَ وَفِي الْمَدَامَةِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى عِوَضُ
كَأَنَّ نَجْمِ الثَّرِيَا كَفُّ ذِي كَرَمٍ مَبْسُوطَةٌ لِلْعَطَايَا لَيْسَ تَنْقَبِضُ

وقول ابن سكرة الهاشمي [من المنسرح] :

تَرَى الثَّرِيَا وَالْغَرْبُ يُجَذِّبُهَا وَالْبَدْرُ يَسْرِى وَالْفَجْرُ يَنْفَجِرُ
كَفَّ عُرُوسَ لِحَاتِ خَوَاتِمِهَا أَوْ عَقَدَ دُرِّي فِي الْجَوْ يَنْتَثِرُ

ومثله قول أبي القاسم علي بن جلبات [من الطويل] :

وَحَلَّتْ الثَّرِيَا كَفَّ عَذْرَاءَ طَلْعَةٍ مَحْتَمَّةٍ بِالْأَدْرِ مِنْهَا الْإِنَامِلُ
تَحْيَلُنَهَا فِي الْأَفْقِ طَرَّةَ جَبَّةٍ مُكْوَكَّةٍ لَمْ تَعْتَلِقْهَا حَبَائِلُ

وقول أبي القاسم بن هانيء الأندلسي [من الطويل] :

وَوَلَّتْ نَجُومٌ لِلثَّرِيَا كَأَنَّهَا خَوَاتِمُ تَبْدُو فِي بَنَانٍ يَدْتَحِفُ

وما أحسن قول محبي الدين بن عبد الظاهر [من الطويل] :

مَلَأَتْ اللَّيَالِي مِنْ عَلَاءٍ وَخَتَمَتْهَا فَقَدْ أَصْبَحَتْ مُحْشُوَّةً مِنْ مَكَارِكِ
خَتَمَتْ عَلَيْهَا بِالْثَّرِيَا قُلُّ لَنَا أَهَذَا الَّذِي فِي كَفِّهَا مِنْ خَوَاتِمِ

وقد أحسن الصنوبري في تشبيهه الثريا في جميع أحوالها حيث يقول من

أبيات [من المنسرح] :

فَمُ فَاسَقَى وَالظَّلَامُ مُنْهَزِمٌ وَالصُّبْحُ بَادٍ كَأَنَّهُ عِلْمٌ
وَالطَّيْرُ قَدْ طَرَبَتْ فَأَفْصَحَتْ أَلَا لِحَانَ طَرًّا وَكُلَّهَا عَجَمٌ

وَمَيَّلَتْ رَأْسَهَا الثَرِيَا لَاسِرَارٍ إِلَى الثَّرْبِ وَهِيَ تَحْتَشِمُ
 فِي الشَّرْقِ كَأَسْ فِي مَغَارِبِهَا قُرْطٌ وَفِي أَوْسَطِ السَّمَاءِ قَدَمٌ
 وَقَدْ وَصَفَهَا الْوَأَوَاءُ الدَّمَشْقِيُّ فِي حَالَتِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ فَقَالَ
 [من مجزوء الرمل] :

قَدْ تَأَمَّلْتُ الثَرِيَا فِي شُرُوقٍ وَغُرُوبٍ
 فَهِيَ كَأَسْ فِي شُرُوقٍ وَهِيَ قُرْطٌ فِي غُرُوبٍ
 وَمَا أَبْدَعَ قَوْلَ بَعْضِهِمْ أَيْضاً [من مجزوء الكامل] :
 وَكَأَنَّمَا نَجْمُ الثَرِيَا إِذْ بَعَرَّضَ كَالْوِشَاحِ
 كَأَسْ بِكَفِّ خَرِيدَةٍ تَسْقَى الْمَسَاءَ بَيْدَ الصَّبَاحِ
 وَقَوْلُ الْوَأَوَاءِ الدَّمَشْقِيِّ [من مجزوء الكامل] :

وَجَلَا الثَرِيَا فِي مَلَأَةٍ نُورِهِ بِدُرِّ الْقَلَمِ
 فَكَأَنَّمَا كَأَسٌ لَيْشَ سَرَبِهَا الدَّبَجِ وَالْبَدْرِ جَامِ
 وَكَأَن زُرْقَ نَجُومِهَا حَقَّقَ مُفْتَحَةَ نِيَامِ
 وَبَدِيعُ قَوْلِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْأَزْدِيِّ الْمَشْهُورِ بِالْمُتَقَالِ [من مخلع البسيط]

يَأْسَاقِي الْكَأَسَ اسْقِ صَحْبِي وَأَسْقِنِي إِنِّي أَوَايِي
 وَانْظُرْ إِلَى حَيِّثُ الثَرِيَا وَاللَّيْلُ قَدْ سُدَّ بِأَنْدَامِ
 مَا بَيْنَ بَهْرَامِهَا الْمُلَاحِي وَبَيْنَ مَرَّيْجِهَا الْمَوَايِي
 كَأَنَّمَا رَاحَةٌ أَشَارَتْ لِأَخَذِ تَفَاحَةٍ وَكَأَسِ

وَقَوْلُهُ أَيْضاً [من مخلع البسيط]

رَأَيْتُ بَهْرَامَ وَالثَرِيَا وَالْمُشْتَرَى فِي الْقِرَانِ كَرَّةً
 كَرَاخَةً حَبِثَتْ يَدَاهَا مَا بَيْنَ يَاقُوتَةٍ وَدُرَّةً

قال عبد الوهاب المذكور هذين البيتين لما أنشده ابن رشيق قوله
[من الخفيف]:

والثريا قُبالةُ البدر تحكى باسطاً كفه ليأخذَ جاما
وللأواءِ الدمشقي [من الخفيف]:

رُبَّ ليلٍ مازلتُ ألتم فيه قرأاً لابساً غلالةً ورد
والثريا كأنها كفتُ خوذ داخلتها للبين رعدةً وجد
ومثله قول بعضهم [من الطويل]:

كان الثريا بين شرقي ومغرب وقد سلمت للصبح طوعاً عيناها
مُرّوعة بالبين نحو ألفيها تقلّب من خوف الفراق بناتها
وقول الآخر [من الكامل]:

والليل قد وليّ يقلصُ برده كذا ويسحب ذيله في المغرب
وكأنما نجم الثريا سحرة كف تمشح عن معاطف أشهب
ولأبراهيم بن العباس الصولي في اقتران الثريا والهلal [من البسيط]:

وليلة من ليالى الأانس بت بها والروض ما بين منظوم ومنضود
والنسر قد حام في الظلماء من ظلا وللمجرة نهر غير موزود
وابن الغزال في النجم منعطف كما تأوّد عرجون بعنقود

ولأبي عاصم البصري في اقتران الهلال والثريا والزهرة [من المتقارب]:

رأيتُ الهلال وقد أهدقته نجوم السماء لكي تسبقه
فشيئته وهو في إثرها وبينهما الزهرة المشرقة
يقوس رامى طائراً فأتبع في إثره بُندقة

ولأبي الحسن الكرخي في مثله [من الطويل]:

كَأَنَّ الْهَلَالَ الْمُسْتَنِيرَ وَقَدْ بَدَأَ وَنَجْمُ الثَّرِيَا وَاقِفٌ فَوْقَ هَائِلَةِ
مَلِكٍ عَلَى أَعْلَاهُ تَاجٌ مَرْصَعٌ وَيُزْهِى عَلَى مَنْ دُونَهُ بِجِلَالَتِهِ
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ طَبَّاطْبَا الْعُلُوِي [مَنْ الطَوِيلُ] :

أَمَّا وَالثَّرِيَا وَالْهَلَالَ جَلَّتُمَا إِلَى الشَّمْسِ إِذْ وَدَعَتْ كُرْهَاهَا نَهَارَهَا
كَأَنَّهُ إِذْ زَارَتْ عَشِيًّا وَغَادَرَتْ دَلَالًا لَدَيْنَا قُرْطُهَا وَسِيَوَاَهَا
وَقَوْلُ أَبِي عَلِيٍّ الْخَاتَمِيِّ [مَنْ الطَوِيلُ] :

وَلَيْلٍ أَقْنَا فِيهِ نَعْمٌ كَأَسْنَا إِلَى أَنْ بَدَأَ الصَّبْحُ فِي اللَّيْلِ عَسْكَرُ
وَنَجْمُ الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ عَلَى حُلَّةٍ زَرْقَاءَ جَبَبٌ مُدْنَرُ
وَمَنْ بَدِيعُ أَوْصَافِ الثَّرِيَا قَوْلُ الْبَدِيعِ الْقَلْبِي وَبِى الْكَاتِبِ [مَنْ الطَوِيلُ] :
وَصَافِيَةٌ بَاتَ الْغَلَامُ يَدِيرُهَا عَلَى الشَّرْبِ فِي جَنَّةٍ مِنَ اللَّيْلِ أَدْعَجِ
كَأَنَّ حَبَابَ الْمَاءِ فِي وَجَنَاتِهَا فَرَائِدُ دُرٍّ فِي عَقِيقٍ مُدْحَرَجِ
وَلَا ضَوْءَ إِلَّا مِنْ هَلَالٍ كَأَنَّمَا تَفَرَّقَ عَنْهُ الْغَيْمُ عَنْ نِصْفِ دُمْلَجِ
وَقَدْ حَالَ دُونَ الْمُشْتَرَى مِنْ شِعَاعِهِ وَمِيْضُ كَنْثَلِ الزُّبْقِ الْمُتَرْجَرِ
كَأَنَّ الثَّرِيَا فِي أَوَاخِرِ لَيْلِهَا نَجِيَّةٌ وَزَدِ فَوْقَ زَهْرِ بَنْفَسَجِ
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ فَضَالٍ [مَنْ السَّرِيعُ] :

كَأَنَّ بَهْرَامَ وَقَدْ عَارَضَتْ فِيهِ الثَّرِيَا نَظَرَ الْمُبْصِرِ
يَاقُوْتَةُ يُعْرِضُهَا بِأَنْعَ فِي كَفِّهِ وَالْمُشْتَرَى الْمُشْتَرَى

وَبَدِيعُ قَوْلِ الشَّهَابِ مَحْمُودٍ فِي تَشْبِيهِ الثَّرِيَا وَالْهَلَالَ وَالِدَارَةَ [مَنْ الطَوِيلُ] :
كَأَنَّ الثَّرِيَا وَالْهَلَالَ وَدَارَةً حَوَّتَهُ وَقَدْ زَانَ الثَّرِيَا التَّشَامُهَا
حَبَابُ طَفَا مِنْ فَوْقِ زُورْقِ فُضَّةٍ بَكَتْ فِتْنَةً طَافَ بِالرَّاحِ جَامَهَا
وَقَدْ أَغْرَبَ ابْنُ عَوْنٍ بِقَوْلِهِ [مَنْ مَجْزُوءُ الرَّمْلِ] :

رُبَّ لَيْلٍ لَمْ أُنْعَمْ وَنَجْمِ اللَّيْلِ تَشْهَدُ
وَالثَّرِيَا فِي مَدَاهَا حِينَ تَنْحَطُّ وَتَصْفَدُ
عُتْرَبٌ يُسَمَّى مِنَ الدِّ رُّ عَلَى صَحْنٍ زَبْرُجْدُ
خَلْفَهَا طَالِبُ نَارٍ وَشِهَابٌ لَيْسَ بِخَمْدُ
فَهِيَ حَيْرَى مَا أَرَاهَا مِنْ سَبِيلِ الْفِي تَرَشْدُ

وَبَدِيعُ قَوْلِ ظَاغِرِ الْحَدَادِ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

كَأَنَّ الثَّرِيَا تَقْدُمُ الْفَجَرَ وَالْدَجَى يَضُمُّ حَوَاشِي سِجْفِهِ لِلْمَغَارِبِ
مَقْدُمُ جَيْشِ الرُّومِ أَوْمًا بِكَمْفِهِ لَتَبْدِيدِ جَيْشٍ مِنْ بَنِي الزَّنَجِ هَارِبِ

وَقَوْلُهُ أَيْضًا [مِنْ الطَّوِيلِ] :

كَأَنَّ نَجْمِ اللَّيْلِ لَمَّا تَنَحَّلَتْ تَوَقَّدَ جَمْرٌ فِي سَوَادِ رَمَادِ
حَكِي فَوْقَ مَمْدُودِ الْحَجَرَةِ شَكْلُهَا فَوَاقِعَ تَطْفُو فَوْقَ لُجَّةِ وَادِ
وَقَدْ سَبَحَتْ فِيهِ الثَّرِيَا كَأَنَّهَا بَقِيَّةُ وَشَى فِي قَيْصِ حِدَادِ
وَلَا حَتَّ بِنُورِ نَشْ كَتَفَيْهَا كَاتِبِ يُسْرَاهُ لِلتَّعْلِيمِ هَيْئَةً صَادِ
إِلَى أَنْ يَبْدَأَ صَبَاحُ كَأَنَّه رَدَاءُ عَرُوسٍ فِيهِ صَبْنُ مِدَادِ

وَقَوْلُهُ أَيْضًا [مِنْ الْبَسِيطِ] :

وَلَيْلَةٌ مِثْلُ عَيْنِ الظُّلِيِّ دَاجِيَةٍ عَسَفَتْهَا وَنَجْمِ اللَّيْلِ لَمْ تَقْدِ
كَأَنَّ أَتَجَمَّهَا فِي اللَّيْلِ زَاهِرَةٌ دَرَاهِمٌ وَالثَّرِيَا كَفَتْ مُنْتَقِدِ

وِظَرِيفُ قَوْلِ بَعْضِهِمْ فِي شِكَايَةِ طُولِ اللَّيْلِ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

كَأَنَّ الثَّرِيَا رَاحَةً تَشْبُرُ الدَّجَى لَتَعْلَمُ طَالَ اللَّيْلِ أَمْ لِي تَعَرَّضَا
عَجِبْتُ لِلَّيْلِ بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرَبٍ يُقَاسُ بِشَبْرِ كَيْفَ يُرْجَى لَهُ تَقْصَا

ولبعضهم [من الخفيف] :

والثريا كأنها رأسُ طَرْفٍ أدم زين باللبجام الحلي
ومثله قول ابن المعتز [من الطويل] :

ألا فاسقنيها والظلام مَقْوَضٌ ونجم الدجى فى لجّة الليل يركضُ
كأن الثريا فى أواخر ليلها مفتحُ نورٍ أو لجامٌ مفضضُ^(١)
والاطلاع على تفنن الأدب له فى أوصاف الثريا يفترق الاطالة هنا .

وأبو قيس^(٢) لم يقع لى إلى الآن اسمه ، والأسلت : لقب أبيه ، واسمه ترجمة أبى قيس ابن الأسلت
عامر بن جشم بن وائل ، ينتهى نسبه للأوس ، وهو شاعر من شعراء الجاهلية ،
وأسلم ابنه عقبة بن أبى قيس رضى الله عنه واستشهد يوم القادسية ، وكان يزيد بن
مرداس السُلَمى أخو عباس بن مرداس السُلَمى الشاعر قتل قيس بن أبى قيس فى
بعض حروبهم ، فطلب بثأره هارون بن النعمان بن الأسلت حتى تمكن من يزيد
ابن مرداس فقتله بقيس ابن عمه ، ولقيس يقول أبوه أبو قيس بن الأسلت
المذكور [من الوافر] :

أقيسُ إن هلكْتُ وأنتَ حيٌّ فلا تَعُدْ مواصلةَ الفقير
وقال هشام الكلبي : كانت الأوس قد أسندوا أمرهم فى يوم بغاث^(٣) إلى

- (١) أنشد الشيخ عبد القاهر هذا البيت فى أمرار البلاغة (١٤٣)
(٢) تجدد لأبى قيس بن الأسلت ترجمة فى الأغاني (١٥ - ١٦٠) ومن
المعجب أن أبى الفرج هو الذى يقول « لم يقع لى اسم أبى قيس » وأن المؤلف
ينقل بعد تناول القرون هذه العبارة ولا يكلف نفسه البحث عن اسمه ، واسم
أبى قيس - فى أرجح الأقوال - صيفي وقد كتبها مش نسخة الأغاني ما نصه
« وهما مش نسخة هكذا : اسمه صيفي ، وهو أشهر من أن لا يقع لأحد » اه
(٣) بغاث - بزنة غراب - بالعين المهملة ، وبالفين المعجمة - موضع قرب
المدينة وقع فيه يوم مشهور بين الأوس والخزرج

أبي قيس بن الأسلت الوائلي ، فقام بحرجهم ، وأثرها على كل أمر حتى شجب
وتغير ، ولبث أشهراً لا يقرب امرأته ، ثم إنه جاء ليلة فدى على امرأته وهي كبشة
بنت ضمرة بن مالك من بني عمرو بن عوف ، ففتحت له ، فأهوى بيده إليها ،
فأنكرته ودفعته ، فقال : أنا أبو قيس ، فقالت : والله ما عرفتك حتى تكلمت
فقال في ذلك أبو قيس ^(١) [من السريع] :

قالت ولم تقصدي مقال الخنا مهلاً فقد أبليت اسماعي ^(٢)
استنكرت لونا له شاجباً والحرب غول ذات أوجاع ^(٣)
من يذوق الحرب يجد طعمها مرّاً وتركه يجمع ^(٤)
لا نالم القتل ونجزي به إلا عدا كيل الصاع بالصاع ^(٥)

ولما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير رضى الله عنهما خطب
الناس بالنخيلة فقال في خطبته : أيها الناس، دعوا الأهواء المضلة والآراء المشتتة
ولا تكلفونا أعمال المهاجرين وأنتم لا تعملون بها ، فقد جاريتمونا إلى السيف
برأيتكم كيف صنع بكم ، ولا أعرفنكم بعد الموعظة تزدادون جراءة ، فاني لا أزداد
فعداها إلا عقوبة ، وما مثلي ومثلكم إلا كما قال أبو قيس بن الأسلت ^(٦) :

- (١) الأبيات من أول قصيدة له في المفضليات ، وفي الأغاني
- (٢) في المفضليات « ولم تقصدي ليل الخنا » وكذلك هو في الأغاني
- (٣) في المفضليات « أنكرته حين توسمته » وفي الأغاني مثل ما هنا
- (٤) في المفضليات « ونحبسه بجمع جاع » والجمع جاع : الحبس في المكان
الضييق الغليظ ، وفي الأغاني مثل ما هنا
- (٥) بين هذا البيت والذي قبله في المفضليات سبعة أبيات لم يروها المؤلف
وروى أبو الفرج هذا البيت متصلاً بالذي قبله في صوت
- (٦) القصة والأبيات في الأغاني (١٥ - ١٦٧)

مَنْ يَصِلْ نَارِي بِلاذَنْبٍ وَتِرْلَاهُ يَصِلْ بِنَارِ كَرِيمٍ غَيْرِ غَدَارٍ (١)
 أَنَا النَذِيرُ لَكُمْ مِنْ مُجَاهَرَةٍ كَيْلًا أَلَامَ عَلَى نَهْبِي وَإِعْذَارِ
 فَإِنْ عَصَيْتُمْ مَقَالِي الْيَوْمَ فَاعْتَرِفُوا أَنْ سَوْفَ تَلْقَوْنَ خِزْيَ ظَاهِرِ الْعَارِ
 لَتَرْكُنَّ أَحَادِيثًا وَمَلْعَبَةً عِنْدَ الْمُقِيمِ وَعِنْدَ الْمُذْلِجِ السَّارِ
 وَصَاحِبِ الْوَتْرِ لَيْسَ الدَّهْرُ يَدْرِكُهُ عِنْدِي وَإِنِّي لَطَلَّابٌ لَأَوْتَارِ
 أَقِيمْ عَوْنَهُ إِنْ كَانَ ذَا عَوَجٍ كَمَا يَقُومُ قَدَحَ النُّبَعَةِ الْبَارِ (٢)

وعن المهيم بن عديّ ، قال : كنا جلوسا عند صالح بن حسان ، فقال لنا :
 أنشدوني بيتاً خفراً في امرأة خفرة ، فقلنا قول حاتم [من الطويل] :
 يَضِيءُ بِهَا الْبَيْتُ الظَّلِيلُ خِصَاصُهُ إِذَا هِيَ يَوْمًا حَاوَلَتْ أَنْ تَبْسُمَا (٣)
 فقال : هذه من الأصنام ، أريد أحسن من هذا ، فقلنا : قول الأعشى
 [من البسيط] :

كَأَنَّ مَشِيئَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَرُّ السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ
 فقال : هذه خراجة ولاجة كثيرة الاختلاف ، فقلنا : ما عندنا شيء ،
 فقال : قول أبي القيس بن الأسلت [من الطويل] :

وَيُكْرِمُهَا جَارًا هُنَا وَتُعْتَلُّ عَنْ إِيْتَانِهَا فَمَعْدَرُ
 وَلَيْسَ لَهَا أَنْ تَسْتَبِينَ بِجَارَةٍ وَلَكِنَّهَا مِنْهُمْ تَحِيًّا وَتَخَفَرُ

-
- (١) في الأصل « غير عوار » محرفاً وما أثبتناه موافق لما في الأغاني
 (٢) في الأصل « أقيم نخوته » وفيه « كما يقيم لقدح النبعة » وما أثبتناه
 موافق لما في الأغاني
 (٣) في الأغاني « يضيء لها »

مّم قال : أنشدوني أحسن بيت وصفت به الثريا ، قلنا : بيت الزبير
الأسدي وهو [من الطويل] :

وقد لآحَ في الغور الثريا كأنما به رايةٌ بيضاء تخفقُ للطنن
فقال : أريد أحسن من هذا ، قلنا : بيت امرئ القيس [من الطويل] :

إذا ما الثريا في السماء تعرّضت تعرّضَ أثناء الوشاح المُفصل
قال : أريد أحسن من هذا ، قلنا : بيت ابن الطّثريّة^(١) [من الطويل] :

إذا ما الثريا في السماء كأنها جُحانٌ وهى من سلكه فتسرعا
قال : أريد أحسن من هذا ، قلنا : ما عندنا شيء ، قال : قول أبي قيس
ابن الأسلم [من الطويل] :

وقد لآحَ في الصبح الثريلن رأى كمنقودٍ ملّاحيةٍ حين نورًا
قال : فحكّم له بالتقدم عليهم في هذين المعنيين ، والله أعلم .

* * *

٧٧ — كأن مُثَارَ النّعمِ فوق رُؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُه

أحمد المَرْكَب
الحَمِي

البيت لبشار بن برد ، من قصيدة من^(٢) الطويل يمدح بها ابن هُبيرة ،
وأولها :

جَآودَه فَآزورُ أومَلٍ صاحِبُه وَأزرى به أن لا يزال يعاتبُه
خليلي لا تستكثر الوعة الهوى ولا سلوةَ الحزون شَطَطَ حبابُه

(١) في الأصل « ابن الطّثريّة » محرفا ، وما أثبتناه موافقا لما في الأنفاثي

(٢) انظر أبياتا منها في حماسة ابن الشجرى (١٤٣ ر ٢٣٤) وأبياتا

منها في المختار من شعر بشار (٧٤ ر ٧٤) وأبياتا منها في حماسة البحري (٧٢)

يقول فيها :

إذا كنتَ في كلِّ الأمور معاتباً صديقكَ لم تلقَ الذي لا تعاتبه
نفسَ واحدٍ أو صِلَ أخاكَ فإنه مفارقُ ذنبٍ مرةً ومُجانبه
إذا أنتَ لم تشربَ مراراً على القَدَى ظمنتَ وأىُّ الناسِ تصفو مشاربهُ
رُويَداً نِصاهلَ بالعراقِ جِبادنا كأنك بالضحك قد قامَ نادِبهُ

ومنها :

وَسامِ لمروانَ ومن دونه الشُّجَا وهولُ كُلِّجَ البحرِ جاشت غوارِبهُ
أُحلتَ به أُمُّ المنسايا بناتِها بأسِافنا إنا رَدَى مِن نِجارِبه
وكنا إذا دبَّ العدوُّ لسخطنا وراقبنا في ظاهرٍ لا نراقِبهُ
رَكبنا له جَهراً بكلِّ مُتَقَفٍ وأبيضَ تسنقى الدماءَ مضاربهُ
وجيشٍ كجَنحِ الليلِ يزحفُ بالحِصَا وبالشوكِ والخطيِّ حمراً نعالِبهُ

ومنها :

غدونا له والشمسُ في خِدرِ أمِها تطلعا والطللُ لم يجرِ ذائِبهُ
بضربِ ينوقُ الموتَ من ذاق طعمه وتدرِكُ من نَحِيٍّ الفِراقُ مثالبهُ

وبعد البيت ، وبعده :

بعثنا لهم موتَ المُجَاءةِ إنا بنو الموتِ خَطَّاقُ عَلينا سبائبهُ
فراحوا فريقٌ في الأسارى ومثلهُ قتيلٌ ومثلٌ لاذ بالبحرِ هاربهُ
إذا الملكُ الجبارُ صَعَرَ خَدَهُ مشينا إليه بالسيوفِ نعالِبهُ

وهي طويلة ، فوصله ابن هبيرة بعشرة آلاف درهم ، وكانت أول عطية
سَنِيَّةٍ أُعطيها بشار بالشعر ورفعت من ذكره .

والنقع : الغبار ، ومعنى « تهاوى كواكبه » يتساقط بعضها في إثر بعض والأصل « تهاوى » تخذفت إحدى التاءين .

والشاهد فيه : المركب الحسى فى التشبيه الذى طرفاه مركبان الحاصل من الهيئة الحاصلة من هوى أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة فى جوانب شئ مظلم ، فوجه الشبه مركب كما ترى ، وكذا طرفاه ، كما فى أسرار البلاغة .

يروى أنه قيل لبشار ، وقد أنشد هذا البيت : ما قيل أحسن من هذا التشبيه ، فمن أين لك هذا ، ولم تر الدنيا قط ولا شيئاً منها ؟ فقال : إن عدم النظر يقوى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إنييه من الأشياء فيتوفر حسه وتذكر قريحته ، وأنشدهم قوله [من الطويل] :

عبتُ جُنَيْناً والذكاه من العمى فجئت عجيب الظن للعلم مؤثلاً
وغاض ضياه العين للعلم رافداً لقلب إذا ما ضيع الناس حصلاً
وشعر كثر الروض لاءمت بينه بقول إذا ما أحنز الشعر أسهلاً
وحدث أبو يعقوب الخريجي الشاعر أن بشاراً ، قال : لم أزل منذ سمعت قول امرئ القيس فى تشبيه شيتين بشيتين فى بيت واحد ، حيث يقول [من الطويل] :

كأن قلوب الطير رطباً ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى
أعمل نفسى فى تشبيه شيتين بشيتين ، حتى قلت :

* كأن مثار النقع — البيت *

وقد ذكره بشار ، فقال [من الطويل] :

خلقت سماء فوقنا بنجومها سيوفاً وتعايقبض الطرف أفتعماً

وقد أخذ هذا المعنى منصور النمرى ^(١) فقال وأحسن [من البسيط] :
 ليلٌ من النّعم لا شمسٌ ولا قرٌّ إلا جبنك والمذروبة الشرعُ
 ومسلم بن الوليد أيضاً حيث يقول [من البسيط] :
 في عسكر تُشرق الأرض الفضاء به كالليل أنجمه القضيان والأسلُ
 ولؤلؤه رحمه الله من قصيدة عثمانية مظفرية [من البسيط] :
 والنعم ليلٌ سماء لا نجوم له إلا الأسنة والهندية البئرُ
 وله في معناه من قصيدة مظفرية أيضاً مع زيادة مخترعة فيما يظن [من
 الخفيف] :

يَمَقْدُ النّعم فوقها سحبا كالليل في السيوف أضحت نجومًا
 فتى ما رأت سواد شياطين بُغاة الحروب عادت رجوماً
 وابن المعتز حيث قال [من الطويل] :
 إذا شئتُ أوقرتُ البلاد حوافراً وسارت ورأى هاشمٌ ونزارُ
 وعمّ السماء النّعم حتى كأنه دُخانٌ وأطرافُ الرّماح شرارُ
 وبعضهم أيضاً حيث قال [من الكامل] :
 نَسَجَتْ حوافرُها سماء فوقها جمَلَتْ أَسِنَّها نجومَ سماءها
 وأبو الطيب المتنبي حيث قال [من الكامل] :
 فسكّانما كَيْتَ النهار بها دجى ليلٍ وأطلعت الرماح كواكبا
 وقد نقله إلى مثال آخر فقال [من الطويل] :
 تزور الأعداى في سماءٍ عجاجةٍ أَسِنَّها في جانبها الكواكبُ

وقد ضمنه سيف الدين بن المشد فقال [من الطويل] :
 كأن دُخان العود والنَّد بيننا وأقداحنا ليلٌ تهاوى كواكبُه
 ولاحتْ لنا شمسُ المُعارِ فزرت دُجى الليل حتى نَظَّم الجزعَ ثاقبُه
 والبرهان القيراطى ضمن المصراع الأخير، وإن كان من غير هذه القصيدة
 بقوله وأجاد [من الطويل] :
 ولما بدأ والليل أسودُ فاحمٌ قد أنتشرت في الخافقين ذوائبُه
 أضاء بيدّر الثغر عند ابتسائه دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

* * *

٧٨ — * والشمس كالمرآة في كف الأثل *

شاهد المركب
الحسى في الهيات

هو من الرجز ، واختلف في قائله ، فقليل : الشماخ ، وقيل : ابن أخيه (٢)
 وقيل : أبو النجم ، وقيل : ابن المعتز .
 والأثل : هو الذى يَدست يده أو ذهبت .
 والشاهد فيه : مجيء المركب الحسى في الهيات التى تقع عليها الحركة من
 الاستدارة والاستقامة وغيرها ، ويعتبر فيها التركيب ، ويكون ما يجيء في تلك
 الهيات على وجهين : أحدهما أن يقرن بالحركة غيرها من أوصاف الجسم كالشكل

- (٢) ضمن هذا البيت من قول أبى الطمحان القينى :
 أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
 (٣) في ديوان الشماخ بن ضرار (١٠٩) أرجوزة منسوبة إلى جبار بن
 جزء بن ضرار بن أخى الشماخ ، وأولها قوله :
 قالت سليمة لست بالمحاذى المدل مالك لا تملك أعضاد الابل
 وفيها هذا الشاهد . وليس في هذا الديوان مما ينسب إلى الشماخ نفسه هذا
 الشاهد ، بل ولا كلمة على رويه

واللون ، والثاني : أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها ، فالأول كافى البيت ، ووجه الشبه من الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الاشراق والحركة السريعة المتصلة مع تموج الاشراق واضطرابه بسبب تلك الحركة حتى يرى الشعاع كأنه يهيم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ثم يسدوله فيرجع من الانبساط إلى الانقباض ، فالشمس إذا أخذ الإنسان النظر إليها ليتبين جرمها وجدها مؤدية إلى هذه الهيئة ، وكذلك المرأة إذا كانت في كف الأشل .

أبيات في وصف
حركة الشمس
والنجوم

وما أعدل قول الموعج الشاعر في معناه [من الطويل] :

كَانَ شُعَاعُ الشَّمْسِ فِي كُلِّ غُدُوَةٍ عَلَى وَرَقِ الْأَشْجَارِ أَوَّلُ طَالِعِ
دَنَانِيرٍ فِي كَفِّ الْأَشْلَى يَضُمُّهَا لِقَبْضِ قَهْوَى مِنْ فُرُوجِ الْأَصَابِعِ

وهو مأخوذ من قول أبي الطيب المتنبي [من الوافر] :

وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِي دَنَانِيرًا تَفِرُّ مِنَ الْبَنَانِ
وَأَخَذَهُ أَيْضًا الْقَاضِي عَبْدَ الرَّحِيمِ الْفَاضِلُ فَقَالَ [من الكامل] :

وَالشَّمْسُ مِنْ بَيْنِ الْأَرَائِكِ قَدْ حَكَّتْ سِفًا صَقِيلًا فِي يَدِ رَعْشَاءِ
وَمَا أَبْدَعَ قَوْلَ الشَّهَابِ التَّلَعْفَرِيُّ [من البسيط] :

أَفْدَى الَّذِي زَارَنِي فِي اللَّيْلِ مُسْتَتِرًا أَحْلَى مِنَ الْأَمْنِ عِنْدَ الْخَائِفِ الدَّهْشِ
وَلَا حَتَرَ الشَّمْسَ تَحْكِي عِنْدَ مَطْلَعِهَا مَرَاةً تَبْرِ بَدَتْ فِي كَفِّ مَرْتَعِشِ

وبديع قول إدريس بن الجمانى العبدى [من المديد] :

قُبْلَةٌ كَانَتْ عَلَى دَهْشٍ أَذْهَبَتْ مَا بِي مِنَ الْعَطَشِ
وَلَهَا فِي الْقَلْبِ مَرَّةٌ لَوْ عَدَّتْهَا النَّفْسُ لَمْ تَعِشِ
طَرَفَتْنِي وَالِدَجِي لَا يَسُّ خِلْعًا مِنْ جِلْدَةِ الْحَبَشِ
وَكَانَ النُّجْمَ حِينَ بَدَا دَرْهَمٌ فِي كَفِّ مُرْتَعِشِ

وقول النامي [من الطويل] :
 صماء غصونٌ تحجبُ الشمسُ أن تُرى على الأرضِ إلا مثلُ نثرِ الدراهمِ

* * *

٧٩ - وكانَ البرقُ مصحفُ قارٍ فأنطِياً مرةً وانفثاحا

شاهد نجد
الحركة عن
غيرها

البيت لابن المعتز ، من قصيدة ^(١) من المديد ^(٢) ، وأولها :

عَرَفَ الدارُ فحياً وناحاً بعدما كان صحاً واستراحاً
 ظَلَّ يلحاهُ العدُولُ ويأبى في عَيْنانِ العدْلِ إلا جماحاً
 علَّوْنِي كيف أسلُّو وإلا فخذوا من مقلتي الملاحاً ^(٣)
 من رأى برقاً يُضِيءُ الناحا ثَقِبَ الليلَ سنأه فلاحاً
 وبعده البيت ، وبعده ^(١) :

لم يزل يلمعُ بالليل حتى خَلَّتْهُ نَبْهٌ فيه صَبَاحاً
 وكانَ الرَّعدُ لُحْلُ لِقَاح كلما يُعْجِبُهُ البرقُ صاحاً

(١) اقرأ هذه القصيدة في مفتتح حرف الحاء المهجلة من الباب الثالث من ديوان ابن المعتز (١٣٢ بيروت) والبيت في أسرار البلاغة ١٣١ و١٣٦
 (٢) في الأصل « من الرمل » خطأ ، والقصيدة من بحر المديد ، وأجزاؤه « فاعلاتن فاعلن فاعلاتن »

(٣) في الديوان « فخذوا عن مقلتي »

(٤) في الديوان زيادة بيت بين البيت المستشهد به والذي ذكر المؤلف أنه بعده ، وهو قوله :

في ركام ضاق بالماء ذرماً حينما مالت به الريح ساحاً

والبرق : واحد يروق السحاب ، أو هو ضَرْبُ ملكِ السحاب وتحرّكه إياه
لينساق فترى النيران .

والشاهد فيه : الوجه الثانى ، وهو تجرد الحركة عن غيرها من الأوصاف
مع اختلاط حركات كثيرة للجسم إلى جهات مختلفة له ، كأن يتحرك بعضه إلى
اليمن وبعضه إلى الشمال وبعضه إلى العلو وبعضه إلى السفلى ؛ لينتق التركيب
وإلا لكان وجه الشبه مفرداً وهو الحركة لا مركباً ، فحركة المصحف الشريف
فى انطباقه وانفتاحه فيها تركيب لأن المصحف يتحرك فى الحالتين إلى جهتين
فى كل حالة إلى جهة .

ومثله قول القلى المغربى [من الكامل] :

آيات فى وصفه
البرق والسحب

والسحبُ تلعبُ بالبرق كأنها قارِ على عجلٍ يقلبُ مصحفًا
قد قلدت بالنور أجسادَ الرّيا حليًا وألبست الحائل مطرًا
وما أحسن قول بعضهم فى وصف البرق [من الرمل] :

عارضٌ أقبلَ فى جنح الدُّجى يتهاذى كتهادى ذى الوجى
أنلفتُ ريحُ الصبا لؤلؤهُ فانبرى يوقد عنها سُرُجًا
وكان الرعد حادى مُضْعَبٍ كلما صالَ عليه وشجا
وكان البرق كَأَسْ سَكَبَتْ فى لهاه المزنُ حتى لها
وكانَ الجوّ ميدانَ وغى رَفَعَتْ فيه المذاكى رَهَبًا

وما أحسن قول ابن المعتز فيه أيضًا ^(١) [من الرجز] :

رأيتُ فيها برقها منذُ بدتُ كمثل طرف العين أو قلب وجب ^(٢)

(١) اقرأها فى الديوان (١٦ بيروت)

(٢) فى الديوان « لما وثب » فى مكان « منذ بدت » وفيه « أو قلب يجب »

ثم حدا بها الصبا حتى بدا فيها لى البرق كأمثال الشهب (١)
 تحسبه فيها إذا ما انصدعت أحشاؤها عنه شجاعا يضطرب (٢)
 وتارة تحسبه كأنه أبلق مال جلّه حين وثب (٣)
 حتى إذا ما رفع اليوم الضحي حسبه سلاسلًا من الذهب (٤)
 وقد ولد أبو العباس بن أبي طالب العربي من تشبيه البرق بالسلاسل توليداً
 بديعاً، فقال يصف ممدوحه ببرعة البديعة إذا كتب [من المتقارب] :

له قلم لو يجارى البروق خللت السلاسل فيه قيوداً
 وللأديب أبى حفص أحمد بن برد فى السحاب والبرق [من المتقارب] :

ويوم تفنن فى طيبه وجاءت موافقه بالعجب
 نجلى الصباح به عن حياء قد أسقى وعن زهر قد شرب
 ومازلت أحسب فيه السحاب ونار بوارقه تلتهب
 بخائى تؤضع فى سيرها وقد فزعت بسياط الذهب

ولأبى عثمان الخالدى فى مثله [من المنسرح] :

أذن من الدنّ لى فذاك أبى واشرب وأسق الكبير وانتخب
 أما ترى الطلّ وهو يلمع فى عيون تؤزّ تدعو إلى الطرب

(١) هذا البيت يروى فى الديوان :

ثم حدثت بها الصبا كأنها فيها من البرق كأمثال الشهب

(٢) يروى هذا البيت فى الديوان :

إذا تعرى البرق فيها خلسته بطن شجاع فى كتيب يضطرب

(٣) فى الديوان «وتارة تبصره»

(٤) يروى هذا البيت فى الديوان :

وتارة تخاله إذا بدا سلاسل مصقولة من الذهب

والصبح قد جُرِّدَتْ صَوَارِمُهُ والليل قد تم منه بالهرب
والجوُّ في حُلَّةٍ مَمْسُكَةٍ قد كَتَبَتْهَا البروقُ بالذهب
والسرى الرءاء في مثله [من المتقارب] :

غَيُومٌ تَمْسُكُ أَفْقَ السَّمَاءِ وِبرقٌ يَكْتُبُهَا بِالذَّهَبِ
وله أيضاً ، وينسب للخالدى [من الوافر] :

وِبرقٌ مِثْلُ حَاشِيَتِي رِداءٍ جَدِيدٍ مُذهَّبٍ فِي يَوْمِ رِيحٍ
وللخالدى فيه أيضاً وأجاد [من الطويل] :

أَلَا فَاسْقَى وَاللَّيْلُ قَمْغَابَ نَوْرِهِ لَغِيبةِ بَدْرِ فِي الظَّلامِ غَرِيقِ
وَقَدْ فَضَحَ الظَّلامُ بَرَقَ كَأَنَّهُ فَوَادٍ مَشُوقٍ مَوْلَعٌ بِخَفِيقِ
وقد سرقه من قول ابن المعتز [من الطويل] :

أَمْنُكَ سَرَى يَابِشَ رَطِيفٍ كَأَنَّهُ فَوَادٍ مَشُوقٍ مَوْلَعٌ بِخَفِيقِ
وسرقه السرى الرءاء أيضاً ، فقال من قصيدة [من البسيط] :

أَمَّا تَرَى الصَّبْحَ قَدْ قَامَتْ عَسَاكِرُهُ فِي الشَّرْقِ تَنْشُرُ أَعْلَامًا مِنَ الذَّهَبِ
وَالْجَوُّ بِخِتَالٍ فِي حُجُبٍ مَمْسُكَةٍ كَأَنَّمَا الْبَرَقُ فِيهَا قَلْبُ ذِي رُعْبِ
وما أحسن قوله فيه أيضاً [من الكامل] :

وَحَدَاتِي يَسْبِكُ وَشَى بُرُودَهَا حَتَّى تَشْبِيهَا مَبَائِبَ عَبَقْرِ
يَجْرَى النِّسِيمُ خِلَالَهَا فَكَأَنَّمَا غُمِسَتْ قُضُولُ رِدَائِهِ فِي عَنَبِ
بَاتَتْ قُلُوبُ الْمَحَلِّ تَخْفِقُ بَيْنَهَا بِخَفِيقِ رَايَاتِ السَّحَابِ الْمَطَرِ
مَنْ كُلُّ نَائِي الْحِجْزَيْنِ مَوْلَعٍ بِالْبَرَقِ دَانِيٍّ الظَّلْتَيْنِ مُشْرِئٍ (١)

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هذا البيت بهامش النسخة مانعاً

تُحْدَى بِالسَّيْفِ الرُّعُودِ عِشَارُهُ
فَتُسِيرُ بَيْنَ مُعَرَّدٍ وَمَزْجَرٍ
طَارَتْ عَقِيقَةُ بَرْقِ فَكَأَنَّمَا
صَدَعَتْ نَمْسُكَ غَيْمَهُ بِمَصْفَرٍ
وَلَا بِي الْقَاسِمِ الْإِهَامِي فِيهِ أَيْضًا [مَنِ الْبَسِيطُ] :
الرِّيحُ تُنَصِّفُ الْأَغْصَانُ تَمْتَنِقُ
وَالْمَرْزُ بِأَكِيَّةٍ وَالزَّهْرُ مَعْتَبِقُ
كَأَنَّمَا اللَّيْلُ جَفَنُ وَالْبُرُوقُ لَهُ
عَيْنٌ مِنَ الشَّمْسِ تَبْدُو ثَمَّ تَنْطَبِقُ
وَلِبَعْضِهِمْ [مَنِ السَّرِيعُ] :

بَرْقُ أَطَارَ الْقَلْبَ لِمَا اسْتَطَارَ
أَنَارَ جَنَحَ اللَّيْلِ لِمَا اسْتَنَارَ
ذَابَ لَجِينُ الْمَرْزِ لِمَا رَمَى
مَعْدَنَهُ مِنْهُ بِمَقْبَاسٍ نَارَ

ابن المعتز

وابن المعتز (١) : هو عبد الله بن محمد - وقيل الزبير - المعتز بالله
ابن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي ، الأمير الأديب ، صاحب النظم
البديع والنثر الفائق . أخذ الأدب والعربية عن المبرد وعلب ، ومؤدبه
أحمد بن سعيد الدمشقي . ومولده في شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين ، وهو
أول من صنف في صنعة الشعر ، وضع كتاب البديع ، وهو أشعر بني هاشم على
الإطلاق ، وأشعر الناس في الأوصاف والتشبيهات ، وكان يقول : إذا قلت
« كَأَنَّ » ولم آت بعدها بالتشبيه ففَضَّ الله ظَمِي (٢) .

== « قوله الظلّتين ، في بعض النسخ الظلّتين ، وفي بعضها الطلبتين ، ولعله السكيتين ،
ودنوها كناية عن ضيق ما بين الحرفقتين وتضامه ، والبيت كناية عن كون
السحاب المشبه بالابل واسعا من جهة حسبا أشار له بقوله نائى الحجزتين متضاما
من جهة أخرى كما أشار له بقوله داني السكيتين ، فليتامل وليراجع » ١

(١) تجد بعض أخباره في الأغاني (٩ - ١٤٠)

(٢) هذا التعبير خطأ في العربية ، والصواب أن يقال « ففض الله في » بتشديد
الياء ، لأن شرط إعراب الأسماء الخمسة بالالف نصباً أن تكون إضافتها لغير
إله المتكلم

وحدث جعفر بن قدامة ، قال : كنت عند ابن المعتز يوماً ، وعنده سرية^(١) ، وكان يحبها ويهيم بها ، فخرجت علينا من صدر البستان في زمن الربيع وعليها غلالة مصفرة ، وفي يدها جنابى من با كورة باقلاء ، والجنابى : لعبة للصبيان ، فقالت له : ياسيدى ، تلعب معى جنابى ؟ فالتفت إلينا ، وقال على دبهته غير متفكر ولا متوقف [من البسيط] :

فديتُ من مريمشى فى مصفرة عشيّة فسقانى ثم حيانى
وقال تلعبُ جنابى فقلت له من جدّ بالوصل لم يلعب بهجران
وأمر فتنى به .

وحدث جعفر قال : كان لعبد الله بن المعتز غلام يحبه ، وكان يفتى غناء صالحاً ، وكان يدعى بنشوان ، فجدر ، فجزع عبد الله لذلك جزعا شديداً ثم عوفى ولم يؤثر الجدرى فى وجهه أثراً قبيحاً ، فدخلت عليه ذات يوم فقال لى : يا أبا القاسم قد عوفى فلان بعدك وخرج أحسن مما كان ، وقلت فيه بيتين ، وغنت زريب فيها رملا ظريفاً فاسمعهما إنشاداً إلى أن تسمعها غناء ، فقلت : يتفضل الأمير - أوده الله ! - بانشادى إياهما ، فأنشدنى [من السريع] :

بى قرّ جدراً لما استوى فزاده حسناً وزالت هُموم
أظنه غنى لشمس الضحى فنقطته طرباً بالنجوم

فقلت : أحسنت والله أيها الأمير ، فقال : لو سمعته من زريب كنت أشد استحساناً له ، وخرجت زريب فغننته لنا فى طريقة الرمل غناء شربنا عليه عامة يومنا .

قال : وغضب هذا الغلام عليه ، فجهد أن يترضاه ، فلم تكن له فيه حيلة ، ودخلت عليه فأنشدنى فيه [من مجزوء الخفيف] :

(١) سماها فى الأغاني باسمها فقال « وعنده نشر وكان يحبها ويهيم بها » وأظن أن اسمها « بشر » كما ورد فى شعره ، وانظر (ص ٣٧ من هذا الجزء)

بأبي أنتَ قد تَمَّ دَيْتَ في الهَجَرِ والعَضْبِ
واضطجاري على صَدُوْ دِكْ يوماً من العَجَبِ
ليس لي إنْ فَقدْتُ وجسْمَكَ في العَيْشِ من أَرْبِ
رحمَ الله من أَعَا ن على الصِّلحِ واحتَسِبِ

قال: فضيت إلى الغلام، ولم أزل أداريه وأرفق به حتى ترضيته له وجئته به، فرلنا يومئذ أطيب يوم وأحسنه وغنتنا زرباب^(١) في هذا الشعر مراماً عجيباً.

وحدث عبد الله بن موسى الكاتب، قال: دخلت على عبد الله بن المعتز وفي داره طبقات من الصنّاع^(٢) وهو يبيذها ويبيضها، فقلت له: ما هذه الغرامة الجادة^(٣)؟ فقال: السيل الذي جاء من ليالٍ أحدث في داري ما أخرج إلى هذه الغرامة الجادة^(٣) والكلفة، فقلت^(٤) [من المتقارب]:

ألا من لنفسٍ وأخْزَأنها ودار تداعَى بِمِطَاطِها^(٥)
أظَلُّ نهارِي في شمسها شَقِيًّا مُعْتَى يَبْئِئَانها
أَسْوَدَ وجهي بَتَبْيِيسِها وأهدمُ كَيْسِي بِعُمرَانِها^(٦)

(١) في الأغاني «وغنتنا هزار» وهو في بعض أصول مطبوعة بولاق.
(٢) في مطبوعة بولاق «طبقات من الصّاع» وهو تحريف، وما أثبتناه موافق لما في الأغاني

(٣) في الأغاني «ما هذه الغرامة الجادة»

(٤) في الأغاني «وقال» والأيات لابن المعتز، وهي في ديوانه (٢٨٤)

(٥) في الديوان «ودار تداعت»

(٦) في الديوان «لتبييضها» وفيه «لعمرانها» وفي الديوان بيت بين هذا والذي قبله وهو قوله:

ولا أحد من ذوى قربي يساعدنِي عند إتيانها

ومن هنا أخذ أبو الحسين الجزار قوله [من الطويل] :

أَكُنْتُ نَفْسِي كُلَّ يَوْمٍ وَلِيْلَةٍ شُرُورًا عَلَى مَنْ لَا أَفُوزُ بِخَيْرِهِ
كَاسَوْذَ الْقَصَافِ فِي الشَّمْسِ وَجْهَهُ لِيَجْهَدَ فِي تَبْيِيضِ أَثْوَابِ غَيْرِهِ

وحدث جعفر بن قدامة قال : كنت عند عبد الله بن المعتز ، ومعنا النعمري ،
فحضرت الصلاة ، فقام النعمري فصلى صلاة خفيفة جداً ، ثم دعا بعد انقضاء صلاته
وسجد سجدة طويلة جداً حتى استثقله جميع من حضر بسببها ، وعبد الله ينظر
متعجباً ، ثم قال [من المتقارب] :

صَلَاتُكَ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ كَمَا اخْتَلَسَ الْجُرْعَةُ الْوَالِغُ
وَتَسْجُدُ مِنْ بَعْدِهَا سَجْدَةً كَمَا خُتِمَ الْمَزُودُ الْفَارِغُ

وقال : كنا عند عبد الله بن المعتز يوماً ، ومعنا النعمري ، وعنده جارية لبعض
بنات المعتز تغنيه ، وكانت محسنة إلا أنها كانت في غاية القبح ، فجعل عبد الله
يحبسها ويتعاشق ، فلما قامت قال له النعمري : أيها الأمير ، سألتك بالله أن تعشق
منه التي ما رأيت قط أقبح منها ؟ فقال وهو يضحك [من السريع] :

قَلْبِي وَثَابٌ إِلَى ذَا وَذَا لَيْسَ يَرَى شَيْئًا قِيَّامُهُ
يَهْمُ بِالْحَسَنِ كَمَا يَنْبَغِي وَيَرْحَمُ الْقَبِيحَ قِيَمُوهُ

وقال : كنت أشرب مع عبد الله بن المعتز في يوم من أيام الربيع بالعباسية
والدنيا كالجنة المزخرفة فقال عبد الله [من مجزوء الرمل] :

حَبْدًا آذَارُ شَهْرًا فِيهِ لِلنُّورِ انْتِشَارُ
يَنْقُصُ اللَّيْلُ إِذَا حَلَّ وَبَعْدُ النَّهَارُ^(١)

(١) في الأغاني « ينقص الليل إذا جاء »

وعلى الأرض اصفرارٌ واخضرارٌ واحمرارٌ
فكأنَّ الرِّوْضَ وَشَىْءٌ بِالْقَتِّ فِيهِ التَّجَارُ
نَقْشُهُ آسٌ وَتَسْرِينٌ وَوَرْدٌ وَبَهَارٌ

وكتب ابن المعتز إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد استخلف مؤنس
ابنه محمد بن عبيد الله على شرطة بغداد [من الطويل] :

فَوَحْتُ بِمَا أَضَاعَهُ دُونَ قَدْرِكُمْ وَقُلْتُ عَمَى قَدْحُكَ مِنْ نَوْمِهِ الدَّهْرُ
فَتَرَجَعُ فِينَا دَوْلَةٌ طَاهِرِيَّةٌ كَمَا بَدَأَتْ وَالْأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ الْأَمْرُ
عَمَى اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَافِلٍ وَلَا بَدَأَ مَنْ يُسْرِ إِذَا مَا تَنَهَى الْعُسْرُ
فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَبِيدُ اللَّهِ قَصِيدَةٌ مِنْهَا [من الطويل] :

وَفَنِّ لَكُمْ إِنْ نَالْنَا مَسَّ جَفْوَةٍ فَنَّا عَلَى الْأَوَاهِلِ الصَّبْرُ وَالْعُذْرُ
فَإِنْ رَجَعْتَ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ دَوْلَةً إِلَيْنَا فَنَا عِنْدَهَا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ

وجاء محمد بن عبيد الله المذكور بمقرب هذا شاكرًا لثبته ، ولم يمد إليه
مئة طويلة ، فكتب إليه ابن المعتز يقول [من المنسرح] :

قَدْ جِئْنَا مَرَّةً وَلَمْ تَكُ وَلَمْ تَزُرْ بَعْدَهَا وَلَمْ تَعُدْ
لَسْتَ تَزُرُنِي وَاجْتِنَاءً بِنَا عِوَضًا فَاطْلُبْ وَجَرِّبْ وَاسْتَقْصِ وَاجْتَهِدْ
نَاوَلْنِي حَبْلَ وَصْلِهِ بِيَدٍ وَهَجْرُهُ جَاذِبٌ لَهُ بِيَدٍ
فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ ذَا وَذَا أَمَدٌ إِلَّا كَمَا بَيْنَ لَيْلَةٍ وَعَدٍ

ولم يزل في طيب عيش ودعة من عوادي الزمان إلى أن قامت الدولة ووثبوا
على المقتدر وخلعوه ، وأقاموا ابن المعتز ، فقال : بشرط أن لا يقتل بسبي مسلم ،
ولقبوه « المرتضى بالله » وقيل « المنصف » وقيل « الغالب » وقيل « الراضى »
فحدث المعافى بن زكريا الجري قال : لما خلع المقتدر وبويع ابن المعتز

دخلوا على شيخنا محمد بن جرير رحمه الله ، فقال : ما الخبر ؟ فقيل له : بوع ابن المعتز ، قال : فمن رشح للوزارة ؟ فقيل : محمد بن داود ، قال : فمن ذكر للقضاء ؟ قيل : الحسن بن المثنى ، فأطرق ثم قال : هذا الأمر لا يتم ، قيل : وكيف ؟ قال : سلك واحد ممن سميتم متقدماً في معناه ، على الرتبة ، والدنيا مولية ، والزمان مدبر ، وما أرى هذا إلا لاضمحلال ، وما أرى لمدته طولاً .

وبعث ابن المعتز إلى المقتدر يأمره بالتحول إلى دار محمد بن طاهر ، لسيك ينقل هو إلى دار الخلافة ، فأجاب ، ولم يكن بقي معه غير مؤنس الخادم ومؤنس الخازن وغريب خاله وجماعة من الخدم ، فباكر الحسين بن حمدان دار الخلافة فقاتلها ، فاجتمع الخدم فدفعوه عنها بعد أن حمل ما قدر عليه من المال وسار إلى الموصل ، ثم قال الذين عند المقتدر : يا قوم نُسَلِّم هذا الأمر ، ولا نجرب أنفسنا في دفع منازل بنا ، فزولوا في الزواجر ، وألبسوا جماعة منهم السلاح ، وقصدوا الحرم وبه عبد الله بن المعتز ، فلما رآهم من حوله أوقع الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا منهزمين بلا حرب ، وخرج ابن المعتز فركب فرساً ومعه وزيره محمد بن داود وحاجبه يمن ، وقد شهر سيفه وهو ينادى : معاشر العامة ادعوا لخليفكم ، وأشاروا إلى الجيش ليتبعوهم إلى سامرا ليثبتوا أمرهم ، فلم يتبعهم أحد ، فزل ابن المعتز عن دابته ودخل دار ابن الجصاص الجوهري ، واختفى الوزير ابن داود والقاضي الحسن بن المثنى ، ونُهبت دورهم ، ووقع النهب والقتل في بغداد ، وقبض المقتدر على الأمراء والقضاة الذين خلعوه ، وسلمهم إلى مؤنس الخازن ، فقبلهم ، واستقام الأمر للمقتدر ، واستوزر ابن الفرات ، ثم بعث جماعة فكبسوا دار ابن الجصاص وأخذوا ابن المعتز وابن الجصاص ، فصودر ابن الجصاص ، وحبس ابن المعتز ، ثم أخرج فيما بعد ميتاً ، ورثاه على بن محمد بن بسم بقوله [من البسيط] :

لِلّهِ دَرَكٌ مِنْ مَلَكٍ بِمَضِيعَةٍ نَاهِيكَ فِي الْعَقْلِ وَالْآدَابِ وَالْحَسْبِ

حرفة الأدب

ما فيه لو^١، لا، ولايت^٢ تنقصه وإنما أدركته حرفة^٣ الأدب
وهو مأخوذ من قول أبي تمام الطائي [من البسيط]:

ما زلت أرمي بآمالى مطالبها لم يخلق العرض منى سواه مطلق
إذا قصدت لثأو خلت أئى قد أدركته أدركنى حرفة الأدب

وقد تلاعب الشعراء بهذا المعنى، فقال ابن الساعاتى [من البسيط]:
عفت القريض فلا أسموله أبداً حتى لقد عفت^٤ نأرويه فى الكتب
هجرت^٥ نظمي له لآ من مهاتته لكنها خيفة من حرفة^٦ الأدب
وقال ابن قلاقس [من البسيط]:

لا أقتضيك لتقديم وعدت به من عادة الغيث أن يأتى بلا طلب
عيون جاهك عنى غير نائمة وإنما أنا أخشى حرفة^٧ الأدب

وذكرت بهذا ما أنشدنيه بعض أدباء العصر متسلية، حين قعدت
الأحوال، وقامت الأهوال، وهو الشهاب ابن محمود النابلسى، رحمه الله تعالى
[من المجتث]:

عبد الرّحيم أضاعوا بدولة ضيئته
ما فيه لو^٨ ولا لى^٩ إنما أدركته^{١٠} (١)

رجع إلى أخبار ابن المعتز رحمه الله.

قال بعض من كان يخدّمه: إنه خرج يوماً يتنزه ومعه ندماءه، وقصد باب
الحديد، وبستان الناعورة، وكان ذلك آخر أيامه، فأخذ خزفة^{١١}، وكتب على
الجص [من المجتث]:

(١) فى الأصول « ما فيه لولا وليت وإنما » محرفاً عما أثبتناه

سَقِيًّا لَظَلَّ زَمَانِي وَدَهْرِي الْحَمُودِ
وَلَّى كَلِيلَةَ وَصَلٍ قَدَامَ يَوْمِ صُدُودِ
قال : وضرب الدهر ضرباته ، ثم عُدَّتْ بعد قتله ، فوجبتُ خطه خفياً ،
ونحنه مكتوب [من المجتث] :

أَفَ لَظَلَّ زَمَانِي وَعَيْشِي الْمُنْكَودِ
فَارَقْتُ أَهْلِي وَإِلَنِي وَصَاحِبِي وَدُودِي
وَمِنْ هَوَيْتُ جَفَانِي مَطَاوَعًا لِحُسُودِي
يَا رَبِّ مَوْتًا وَإِلَا فَرَاخَةً مِنْ صُدُودِ

و يقال : إنه لما سلم لمونس الخادم ليهلكه أنشد^(١) [من البسيط] :

يَا نَفْسُ صَبِرًا لَعَلَّ الْخَيْرَ عَقْبَاكِ خَانَتْكِ مِنْ بَعْدِ طَوْلِ الْأَمْرِ دُنْيَاكِ
مَرَّتْ بِنَا سَحَرًا طَيْرٌ قَفَلْتُ لَهَا : طُوبَاكِ يَا لَيْتِي إِيَّاكِ طُوبَاكِ
إِنْ كَانَ قَصْدُكَ شَوْقًا بِالسَّلَامِ عَلَيَّ شَاطِي الْفَرَاتِ ابْلَغْنِي إِنْ كَانَ مَثْوَاكِ
مِنْ مَوْثِقٍ بِالْمَنَايَا لَا فَكَاكَ لَهُ يَبْكِي الدَّمَاءُ عَلَى الْفِ لِهَ بَاكِ
إِلَى أَنْ قَالَ :

أَظَنَّهُ آخَرَ الْأَيَّامِ مِنْ عُمرِي وَأَوْشَكَ الْيَوْمَ أَنْ يَبْكِي لَهُ الْبَاكِ
ومن ثمره الجارى مجرى الحكم والأمثال : . من تجاوز الكفاف لم يفته
الإكثار . ربما أوردَ الطمع ولم يصدر . من ارتحل الحرص^(٢) أضناه الطلب^(٣) .

(١) فى الديوان (٣٣٩) بيتان أولهما أول هذه الأبيات وثانيهما :
لكن هو الدهر لقياه على حذر فرب حارس نفس تحت أشراك
(٢) ارتحله : اتخذده راحله يركبها فى سيره ، والمراد من اتخذ الحرص
وسيلة إلى أغراضه

(٣) أضناه : أورثه الضنى ، يريد أتعبه

الحظ يأتي من لا يأتيه . أشقى الناس أقربهم من السلطان كما أن أقرب الأشياء
إلى النار أسرعها إلى الاحتراق . من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل
الآخرة . يكفيك للحاسد غمه بسروك .

ومن شعره ^(١) [من الطويل] :

وإني لمعدورٌ على طولِ حبها لأن لها وجهًا يدلّ على عذري
إذا ما بدتْ والبدرُ ليلةَ تيمُّ رأيتَ لها فضلًا مبينًا على البدرِ
وتهتز من تحت الشياب كأنها قضيبٌ من الریحان في الورق الخضرِ
أبي الله إلا أن أموت صباةً بساحرةِ العينين طيبةِ النشرِ
ومنه [من السريع] :

من لي بقلبٍ صيغ من صخرةٍ في جسدٍ من لؤلؤٍ رطبٍ
جرحتُ خدي به بلحظي فإني برحتُ حتى اقتص من قلبي
ومنه ، ويمزى لغيره [من المتقارب] :

تفقد مساقط لحظ المريبِ فإن العيونَ وجوه القلوبِ
وطالعُ بواذره في الكلام فإنك تجني ثمار الغيوبِ
ومنه [من السريع] :

سابقٌ إلى مالِكٍ ورثتهُ ما المرء في الدنيا بلبّاثٍ
كم صامتٌ تخفق أكياسه قد صاح في ميزان ميراثٍ
ومنه [من البسيط] :

يا طارقي الدُّجى والليل مُنبسطُ على البلاد بهم ثابتُ الدَّعَمِ
طرقتُ بابَ غنى طابتُ مواردهُ ونائلًا كأنهم مال العارض السجمِ

حكم الضيوف بهذا الربع أنفذ من حكم الخلائف أبأى على الأسم
فكل ما فيه مبذول لطارقه ولا زمام له إلا على الحرم
ومنه قوله في القلم [من الخفيف] :

قلم ما أراه أم فلك يجسرى بما شاء قلم ويسير
راكع ساجد يقبل قرطا ساقبل البساط شكور

ومنه قول ابن طباطبا [من الكامل] :

قلم يدور بكفه فكأنه فلك يدور بنجسه وسوده

وقوله فيه أيضا، وأجاد [من الكامل] :

أقسمت بالقلم الحسام فلم يزل يردى به حتى وينتاش الردى
وإذا رصيت فريقه أربى وإن أضمرت سخطا مع سم الأسود
فكانه فلك بكفك دائر يجرى النجوم بالبحس وبأسعد

وما أحسن قول الآخر فيه [من الكامل] :

قلم يفل الجيش وهو عزم والبيض ما سلت من الأغاد
وهبت له الآجام حين نشأ بها كرم السيول وصوله الآساد

وقول التهامي فيه أيضا [من الكامل] :

قلم يقلم ظفر كل مامة ويكف كفو حوادث الأيام

وقول أبي سعيد بن بوقه [من الكامل] :

قلم يمج على العداة سماه لكنه للرعيين سماه
كم قد أسلت به لمبدك ريقة سوداء فيها نعمة بيضاء

ومحاسن ابن المعتز كثيرة، وكان قتله في ربيع الآخر سنة ست وتسعين

ومائتين، رحمه الله وسامحه !!

أبيات في
وصف القلم

٨٠ - * يَقْبِي جُلُوسَ الْبَدَوَى الْمُصْطَلَى *

د التركيب
ن السكون

قائله المنتهي ، من أرجوزة ^(١) قالها ارتجالاً في مجلسه يصف كلباً أخذ ظلياً
وحده بغير صقر ، وأولها :

ومنزل ليس لنا بمنزل ولا لغير الغاديات الهطل ^(٢)
نَدَى الخزامى ذَفِرَ القَرَنُفُلُ مُحَلَّلٍ مِلْوَحْشٍ لَمْ يَحَالِ
عَنْ لَنَا فِيهِ مُرَاعِي مُغْزَلٍ مُحَيِّنُ النَفْسِ بَعِيدُ المَوْتِلِ ^(٣)
أَغْنَاهُ حَسَنُ الجِدْعِ نَبَسُ الحَلِي وَعَادَةُ العُرَى عَنِ التَفَضُّلِ
كَأَنَّهُ مُضَنِّخٌ بَصَنْدَلٍ مِمْتَرِضًا يَمْتَلِ قَرْنِ الأَيْلِ
يَحُولُ بَيْنَ الكَلْبِ والتَّامُلِ خَلٌّ كَلَابِي وَتَأَقُّ الأَحْبُلِ
عَنْ أَشْدَقِ مُسَوِّجٍ مُسْلَسِلٍ أَقْبَ سَاطِئِ شَرَسٍ تَمَرْدَلِ ^(٤)
مِنْهَا إِذَا يُنْغِ لَهُ لَا يَغْزَلُ مُؤَجَّدُ الفِقْرَةِ رَخَوِ المَفْصَلِ ^(٥)
لَهُ إِذَا أُدْبِرَ لِحْظُ المَقِيلِ يَمْدُو إِذَا أَحْزَنَ عَدُوَّ المَسْهَلِ
* إِذَا تَلَّأَ جَاءَ المَدَى وَقَدْ تُبْلَى *

وبعد البيت ، وبعده :

(١) أقرأها في الديوان (٣-٢٠١)

- (٢) الغاديات : السحب ، والهطل : جمع هاطلة ، وهي الكثيرة الماء .
(٣) أراد بالمراعى الطي ، والمغزل : التي معها غزاها ، ومحين النفس : هالك
(٤) الأشدق : الواسع الشدق ، والمسوجر : الذي في رقبته ساجور ،
والمسلل : الذي في رقبته ساسلة . والأقب : الضامر البطن ، والساطى :
الذي يسطو على الصيد .
(٥) مأخوذ من النفاة ، وهو الصباح ، ولا يغزل : لا يتلهف ولا يتحير .

بازنح تجذولة لم تجدل
فقل الأيادي ريدات الأرجل
آثارها أمثالها في الجندل
يكاد في الوئب من التفتل
يجمع بين منه والكلكل
وبين أعلاه وبين الأسفل
وهي طويلة

والإلقاء : الجلوس على الأليتين ، والمصطلى : المتدفق بالنار .

والشاهد فيه : وقوع التركيب في هيئة السكون لوجه الشبه من الهيئة
الحاصلة من موقع كل عضو من الكلب في إقامته ، فإنه يكون لكل عضوه
موقع خاص ، والمجموع صورة خاصة ، مؤلفة من تلك المواقع ، وكذلك صورة
جلوس البدوي عند الاصطلاء بالنار الموقدة على الأرض .

وفي مثل ذلك قول الأخيطل الأهوازي يصف (١) مصلوباً [من البسيط] :
أبيات في وصف
المصلوب

كانه عاشق قد مد صفحته
يوم الفراق إلى توديع مرتحل
أو قائم من نعاس فيه لوثته
مواصل لتطيه من الكسل
شبهه بالتمطى المواصل لتمطيه مع التعرض لسببه ، وهو اللوثة والكسل ، فنظر
إلى الجهات الثلاث ، فلطف بحسب التركيب والتفصيل ؛ بخلاف تشبيهه
بالمتمطى ، فإنه قريب التناول ، يقع في نفس الرائي للمصلوب ، لكونه
أمراً جلياً .

وقد أحسن ابن الرومي في وصف المصلوب (٢) بقوله [من الطويل] :

كان له في الجوة جبلاً يبوعه
إذا ما انقضى جبل أتيح له جبل
يعانق أنفاس الرياح مودعاً
وداع رجل لا يحط له رجل

(١) أنشدهما الشيخ عبد القاهر في أمرار البلاغة (١٦٣) بدون نسبة

(٢) أنشدهما الشيخ في أمرار البلاغة (١٦٤) منسوبين لابن الرومي أيضاً

(٤ - مامد ٢)

ولبحترى فيه [من الكامل] :

فتراه مطرداً على أعواده مثل أطراد كواكب الجوزاء
مستشرفاً لشمس منتصباً لها فى أخريات الجنع كالخرباء
ولا بن المعتز فيه [من الوافر] :

أرأيتك إلا له قرين جنع يضمك غير ضم الالتزام
كلو طي له أير طويل يفخذ للمواجر من قيام

ولا إبراهيم بن المهدي فيه [من البسيط] :

كانه شلوكبش والمجير له تنور شافية والجنع سفود

ولا بن حمديس فيه [من الطويل] :

ومر نفع فى الجنع إذ حط قدره أساء إليه ظالم وهو محسن
كنى غرق مد الذراعين سايحاً من الجوز بجرأ عومه ليس يمكن
ونحبه من جنة الخلد دانياً يعانق حوراً لا تراهن أعين

وما أحسن قول ابن الأبارى فى ابن بنية (١) الوزير لما صلب من

أبيات [من الوافر] :

كان الناس حولك حين قاموا وفود يدبك أيام الصلوات
كانك قائم فيهم خطيباً وكلهم قيام للصلاة
وقد أخذ معنى البيت الأول من قول ابن المعتز [من الطويل] :
وصلوا عليه خاشعين كأنهم وفود وقوف للسلام عليه

(١) أنشد الشيخ عبد القاهر ستة عشر بيتاً من هذه المراثية فيها هذا البيتان ، فى أسرار البلاغة (٣٠٠)

ولعمرا اطراف فيه [من الكامل] :

انظرُ إليه كأنه في وصفه مُنْظَمَ لَحْظَ السماء بطرفه
بسطَ اليدين كأنه يدعُو على من قد أشار على الأمير بحتفه

والفقيه عمارة المبنى فيه [من الوافر] :

ومدَّ على صليب الصليب منه يميناً لا تطولُ إلى شمال
ونكسَ رأسه لعتاب قلب دَعَاهُ إلى الغواية والضلالِ

ومن العجيب أنه صلب بعد قوله هذا بقليل ، صلبه الملك الناصر صلاح الدين
يوسف بن أيوب ، فكانت هذه الكلمات كالفأل عليه ، وله في معناه أيضاً
[من الكامل] :

ورأت يداهُ عظيمَ ما جَنَنَّا ففَرَرْنَ ذى شَرِّنا وذى غَرِّنا
وأمالَ نحوَ الصدرِ منه فَنَّا ليومَ في أفعاله القلبِنا

٨١ — كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامةً فلما رأوها أقشعت وتجلَّت
شاهد للركب العقلي للنتزع من متعدد

البيت من الطويل ، ولا أعرف قائله (١) .

والمعنى : أبرقت الغمامة للقوم ، تخفف الجار وأوصل الفعل ، ومعنى أقشعت
وتجلَّت : تفرقت وانكشفت .

والشاهد فيه : المركب العقلي من وجه الشبه ، وأنه قد ينتزع من متعدد
فيقع الخطأ لوجوب انتزاعه من أكثر ، كما إذا انتزع وجه الشبه من الشرط الأول
من البيت ، فانه يكون خطأ لوجوب انتزاعه من جميعه ، فان المراد تشبيه الحالة

(١) أنشده الشيخ عبد القاهر في أسرار البلاغة (٨٨ الطبعة الثالثة)

المذكورة في الآيات السابقة على هذا البيت بظهور الغاية لعموم عطاشي ثم تفرقها وانكشافها بواسطة اتصال مطعم بإنهاء موئس ، لأن البيت مثل في أن يظهر للضرر إلى الشيء الشديد الحاجة إليه أمانة وجوده ثم يفوته ويبقى تحسره وزيادة ترجمه .

وفي معناه قول مسلم بن الوليد [من الطويل] :

وشنك إذ أقبلت في عارض الغنى فاقلمت لم تذبح برى ولا خل

وقول بشار بن برد [من الطويل] :

أظلت علينا منك يوماً سحابة أضاعت لنا برقاً وأبطأ رشاشها

فلا غيمها يجلي فيئاس طامع ولا غيمها يأتى فرؤى عطاشها

وقوله [من الوافر] :

لمروان مَوَاعِدُ كاذبات كما برق الحياء وما استملاً

والأصل فيه قول الأحوص [من الطويل] :

وكنْتُ وما أملتُ منك كَبَارِقِ لوى قَطْرُهُ من بعد ما كان غيماً

وما أحسن قول بعضهم [من الطويل] :

ألا إنما الدنيا كظِلٍّ غَمَامَةٍ إذا ما رجاها المستهل أضمحلت

فلا تَكُ مِرْآحاً إذا هي أقبلت ولا تَكُ مِحْزَاناً إذا ما تولت

ولابن الطراوة النحوى فى معنى البيت وقد خرجوا ليستسقوا على إثر قطع

فى يوم غامت سماءه فزال ذلك عند خروجهم [من الكامل] :

خَرَجُوا لَيْسَتْ سَمَاءٌ وَأَوْدَتْ نَشَاتُ بَحْرِيَّةٍ قَيْنٌ بِهَا السَّحَابُ

حتى إذا اصطفوا لدعوتهم وبدا لأعينهم بها نَضْحُ

كُشِفَ الغمامُ إجابةً لهم فكانهم خرجوا لَيْسَتْ صَحَا

وقد سبقه إلى ذلك أبو على الحسن التنوخى فقال [من الطويل] :

آيات في وصف
الضباب الذي
لا يجبه المطر

خرجنا لنستسقى بِيَمْنِ دُعَائِهِ وقد كادَهُدْبُ الْعِمْ أَنْ يَلْبِسَ الْأَرْضَا
فلما بدا يدعو تَفَشَّعَتْ السَّمَا فَا تَمَّ إِلَّا وَالْقَسَامُ قَدْ ارْفُضَا
ومنه قول بعضهم [من الكامل]:
لما بدا وجه السماء لهم متجهماً لم يُبْدِ أنواء
فاموا ليستسقوا الآله لهم غيظاً فلم يسقيهم الماء^(١)

٨٢ - فان تَقَيَّ الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَانَّ الْمُسْكُ بَعْضُ دَمْرِ الْفَزَالِ
البيت لأبي الطيب المتنبي، من قصيدة^(٢) من الوافر، يرثي بها والده
سيف الدولة بن حمدان، أولها:

نُيِّدُ الْمَشْرِقِيَّةَ وَالْعَوَالِي وَتَقْتُلُنَا الْمُنُونُ بِلَا قِتَالِ
وَزَرَبْتُ السَّوَابِقَ مَقْرَبَاتٍ وَمَا يُنْجِينُ مِنْ خَبَبِ اللَّيَالِ
وهي طويلة، وقبل البيت قوله يخاطب سيف الدولة:

رَأَيْتُكَ فِي الَّذِينَ أَرَى مُلُوكَا كَأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ فِي مَحَالِ

حكى أن المتنبي قيل له: إن المحال لا يطابق الاستقامة، ولكن القافية
أجأتك إلى ذلك، فلو فرض أنك قلت «كأنك مستقيم في اعوجاج» كيف
كنت تصنع في الثاني؟ فقال ولم يتوقف «فان البيض بعض دم الدجاج»
فاستحسن هذا من بديهته.

والشاهد فيه: بيان أن المشبه أمر ممكن الوجود، وذلك في كل أمر
غريب يمكن أن يخالف فيه ويدعى امتناعه، فانه أراد أن يقول: إن الممدوح

(١) كذا، وفيه أنه أثبت حرف الهلة مع وجود عامل الجزم، وله
تظاير في العربية

(٢) اقرأها في الديوان (٣-٧)

قد فاق الناس ، بحيث لم يبق بينه وبينهم مشابة بوجه ، بل صار أصلاً برأيه
وجنساً بمفرده ، وهذا في الظاهر كالممتنع ، لاستبعاد أن تنتهي بعض آحاد النوع
في الفضائل الخاصة بذلك النوع إلى أن يصير كأنه ليس منها ، فاحتج لهذه الدعوى
وبين إمكانها بأن شبه حاله بحال المسك الذي هو من الدماء ثم إنه لا يند منها
لما فيه من الأوصاف الشريفة التي لا توجد في الدم ، ويسمى مثل هذا تشبيها
ضمناً أو مكنياً عنه ، للدلالة البيت عليه ضمناً ،

وقد أحسن السراج الوراق تضمينه بقوله [من الوافر] :

وَأَصِيدَ ظِلٌّ يَدْرِكُ يَوْمَ صَيْدِ طَرَائِدِهِ بِجُرْدٍ كَالسَّعَالِي
فَانْ عَبَقَتْ لَنَا بِمَنَاهُ مِسْكَ فَا نَ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

آيات في معنى
أخراجه الفعي
عن جنسه فضيلة

والشهاب ابن بنت الأعرز بقوله [من الوافر] :

وَقَالُوا بِالْعِدَارِ تَسْلُ عَنْهُ وَمَا أَنَا عَنْ غَزَالِ الْحَسَنِ سَالِي
وَإِنْ أَبَدَتْ لَنَا خَدَاهُ مِسْكَ فَا نَ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

ويشبه قول أبي الطيب المتنبي هنا في سيف الدولة قوله في عضد الدولة

[من الوافر] :

وَلَوْلَا كَوْنُكُمْ فِي النَّاسِ كَانُوا هُرَاءَ كَالْكَلَامِ بِلَا مَعَانٍ^(١)

ومثله قول يحيى بن بقى [من البسيط] :

هَلْ يَسْتَوِي النَّاسُ قَالُوا كُلُّنَا بَشَرٌ فَالْمَنْدَلُ الرُّطْبُ وَالطَّرْفَاءُ أَعْوَادُ

والغزى في مثله [من المتقارب] :

فَلَا غُرُوَ إِنْ كُنْتَ بَعْضُ الْوَرَى فَإِنَّ الْيَلْدَنْجُوجَ بَعْضُ الْخَطْبِ

(١) في الأصل « هذا كالكلام بلا معان » محرفاً ، وما أثبتناه موافقاً لما
في الديوان (٤ - ٢٦٢) والهاء - بزة الغراب - الفاسد من الكلام

ومنه قول خاف بن عبد العزيز النحوى [من الكلل] :

ما أنت بعض الناس إلا مثل ما بعض الحصى اليقوتة الخراء

والحصري فيه [من الطويل] :

أبا بكر أن أصبحت بعض ملوكهم فإن الليالى بعضها ليلة القدر

ومثله قول ابن قلاق وأجاد [من الكامل] :

أنترت من آباءك الصيد الأولى ذكراً لسان الدهر نأثر نثرو

كرموا فردت عليهم فكأتمهم شهر الصيام وأنت ليلة قدر

ومثله قول التهامي [من الطويل] :

لقد شرف الرحمن قدرك في الورى كما في الليالى شرفت ليلة القدر

وإن كنت من جنس البرايا وقتنهم فللمسك نشر ليس يوجد في المطر

وما أحسن قول شيخ الشيوخ رحمه الله [من البسيط] :

فأقت بيوسفها الدنيا وفتح لها طيب طوى المسك من نشر لها ربح

فان يشاركه في اسم الملك طائفة فان شمس الضحى من جملة الشرج

ومثله قول عبد الصمد بن بابك [من الطويل] :

تقاسم عنك الفاخرون فأحجموا وخيل المغاني غير خيل المواكب

فان زعم الأملأك أنك منهم فخاراً فان الشمس بعض الكواكب

ومن البديع في معناه قول ابن شرف القيرواني [من الكامل] :

سلك الورى آثار فضلك فأنثى متكلف عن مسلك مطبوع

أبناء جنسك في الحلى لافي العلأ وأقول قولاً ليس بالمفعول

أبدأ ترى البيهين يختلفان في الـمـمـنى ويتفان في التقطيع

وفي مقولب معنى البيت قول الصاحب بن عباد بهجو [من الوافر]:
أبوك أبو علي ذو اعتلاء إذا عُدَّ الكرامُ وأنتَ تحِلُّهُ
وإن أباك إذ تَمَرَى إليه لكالطاووس تَبَحُّ منه رجُلُهُ

٨٣ - وَلَا زَرْدِيَّةٍ تَزْهَوُ بِرُفْقِهَا وَسَطَّ الرِّيَاضِ عَلَى حُمْرِ الْبَوَاقِيتِ
كَأَنَّهَا وَضَعُفُ الْقُضْبِ تَحْمِلُهَا أَوَائِلُ النَّارِ فِي أَطْرَافِ كِبْرِيتِ (١)

شاهد ندرة
حضور التشبه
به في الذهن
عند حضور
تشبه

البيتان لابن الرومي يصف البنفسج، وقبلهما:

بنفسجٌ جُمِعَتْ أَوْرَاقُهُ خُفَى كَحُلَا تَشْرَبُ دَمًا يَوْمَ تَشْتَبِثِ

وهي من قصيدة من البسيط: (٢)

والشاهد فيهما: كون التشبه به نادر الحضور في الذهن عند حضور المشبه
فان صورة اتصال النار بأطراف الكبريت يتندر حضورها في الذهن عند حضور
صورة البنفسج، فيُستطرف لمشاهدة عناق بين صورتين متباعدتين غاية التباعد
فانه أراك شها لنبات غَضَّ يرفّ، وأوراق رطبة من لُهب نار، استولى عليه
الليس، ومبنى الطبائع على أن الشيء إذا ظهر من موضع لم يعهد ظهوره منه كان
ميل النفوس إليه أكثر، وهي بالشغف به أجدر.

وهذان البيتان من نادر التشبيه وغريبه، وليس يمدّ لهما إلا قول النخعي

[من البسيط]:

(١) الذي في نسخ التلخيص

كأنها فوق قلمات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت

(٢) لا توجد في ديوانه المطبوع كلمة على هذا الوزن والروي

بَنَفْسُجٌ بِذِكْرِ الْمَسْكِ خُصُوصُ
 مَا فِي زَمَانِكَ إِنْ وَاقَاكَ تَنْفِيسُ
 كَأَنَّمَا شُعْلُ الْكَبْرِيتِ مَنْظَرُهُ
 أَوْخَذُ أَغِيدَ بِالتَّخْمِيشِ مَقْرُوصُ
 وقول الآخر [من الكامل] :

مَازَلْتُ مِنْ شَغْنِي أَلْعُ كَفَهَا
 وَذِرَاعَهَا بِالْقَرْصِ وَالْآثَارِ
 حَتَّى جَعَلْتُ أَدِيمَهَا وَكَأَنَّمَا
 غَرَسَ الْبَنَفْسُجُ فِي ثَقَا الْجَارِ
 وقد لطف ابن كَيْخَلُغُ فِي استعارة المعنى ، فقال [من الكامل] :

لَمَّا التَقِينَا لَوْدَاعٍ وَأَعْرَبْتُ
 عِبْرَاتُنَا عَنَّا بِسَمْعِ نَاطِقِ
 فَرَقْنَا بَيْنَ مَحَاجِرٍ وَمَعَاجِرٍ
 وَجَعْنَا بَيْنَ بَنَفْسُجٍ وَشَقَاقِ
 واستعاره أَبُو تَمَامٍ فِي قَوْلِهِ [من الوافر] :

لَهَا مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ التَّدَامُ
 يُعِيدُ بِنَفْسُجًا وَرَدَّ الْخُذُودُ
 وقوله « التَّدَامُ » مِمَّا أَخَذَ عَلَيْهِ بِهِ فِي جُمْلَةٍ مَا أَخَذَ .

٨٤ — وَبَدَأَ الصَّبَاحُ كَأَنُّ غُرَّتِهِ وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُتَمَدَّحُ
 شامد التشبيه
 للقلوب

البيت لمحمد بن وهيب الحميري ، من قصيدة من الكامل ، يمدح بها
 المأمون ، وأولها :

الْمَرْءُ إِنْ أَنْصَفَ مَتَضَحٌ
 وَشُهُودُ حَبْكٍ أَدْمَعُ سَفْحُ^(١)

(١) اقرأ أكل ما أورده المؤلف من أبيات هذه القصيدة في الأغاني
 (١٧ - ١٤٨ بولاق)
 (٢) في الأغاني « وشهيد حبك »

وَإِذَا تَسَكَّمَتِ الْعَيُونُ عَلَىٰ
فَضَحَتْ ضَمِيرَكَ عَنْ وَدَائِعِهِ
رُبَّمَا أُبَيَّتْ مُعَانِقِي قَرُ
نَشْرَ الْجَمَالِ عَلَىٰ مُحَاسِنِهِ
يَخْتَالُ فِي حُلَلِ الشَّبَابِ ، بِهِ
مَا زَالَ يُلْتَمَنُ مَرَّاشِفُهُ
حَتَّى اسْتَرَدَّ اللَّيْلُ خِلْمَتَهُ
إِعْجَابَهَا فَالَسْرُ مُفْتَضِحُ
إِنْ الْجَفُونَ نَوَاطِقُ فُضْحُ (١)
لِلْحَسَنِ فِيهِ خَائِلُ تَضْيَعُ (٢)
بِدَعَاً وَأَذْهَبَ هَمُّهُ الْفَرْحُ
مَرَحٌ وَدَاؤُكَ أَنَّهُ مَرِحُ
وَيَلْعَنِي الْإِبْرَنْقُ وَالْقَدْحُ
وَنَشَا خِلَالَ سَوَادِهِ وَصَحُ

وبعد البيت ، ثم إنه يقول فيها :

نَشَرْتُ بِكَ الدُّنْيَا مُحَاسِنَهَا
وَكُنَّا مَاقْدَغَابَ عَنكَ لَهُ
وَإِذَا سَلَمْتُ فَكُلُّ حَادِثَةٍ
جَلَلُ ، فَلَا بُؤْسٌ وَلَا تَرْحُ (٣)
وَتَزَيَّنْتُ بِصِفَاتِكَ الْيَدْحُ
وَكُنَّا مَاقْدَغَابَ عَنكَ لَهُ

والشاهد في البيت : إيهام أن المشبه به أتم من المشبه (٥) ، ويسمى التشبيه

(١) في الأغاني « نواطق فضح »

(٢) في الأصل « مهما أبيت » وفي الأغاني « وبما أبيت » وكلاهما محرف

هما أثبتناه

(٣) ورد هذا البيت في الأصل هكذا :

وَكُنَّا مَاقْدَغَابَ عَنكَ لَهُ بِأَزَاهِ طَرْفِكَ عَارِضَ سَحْجِ

وما أثبتناه موافق لما في الأغاني

(٤) جَلَلُ هَاهُنَا بِمَعْنَى هَيْنَ يَسِيرُ

(٥) الأصل في كل تشبيه أن يكون المشبه به أتم في وجه الشبه من المشبه
وعلى ذلك فالعبارة غير وافية بأداء ما يريد المؤلف ، والذي يريده هو أن الذي
من حقه أن يكون مشبها وهو وجه الخليفة في هذا البيت يراد إيهام أنه أتم
في وجه الشبه من الذي حقه أن يكون مشبها به وهو الصباح ، فيعمد إلى قلب
التشبيه بأن يجعل المشبه مشبها به والمشبه به مشبها

القلوب ، فانه قصد إيهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح في الوضوح والضياء ،
وفي قوله « حين يمتدح » دلالة على اتصاف المدوح بمعرفة حق المادح وتظيم
شأنه عند الحاضرين بالاصغاء إليه والارتياح له ، وعلى كونه كاملا في الكرم ،
ينصف بالبشر والطلاقة عند استماع المديح .

وفي معناه قول البحترى [من الطويل] :

كَأَنَّ سَنَاهَا بِالْعَشِيِّ لَصُبْحَهَا تَبَسُّمُ عَيْسَى حِينَ يَلْفُظُ بِالْوَعْدِ
وتقدم ذكر ابن وهيب في شواهد المسند^(١) .

* * *

٨٥ - تَشَابَهَ دَمْعِي إِذْ جَرَى وَمَدَامَتِي فَمِنْ مِثْلِ مَا فِي الْكَأْسِ عَيْنِي تَسْكِبُ
فوالله ما أدرى أبا حجر أسبلت جفوني أم من عبرتي كنت أشربُ

شاهد الحكم
بالتشابه

البيتان لأبي إسحاق^(٢) الصابي ، من الطويل ، ورأيت في يتيمة البيت
الأول بلفظ « تورد » بدل « تشابه » .

والشاهد فيهما : ترك التشبيه والعدول إلى الحكم بالتشابه ، ليكون كل
واحد من الشينين مشبها ومشبها به ، احترازا من ترجيح أحد المتساويين في وجه
الشبه ، فان الشاعر لما اعتقد التساوى بين الحجر والدمع ولم يعتقد أن أحدهما زائد
في الحمرة والآخر ناقص يلحق به حكم بينهما بالتشابه وترك التشبيه .
وفي معناه قول الصاحب بن عباد^(٣) [من الكامل] :

(١) انظر ترجمته في شرح الشاهد (رقم ٤٠ ص ٢١٥ ج ١)

(٢) انظرهما في يتيمة الدهر في ترجمة الصابي (٢ - ٢٣٣)

(٣) انظر هذين البيتين وثلاثة الأبيات بعدها في أثناء ترجمة الصاحب بن
عباد من يتيمة الدهر (٣ - ٢٣٦)

رقى الزجاجُ وراقَتِ الحُرُ وتَشَابَهَا فَتَشَاكَلُ الْأَمْرُ^(١)
فَكَأَنَّمَا خَيْرٌ وَلَا قَدَحٌ وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ وَلَا خَيْرٌ
وقوله أيضاً من أبيات [من الكامل] :

مُتَغَابِرَاتٌ قَدْ جُمِعْنَ وَكُلُّهَا مُتَشَاكَلٌ أَشْبَاهُهَا أَرْوَاحُ
وَإِذَا أَرَدْتَ مَصْرَحًا تَفْسِيرَهَا فَالْأَرْوَاحُ وَالْمِصْبَاحُ وَالْتِفَاحُ
لَمْ يَعْلَمْ السَّاقِ وَقَدْ جُمِعْنَ لِي مِنْ أَى هَذَى تَمَلُّذُ الْأَقْدَاحِ^(٢)

ومثله ما كتب به أبو الوليد بن زيدون إلى المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية
مع تفاح أهدها إليه [من مجزوء الكامل] :

يَا مَنْ تَزَيَّنْتَ السَّيَا دَةً حِينَ الْبَسِ ثَوْبَهَا
جَاءَتْكَ جَامِدَةٌ الْمَدَامُ فَخَذَ عَلَيْهَا ذَوْبَهَا

وهو مأخوذ من قول الخليل [من السريع] :

الرَّاحُ تَفَاحٌ جَرَى ذَائِبًا كَذَلِكَ التُّفَاحُ رَاحٌ جَدُّ
فَاشْرَبَ عَلَى جَامِدِهِ ذَوْبَهُ وَلَا تَدَعُ لَذَّةٌ يَوْمَ الْفَنَاءِ

وللسرى الرفاء في معناه [من المنسرح] :

وَقَدْ أَضَاءَتْ نَجُومُ مَجْلِسِنَا حَتَّى اكْتَسَى غُرَّةٌ وَأَوْضَاحَا
لَوْ جَدَّتْ رَاحُنَا اغْتَنَّتْ ذَهَبًا أَوْ ذَابَ تَفَاحُنَا اغْتَدَى رَاحَا

وطاهر العنابي في هذا المعنى [من الطويل] :

أَيَا لَيْلَةٍ قَدْ بَتَ أَهْزَمُ بَرْدَهَا بِجَيْشَيْنِ مِنْ خَيْرِ عَتِيقٍ وَمِنْ بَجَرٍ

(١) في البيئمة « ورقت الحُر » وما هنا أحسن

(٢) في البيئمة « لو يعلم الساق » وما هنا أحسن

فطوراً أظن الحز من ذوب جمرها وطوراً أظن الجمر من جمدِ الحر
والصابي (١) هو إبراهيم بن هلال بن هارون الحراني (٢). قال في حقه
أبو منصور الثعالبي: هو أوجد العراق في البلاغة، ومن به تُدنى الخناصر في الكتابة،
وتتفق الشهادات له بياوغ الغاية من البراعة في الصناعة. وكان قد بلغ التسعين
في خدمة الخلفاء، وخلافة الوزراء، وتقلد الأعمال الجلائل، مع ديوان الرسائل،
وحلب الدهر أشطره، وذاق حلوه ومره، ولا بس خيره ومارس شره، ورئيس
ورأس، وخُدم وخُدم، ومدحه شعراء العراق في جملة الرؤساء، وشاع ذكره في
الآفاق، ودون له من الكلام البهي النقي العلوي ما تنارت درره وتكاثرت
غره، وفيه يقول بعض أهل العصر [من الكامل]:

أصبحتُ مُشتاقاً حَلِيفَ صَبَابَةٍ برَسَائِلِ الصَّابِي أَبِي إِسْحَاقِ
صَوَّبُ الْبِلَاغَةِ وَالْحَلَاوَةِ وَالْحِجْبِي ذَوْبُ الْبِرَاعَةِ نَسْلُوكُ الْعُشَاقِ
طَوْرًا كَمَا رَقَّ النَسِيمُ وَتَارَةً يَحْكِي لَنَا الْأَطْوَاقَ فِي الْأَعْنَاقِ
لَا يَبْلُغُ الْبُلْغَاءُ شَأَوْ مَبْرُزٍ كَتَبَتْ بِدَائِعِهِ عَلَى الْأَحْدَاقِ
ويقول أيضاً [من الكامل]:

يَا بؤْسَ مَنْ يُعْنَى بِدَمْعِ سَاجِمٍ يَهْنِي عَلَى حُجُبِ الْفَوَادِ الْوَاجِمِ
لَوْلَا تَعْلَاهُ بِكَأْسِ مُدَامَةٍ وَرَسَائِلِ الصَّابِي وَشِعْرِ كُشَاجِمِ

(١) للصابي ترجمة في يتيمة الدهر للثعالبي (٢ - ٣١٨ مصر) وفي وفيات
الاعيان لابن خاسكان (١ - ٢٠ النيل بمصر)

(٢) هكذا وقع في أصول هذا الكتاب موافقا لما في يتيمة الدهر، وفي
ابن خلكان «هو إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون بن جبون» وضبط
زهرون - كمادته - بفتح الزاي وسكون الهاء، وجون بفتح الحاء المهملة
وتفديد الباء الموحدة

ويحكي أن الخلفاء والملوك والوزراء راودوه^(١) كثيراً على الاسلام ، وأداروه بكل حيلة وتمنية جميلة^(٢) حتى إن السلطان بختيار عرض عليه الوزارة إن أسلم فلم يبدئه الله تعالى للاسلام ، كما هداه إلى محاسن الكلام ، وكان يماشر المسلمين أحسن عشرة ، ويخدم الأكاثر أوقع^(٣) خدمة ، ويساعدهم على صيام شهر رمضان ، ويحفظ القرآن الكريم حفظاً يدور على طرف لسانه ، وسن قلبه ، وكان في أيام شبابه واقبله أحسن حالاً وأرخى بالاً منه في أيام استكاله ، وفي زمن اكتهاله أوردى زناً وأسعد جداً منه حين مسه الكبر وأخذ منه الهرم ، ففي ذلك يقول من قصيدة في منها فريدة كتب بها إلى صاحب يشكوبه وحزنه ويستمطر صحابه وفزنه ، بعد أن كان يخاطبه بالكاف ولا يرفعه عن رتبة الأكفاء^(٤) [من الكامل] :

عجباً لحظي إذ أراه مُصالحى عَصَرَ الشَّبابَ وفي المشيب مغاضبي
أمنَ العَواني كانَ حتى خانني شيخاً وكانَ لدى الشَّيبَةِ صاحبي^(٥)
أَمَعَ التَّضَمُّعَ ملئني متجنباً ومع التَّرعَرع كانَ غيرَ مجانبني
ياليت صَبَوْتَهُ إلى تَأَخَّرَت حتى تكونَ ذخيرةً لعواقبي
وكان المهلبى لا يرى الدنيا إلا به ، ويحن إلى براعته^(٦) ، وتقدم قدمه ، ويصطنعه لنفسه ، ويستدعيه في أوقات أنسه . فلما مات المهلبى ، وأبو إسحاق

(١) في البيئمة « أرادوه » وهى أوفق

(٢) في البيئمة « جليلة » وهى أدق

(٣) في البيئمة « أرفع خدمة »

(٤) في الأصل « الأكاف » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما فى البيئمة

(٥) في البيئمة « حتى ملئني » وفيها « وكان على صباى مصاحبى »

(٦) في الأصل « ويحن على » وما أثبتناه موافق لما فى البيئمة

بلى ديوان الرسائل والخلافة على ديوان الوزارة اعتقل فى جملة عمال المهلبى
وأصحابه ، فن قوله فى ذلك الاعتقال من قصيدة [من الكامل] :

يأبها الرؤساء دعوة خادِمٍ	أوفت رسائله على التعديدِ
أجوز فى حكم المروءة عندكم	حبسى وطول تهدى ووعدى
أنسىم كتباً شحنت فصولها	بفصول دُر عنكم منضودِ
ورسائلاً نفدت إلى أطرافكم	عبد الحميد بين غير حميدِ (١)
يهتز سامعهم من طرب كما	هز النديم سماع صوت العودِ (٢)

ومنها :

قصرت خطاهُ خلاخل من قيده فتراه فيها كالفتاة الرودِ
يمشى المويئبى ذلة لا عزة مشى الزيف الخائف المزودِ

ولما خلى عنه وأعيد إلى عمله لم يزل يطير ويقع ، وينخفض ويرتفع ، إلى
أن دُفع فى أيام عضد الدولة إلى النكبة العظمى ، والطامة الكبرى ، إذ كان
فى صدره حزازات كثيرة من إنشاءات له عن الخليفة ، وعن (٣) بختيار قمعها
منه واحتقدها عليه . قيل : كان من أقوى أسباب تغير عضد الدولة على أبى
إسحاق بعد ميله إليه وضنه به فصل له من كتاب أنشأه عن الخليفة فى شأن
بختيار ، وهو « وقد جدد له أمير المؤمنين مع هذه المساعي السوابق ، والمعالى

(١) فى الأصل « ورسائلاً نفدت » بالdal مهجلة ، وما أثبتناه موافق لما
فى اليتيمة ولانسجام البيت

(٢) فى اليتيمة « ضرب العود »

(٣) فى اليتيمة « من إنشاءات له عن الخليفة الطائع فى شأن عز الدولة
بختيار » وهو المناسب لما يلى ذلك بثلاثة أسطر .

السواق ، التي يلزم كل دان وقاص ، وعام وخاص ، أن يعرف له حق ما أكرم به منها ، ويتزحزح عن رتبة المائلة فيها » فان عضد الدولة أنكر هذه اللفظة أشد إنكار ، ولم يشك في التعريض به ، وأسرّها في نفسه ، إلى أن ملك بغداد وسائر العراق ، وأمر أبا إسحاق بتأليف كتاب في أخبار الدولة الديلمية يشتمل على ذكر قديمه وحديثه ، وشرح سيره وحروبه وفتوحه ، فامتلأ أمره ، وافتتح كتابه المترجم بالنجاشي ، واشتغل به في منزله ، وأخذ يتأنق في تصليفه وترصيفه ، وينفق من روحه على تفریطه وتشنيفه ، فرفع إلى عضد الدولة أن صديقاً للصابي دخل إليه ، فرآه في شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبديل والتبويض ، فسأله عما يعمل من ذلك ، فقال : أبا طيل أنعمها ، وأكاذيب ألقها ، فانضاف تأثير هذه الكلمة في قلب عضد الدولة إلى ما كان في نفسه من أبي إسحاق ، وتحرك من ضغنه الساكن ، وثار من سخطه الكامن ، فأمر أن يلقي تحت أرجل الفيلة ، فأكب جماعة من أرباب الدولة على الأرض ، يقبلونها بين يديه ، ويشغفون إليه في أمره ، ويتلطفون في استيهاه ، إلى أن أمر باستحيائه مع القبض عليه وعلى أسبابه ، واستصفاء أمواله ، فبقى في ذلك الاحتقال بضع سنين إلى أن تخلص في آخر أيام عضد الدولة ، وقد رزحت حاله وتهتك ستره .

وكان صاحب ابن عباد يحبه أشد الحب ، ويتمصب له ويتمهده على بعد الدار بالنخ ، والصابي يخدم حضرته بالمدح ، وكان صاحب يتمنى أن يجازيه إليه وقبومه عليه ، ويضمن له الرغائب على ذلك إما تشوقاً أو تشرفاً وكان هو يحتمل قتل الخلة ، وسوء أثر العظلة ، ولا يتواضع للاتصال بجملته صاحب بعد كونه من نظرائه وتحليه بالرياسة في أيامه .

وكان صاحب كثيراً ما يقول : كتاب الدنيا وبلغاء العصر أربعة ،

الاستاذ ابن العميد ، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، وأبو إسحاق الصابي ، ولو شئت لذكرت الرابع ، يعني نفسه .

فأما الترجيح بين هذين الصادين ^(١) — أعنى صاحب والصابي — فقد خاض فيه الخائضون ، وخَبَّ فيه الحبون ، ^(٢) ومن أشف ما سمعته من ذلك أن صاحب كان يكتب كما يريد ، والصابي يكتب كما يؤمر : أى كإبراد ، وبين الحاليين بَوْنٌ بعيد ، وكيف جرى الأمر فهنأهما ، ولقد وقف فلك البلاغة بعدهما . ولنذكر نبذاً من نثره ونظمه ، لتكون كالعنوان على محاسنه .

فمن ذلك فصل له من كتاب إلى عضد الدولة فى التهنئة بتحويل سنة « أسأل الله مبهلاً لديه ، ماداً يدي إليه ، أن يحيل ^(٣) على مولانا هذه السنة وما يتلوها من أخواتها بالصلحات الباقيات ، والزوائد الفاعرات ، ليكون كل دهر يستقبله وأمد يستأنفه ، وموفياً على المتقدم له ، قاصراً عن المتأخر عنه ، ويوفيه من العمر أطوله وأبعده ، ومن العيش أعذبه وأرغده ، عزيزاً منصوراً ، محمياً موفوراً ، باسطاً يده لا يقبضها إلا على نواصي أعداء وحساد ، سامياً طرفه فلا يعقبه إلا على لذة غرض ورفاد ، مستريحاً ركابه فلا يُعْمَلُها إلا لاستضافة عز وملك ، فائرة قَدَاحُها فلا يُجِيلُها إلا لحيازة مال وملك ، حق ينال أقصى ما تتوجه إليه أمنية سالحة ، وتسمو له همة طامحة » .

فصل من رسالته فى وصف المتصيد والصيد « وخیلنا كالأمواج المتدفقة ، والأطواد الموقفة ، متشوقة عاطية ، مستبقة جارية ^(٤) تشاق الصيد وهى لاتطمعه ، ونحن إليه كأنه قضيم تقصيمه ، وعلى أيدينا جوارح مؤلة الخالب والمناسر ،

(١) فى البيمة « بين هذين الصادين »

(٢) فى الأصل « وأطلب المخلصون » وما أثبتناه موافق لما فى البيمة

(٣) فى الأصل « أن يحيل » وما أثبتناه موافق لما فى البيمة

(٤) فى الأصل « متشفقة جارية » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما فى البيمة

منربة النصال والخناجر، طامحة الألباط والمناظر، بعينة المرامي والمطارح، ذكية القلوب والنفوس، قليلة القطوب والعبوس، سابغة الأذنان، كريمة الأنساب، صلبة الأعواد، قوية الأوصال، تزيد إذا علمت ^(١) شرها وقربها، وتتضاعف إذا شبت كلباً ونهما، فينا نحن سائرون، وفي الطلب يمينون، إذ وردنا ماء زرقاً جامه، طامية أرجاؤه، ييوج بأسراره صفاؤه، وتلوح في قراره حصاؤه، وأفانين الطير به تحدة، وغواثيه عليه واقعة، متفارة الألوان والصفات، مختلفات الأصوات واللغات، فمن صريح خلص وتهذب نوعه، ومن مشوب تهجن أو أقرق عرقه، فلما أوفينا عليها، أرسلنا الجوارح إليها، كأنها رسل المنايا، أو سهام القضايا، فلم نسمع إلا مسمياً، ولم نر إلا مدكياً، ثم عذنا لشأننا دفعات، وأطلقنا مرات .

ومن فصل منها « ثم عدلنا عن مطارح الخيام، إلى مسارج الآرام، نستقرى ملاعبها، ونؤم مجامعها . حتى أفضينا إلى أسراب لاهية بأطلأها، راتمة بأكلأها ^(٢)، ومعنا فهود أخطف من البروق، وألقف من الليوث، وأمكن من الثعالب، وأدب من العقارب، وأنزى من الجنادب، فخص الخصور، فب البطون، رفش المتون، حمر الآماق، خزر الأحداق، هرت الأشداق، عراض الجباه، غلب الرقاب، كاشرة عن أنياب كالخراب . »

وله فصل في ذكر الأقدار « لله تعالى أقدار ترد في أوقاتها، وقضايا تجري إلى غاياتها، لا يرد شيء منها عن شأوه ومداة، ولا يُصددون مطلبه ومنجاه، فهي كالسهم التي لا تثبت إلا في الأغراض، ولا ترجع بالاعتراض ^(٣) والناس

(١) في الأصل « تزيد إذا ألحت » محرفاً، والخيل لا تعلق اللحم وفي البيضة « إذا علمت »

(٢) في البيضة « راتمة في أكلأها » وهي أحسن

(٣) في الأصل « ولا ترجع إلا بالاعتراض » وبديهي أن كلمة « إلا » هاهنا تقصد المعنى غاية الغشاد، وليست ثابتة في البيضة

فيها بين عطية يجيب الشكر عليها ، ورزقاً يوفق بالمعوض عنها .

وله من فصل عن بختيار إلى سبكتكين الغزني (١) « ليت شمري بأى قدم
توافينا (٢) وراياتنا خاققة على رأسك ، ومماليكنا عن يمينك وشمالك ، وخبيلنا
الموسومة بأسمائنا تحتك ، وثيابنا المنسوجة فى طرزنا على جسدك ، وسلاحنا
المشحود لأعدائنا فى يدك » .

ومن فصل فى ذكره « هو أرق ديناً وأمانة ، وأخف فديراً ومكانه ، وأنم ذلاً
ومهانة ، وأظفر عجزاً وزمانة ، من أن تستقل به قدم فى مطاولتنا ، أو تطمن له
ضالع على منابذتنا ، وهو فى نشوزه عنا وطلبنا إياه كالضالة المنشودة ، وفيما نرجوه
من الظفر به كالظلامة المردودة » .

ومن ملح شعره قوله فى الغزل ، وهو فى معنى البيتين المستشهد بهما
[من الكامل] :

جَرَّتِ الدَّمْعُ دَمًا وَكَأْسِي فِي يَدِي شَوْقًا إِلَى مَنْ لَجَّ فِي هِجْرَانِي
فَتَخَالَفَ الْفَعْلَانِ شَارِبَ قَهْوَةٍ يَبْكِي دَمًا وَتَشَابَهَ الْوَنَانِ
فَكَانَ مَا فِي الْجِنِّينِ مِنْ كَأْسِي جَرَى وَكَانَ مَا فِي الْكَأْسِ مِنْ أَجْنَانِي
وقال [من الخفيف] :

لَسْتُ أَشْكُو هَوَاكَ يَا مَنْ هَرَاهُ كُلُّ يَوْمٍ يَرُوعُنِي مِنْهُ خَطْبُ
مُرٌّ مَا مَرَّ بِي مِنْ أَجْلِكَ حَلْوٌ وَعَذَابِي فِي مِثْلِ حَبِّكَ عَذْبُ
وقال [من البسيط] :

إِنْ تَحْنُ قُسْنَاكَ بِالْفُضْنِ الرُّطِيبِ فَقَدْ حَفَنَّا عَلَيْكَ بِهِ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا
الْفُضْنُ أَحْسَنُ مَا نَلْقَاهُ مَكْتَسِبًا وَأَنْتَ أَحْسَنُ مَا نَلْقَاكَ عُرْيَانًا

(١) فى الأصل « سبكتكين المعزى » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة
(٢) فى اليتيمة « بأى قدم تقدم توافقنا » ولعلها أحسن .

وقال [من الوافر] :

تمرضتُ من الهوى حتى إذا ما بدأ ما بى لاخوانى الحضور
تكدتُ ذؤو الاشفاق منهم ولأدوا بالدعاء وبالذؤور
وقالوا للطبيب : أشر ، فائاً فعدك اللهم من الأمور
فقال : شفاؤه الرمان مما تضمنه حشاه من السعير
قلت لهم : أصاب بغير عمد ولكن ذاك رمان الصدور
وقال [من المنسرح] :

ما أنسَ لأنسَ ليلة الأحد والبدر ضئى وأمره يبدى
فقلتُ منه فإى بحاجته تجمع بين المدام والشهد
كان مجرى سواكه برد وريقه ذوب ذلك البرد

وقال فى شامة كافر [من الطويل] :

وشامة كالبدر عند اعتراضه وكالكوكب الدرى عند انقضاضه
يود سواد العين من شغف بها لو اعتاضها مستبدلاً ببياضه

وقال [من الطويل] :

ومحزورة الاحشاء نحسب أنها منية تشكو من الحب تبرجتا
تتاجيك نجوى لسمع الأنف وخيها وتجهل الأذن السمعة إذ بوحتا
تحرق فيها الند عوداً وبدأة فتأخذه جسماً وتفتنه روحاً

وقال فى غلام له أسود اسمه (١) رُشد [من الكامل] :

أبصرتُ فى رُشد وقد أحببته رُشدى، ولم أحفل بمن قد ينكرُ

(١) ذكر ابن خلكان أن اسم الغلام بمن ، ونقل ذلك عن الثعالبي فى كتاب الغلمان ، والذى فى القيمة موافق لما هنا

بالأثني ، أعلى السواد تأومني من لونه وبه عليك المفخر ؟
 دَعْنِي السواد وخذي بياضك ، إنني أذري بما آتني وما أتخبر
 مثوى البصرة في الفؤاد سوادُه والعين بالمسود منها تبصر
 فالدين أنت مناظر فيه بذًا وكذلك في الدنيا يهدي تنظر
 بسواد دينك تستضيء ولوهما أبيضًا تفشاك الظلام الأكبر
 فعدا بياضك وهو ليل دامنٌ وعدا سوادى وهو فجر أنور
 وقال فيه أيضا [من الكامل] :

قد قال رشد وهو أسودٌ للذي ببياضه يعلو الخائن (١)
 ما فخر خدك بالبياض وهل ترى أن قد أفدت به مزيد محاسن
 لو أن منى فيه خالاً زانه ولو أن منه في خالاً شاني

ولقد تقن الشعراء في مدح السودان وأكثروا ، فمن ذلك قول ابن الرومي آيات في مدح
 للسودان
 من قصيدة طويلة [من المنسرح] :

أكسبها الحب أنها صيغت صيغة حب القلوب والحق
 وقول ابن خناجة الأندلسي أيضا [من السريع] :

وأسود يسبح في لجة لا تكتم الحصباء غدراها
 كأنها في شكلها مقلة زرقاء والأسود إنسانها
 وقول الآخر [من السريع] :

يا أسودا يسبح في بركة فقت الورى حسنا وإحسانا

(١) الآيات في ابن خلسكان ، وفيه « قد قال بمن » وكان في الأصل
 « يعلو الخائن » محرفا في البيتمة * ببياضه استعمل علو مبانين *

كنت لحسن الخلد خالاً وقد صرت لعين العين إنساناً
وقول شرف الدين بن عنين [من الطويل] :

وماذا عليهم أن كلفتُ بأسودٍ محلتهُ بالقلب والعين منهمُ
وقد عابني قوم بتقبيل خده وماذا عيبُ ، أسودُ الركنِ يُلْمُ
وما شأنه ذاك السوادُ لأنه لغير الثنايا واختلاق معلّم
وقال ابن رباح الملقب بالحجام [من البسيط] :

بالُبةً بدوى الأبواب لآعبةً في أصلِ حسنك معنى غير متفقٍ
خَلِقتُ بيضاء كالكَافور ناصعةً فصرت سوداء من مثواك في الحسك
وقال أحمد بن بكر الكاتب [من المجتث] :

يا من فؤادى فيها متبها لا يزالُ
إن كان لليل بدرُ فأنت للصبح خالُ

وقال الوزير المغربي [من مخلم البسيط] :

يارُبَّ سوداء تيمنى يَحْسُنُ في مثلها الغرامُ
كالليل تُسَنِّهُلُ المعاصى فيه ويستعقبُ الحرامُ

وقريب منه قول ابن أبي الجهم [من مخلم البسيط] :

غُصْنٌ من الآبنوس أهْدَى من مسك دَارِينِ لى ثمارا
ليلُ نعيمٍ أَظْلُ فيه للطيب لا أَشْتَهَى نهارا

وما أحسن قول بعضهم مضمناً [من الوافر] :

وسوداء الأديم إذا تَبَدَّتْ ترى ماء النعيم جَرَى عليه
رأها ناظري فُصْبَا إليها وشبهُ الشيء منجنب إليه

وقال نجم الدين يعقوب بن صابر [من المقارب] :

وجارية من بنات الحبش ذات جفون صحاح مراض
تمسّتها للتصابي فشبتُ غراماً ولم أك بالشيب راض
وكنْتُ أُعَبِّرُهَا بالسواد فصارت تميزني بالبياض
وقد أغرب ابن دفترخوان بقوله [من السريع] :

إن لمعت ليلاً نجومُ السما بيضاً على أدم مُرْحَى الأزار
وأوجبَ العكسُ مثلاً لها في الأرض فالسودُ نجومُ النهار
رجع إلى شعر الصابي .

قال يرى ابنه سنانا [من الخفيف] :

أسمداني بالدمعة الحمراء جلُّ ماحلٍ بي عن البيضاء (١)
يؤلم القلب كلُّ قديرٍ ولا مثلَ افتقارِ الآباء للأبناء
كنْتُ مِنِّي وَكنْتُ مِنْكَ اتِّفَاقاً والتَّشَامُكُ بِنِثْلِ الصَّامِ وَاللَّعَاءُ
كنْتُ لِلْيَتِيمِ فِي أَجَلٍ يَنِي فَيَكُ لِلشُّكْلِ فِي أَوَانٍ فَنَائِي (٢)
والئن كان مِن أَخِيكَ وَأَوَّلَا دِكَا مَا يَفُضُّ مِنْ بُرْحَانِي
فَلَعَمْرِي لَرُبَّمَا هَيَّجُوا الشُّوْقَ قَدْ فَزَادُوا فِي لَوْعَتِي وَبَكَائِي (٣)
ألم فيه بقول ابن الرومي ولم يحسن إحسانه [من الطويل] :

(١) في الأصل « حل ما حل بي » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما في القيمة .

(٢) في القيمة « كنت في اليم » والمراد أنه كان يرجو أن يموت قبل ابنه
فإن موته يصير به ابنه يتيماً ، وذلك أجل من أن يموت ابنه فيصير هو ثاكلاً
وما في القيمة أظهر

(٣) في الأصل « ولعمري لربما هيح الشوق » محرفاً عما أثبتناه عن القيمة

وَأُنَى وَإِنْ مُتَّتْ بِأُنَى بَعْدَهُ لَذَا كُرُهُ مَا حَنَّتِ النَّيْبُ فِي تَجْدِ
وَأَوْلَادَنَا مِثْلَ الْجَوَارِحِ أَثِمًا فَقَدْنَاهُ كَانَ الْفَاجِعَ الْبَيْنَ الْقَدْرِ
لِكُلِّ مَكَانٍ لَا يَسُدُّ اخْتِلَالَهُ مَكَانَ أَخِيهِ مِنْ جَزْوَعٍ وَمِنْ جَلْدِ
هَذَا الْعَيْنِ بَعْدَ السَّمْعِ تَكُنَى مَكَانَهُ أَمْ السَّمْعُ بَعْدَ الْعَيْنِ يَهْدِي كَمَا يَهْدِي

وقال الصابي مفتخرا من قصيدة [من الطويل] :

وقَدْ عَلِمَ السُّلْطَانُ أَنِّي أَمِينُهُ وَكَانَتْهُ الْكَافِي السَّيِّدُ الْمَوْفِقُ ^(١)
أَوَاظِرُهُ فِيمَا عَرَى وَأَمَدَهُ بِرَأْيِ بَرِيهِ الشَّمْسِ وَاللَّيْلِ أَعْسَقُ
يُجَدِّدُنِي نَهْجَ الْعِلَالِ وَهُوَ دَارِسُ وَيَفْتَحُنِي بَابَ الْهَدَى وَهُوَ مُفْلِقُ ^(٢)
فَيَمْنَانِي يُمْنَاهُ وَأَفْظِي لَفْظُهُ وَعَيْنِي لَهُ عَيْنٌ بِهَا الدَّهْرُ يَرْمُقُ
وَلِي فَقْرٌ تُضْحِي الْمُلُوكُ فَقِيرَةً إِلَيْهَا لَدَى أَحَدَانِهَا حِينَ تَطْرُقُ
أَرَدَ بِهَا رَأْسَ الْجَمُوحِ فَيَنْتَنِي وَأَجْمَلُهَا سَوَاطِ الْحُرُونِ فَيَعْنِقُ
فَإِنْ حَاولْتُ لَطْفًا فَأَهْ مُرَوِّقُ وَإِنْ حَاولْتُ عُنفًا فَنَارُ تَالِقُ
يَسْلُمُ لِي قُسٌّ وَسَحْبَانُ وَائِلُ وَيَرْضَى جَرِيرٌ مَذْهَبِي وَالْفَرْزَقُ
فَيَغْفِي لِنَثْرَى خَاطِبٍ وَهُوَ مُصَقِّعُ وَيَعْنُو لِنَظْمِي شَاعِرٌ وَهُوَ مُفْلِقُ
مَعَالٍ لَوْ الْأَعْشَى رَأَى لَمْ يَقُلْ «وَبَاتَ عَلَى النَّارِ الْهَدَى وَالْحَلَقُ» ^(٣)

(١) في البيتة « أنى لسانه »

(٢) في البيتة « يجددني نهج الهدى » وفيه « ويفتح بي باب النهى »

(٣) في الأصل « مقال لو الأعشى رآه » محرفا، وما أثبتناه موافقا لما
في البيتة . وعجز هذا البيت من كلام الأعشى ميمون بن قيس في الحلق
ومصدره من كلام الأعشى :

• تشب لمقرورين يصطليانها •

وقال في المهلبى الوزير [من الكامل] :

قل للوزير أبى محمد الذى قد أعجزت كل الورى أوصافه
لاك فى الحافل منطق يشقى الجوى ويسوغ فى أذن الأديب سلافه
فكان لفظك لؤلؤ متخّل وكأنما آذاننا أصدافه
وقال أيضا [من الوافر] :

تلوح نواجذى والكاس شربى وأشرها كأتى مستطيب
وفوق السرّ لى جهر ضحوك وتحت الجهر لى سرّ كتيب
سأبت إذ يصادمنى زمانى بركنيه كما ثبت النجيب^(١)
وأزقب ما تنجى به الليالى فى أنثائه فرج قريب
وقال أيضا فى عضد الدولة [من الكامل] :

لا تحسب الملك الذى أوتيته يفضى وإن طال الزمان إلى مدى
كالدّوح فى أفق السماء فروعه وعروقه متولّجات فى الندى
فى كل عام يستجدّ شبيبة فيمود ماء العرّ فيه كما بدا
حتى كأنك دائر فى حلقة فلكية فى منتهائها المبتدا
وكتب إلى عضد الدولة فى يوم مهرجان مع اصطرباب أهدها إليه
[من البسيط] :

أهدى إليك بنو الأموال واختلفوا فى مهرجان جديد أنت مُبليد^(٢)
لكنّ عبك إبراهيم حين رأى علوّ قدرك عن شئ يذانيه

(١) فى البيتمة « سأبت إن يصادمنى زمانى »

(٢) فى البيتمة « أهدى إليك بنو الأموال واختلفوا »

لم يرضَ بِالْأَرْضِ مُهْدَاةً إِلَيْكَ فَقَدْ أَهْدَى لَكَ الْعَلَكَ الْأَعْلَى بِمَا فِيهِ
ومن لطيف شعره قوله [من الخفيف] :

دَفْتَرِي مُؤَنِّسِي وَفَكْرِي مَمِيرِي وَيَدِي خَادِمِي وَحِلْمِي ضَجِيعِي
وَلِسَانِي سَبْقِي وَبَطْنِي قَرِيبِي وَدَوَائِي غَيْثِي وَدَرْجِي رَبِيعِي (١)
ومثله قول أبي محمد الخازن [من المنسرح] :

فَدَفْتَرِي رَوْضَتِي وَمَحَبَّتِي غَدِيرُ عَلِيٍّ وَصَارِمِي قَلَمِي
وَرَاحَتِي فِي قَرَارِ صَوْمَعَتِي تَعْلَمُنِي كَيْفَ مَوْعُ النَّمِ
وقال أبو إسحاق الصابي وهو في الحبس [من الطويل] :

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلرَّءِ بَدٌّ مِنَ الرَّدَى فَأَسْهَلُهُ مَا جَاءَ وَالْعِيشُ أَنْكَدُ
وَأَصْعَبُهُ مَا جَاءَهُ وَهُوَ رَاتِعٌ تَطِيفُ بِهِ اللَّذَاتُ وَالْحُظُّ مُسْعِدُ
فَإِنْ أَكْ سَوَاءَ الْعِيشَتَيْنِ أَعِيشُهَا فَإِنِّي إِلَى خَيْرِ الْمَتَيْنِ أَقْصِدُ (٢)
وَسَيَّانٍ يَوْمًا شَقِيقَةً وَسَعَادَةً إِذَا كَانَ غَبًّا وَاحِدًا لَهَا الْغَدُ
وقال [من المتقارب] :

لَقَدْ أَخْلَقْتُ جِدَّتِي الْحَادِثَاتُ وَمَنْ عَاشَ فِي رَبِّهَا يَخْلُقُ
وَبَدَّلَنِي صَلَماً شَمَلاً مِنْ الشَّعْرِ الْفَاجِحِ الْأَغْنَى (٣)

-
- (١) في الأصل « ودوائى عينى » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما في
اليقظة ، و « غيى » هى التى تناسب « ربيعي »
(٢) فى اليقظة « فان أك شر العيشتين » وما هنا أهم فى المقابلة
(٣) فى الأصل « من الصلح الفاجح الأغسق » محرفاً ، وما أثبتناه موافق
لما فى اليقظة

وقد كنتُ أُمِرَدَ مِنْ عَارِضِي فَقَدْ صرْتُ أُمِرَدَ مِنْ مَفْرَقِي (١)
وكتب إلى قاضي القضاة ابن معروف - وكان قد زاره في معتقله - رقعة
نسختها :

توى دخول قاضي القضاة إلى نفسى ، وجدد أنسى ، وأغرب نحسى ، ووسع
حبسى ، فدعوت الله له بما قد ارتفع إليه وسمعه ، فان لم أكن أهلاً لأن يستجاب
منى فهو أيدى الله تعالى أهلٌ لأن يستجاب فيه ، وأقول مع ذلك [من البسيط]

دخلت حاكم حكام الزمان إلى صَنِيعَةٍ لَكَ رَهْنِ الْحَبْسِ مَمْنَحِنِ
أَخَذْتُ عَلَيْهِ خَطُوبَ جَارِ جَائِرُهَا حَتَّى تَوْفَاهُ طَوْلُ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ
فَنَاشَ عَنْ كَلَامِ مِيكَ كَنَّ لَهُ كَالرُّوحِ عَائِدَةً مِنْهُ إِلَى الْبَدَنِ
وكتب إلى بعض الرؤساء : عرفت أن سيدنا الأستاذ الجليل أطال الله بقاءه
يشكى التباثا [من الكامل] :

فَلَا اسْتَطَعْتُ أَخَذْتُ عِلَّةَ خِسْمِهِ فَقَرَنْتُهَا مِنْ بِلَّةٍ حَالِي
وَجَعَلْتُ صَحْيَتِي الَّتِي لَمْ تَصْفُ لِي صَفْوًا لَهُ مَعَ صَحَّةِ الْإِقْبَالِ
فَتَكُونُ عِنْدِي الْعِلَّتَانِ كِلَاهُمَا وَالصَّحَّتَانِ لَهُ بِغَيْرِ زَوَالٍ
وقال [من المنسرح] :

عَهْدِي بِشَعْرِي وَكَلَهُ غَزَلَ يَضْحَكُ عَنْهُ السَّرُورُ وَالْجَذَلُ
أَيَّامَ هُمٍّ أَجْبَةُ بِهِمُ الْقَلْبُ عَنْ النَّائِبَاتِ يَشْتَغِلُ
وَالْآنَ شَعْرِي فِي كُلِّ دَاهِيَةٍ يَبْرَأُهَا فِي الضَّلُوعِ تَشْتَغِلُ
أَخْرَجُ مِنْ نَكْبَةٍ وَأَدْخُلُ فِي أُخْرَى فَنَحْسَى بَيْنَ مُتَصِلٍ

(١) في اليتيمة « وقد كنت أصلع » وفيها « وقد صرت أصلع »

كَتَمَهَا سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ تُقِيمَهَا الدُّوْلُ
فَالْعِيشُ مَرٌّ كَأَنَّهُ صَبِيرٌ وَالْمَوْتُ حَلَاوٌ كَأَنَّهُ عَسَلٌ
وَقَالَ يَهْجُو [من الخفيف] :

أَيُّهَا النَّاهِجُ الَّذِي يَنْصَدِي رِقْبِيحٌ يَقُولُهُ لَجَوَابِي *
لَا تُؤْمَلُ أَتَى أَقُولُ لَكَ أَحْسَا لَسْتُ أُسَخِّوْهَا كُلَّ الْكَلَابِ

وحكى أبو القاسم بن برهان قال : دخلت على أبي إسحاق الصابى ، وكان قد لحقه وجع المفاصل ، وقد أبل ، والمجلس عنده حافل ، وأراد أن يريهم أنه قادر على الكتابة ، ففتح الدواة ليكتب ، فتطاولوا بالنظر إلى كتابته ، فوضع القلم وقال بديها [من الكامل] :

وَجُعُ الْمَفَاصِلِ وَهُوَ أَيْسَرُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْأَذَى
جَعَلَ الَّذِي اسْتَحْسَنَتْهُ وَالْيَأْسَ مِنْ حَظِي كَذَا (١)
وَالْعَمْرُ مِثْلُ الْكَاسِ يَرْسُبُ فِي أَوَاخِرِهِ الْقَذَى

وقد ألم بهذا المعنى أمين الدولة سبط التعاوينى وزاد فيه فقال [من المقارب] :

فَنَ شَبَّهُ الْعَمْرَ كَأَسَا يَقْرَ قَذَاهُ وَيَرْسِبُ فِي أَسْفَلِهِ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْقَذَى طَافِيَا عَلَى صَفْحَةِ الْكَاسِ مِنْ أَوَّلِهِ

والأمير سيف الدين بن المشد بقوله [من الخفيف] :
إِنْ تَرَقَى إِلَى الْمَعَالَى أَوَّلُ الْفَضْلِ وَسَاخَتْ تَحْتَ الثَّرَى السَّفَهَاءُ
فَحَبَابُ الْمَدَامِ يَعْلُو عَلَى الْكَأْسِ مَحَلًّا وَتَرْسِبُ الْأَقْدَاءُ

(١) فى الأصل « والناس من حظى » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما فى البيتمة

وما أحسن قول ابن زياد فيه أيضاً [من الخفيف] :

باطراب الزمان ترتفع الأن — نزال فيه حتى يعم البلاء
وكذا الماء راكناً فاذا ح — رَكَ ثارت من قعره الأقداء

وقول الآخر [من البسيط] :

بادر إلى العيش فالأيام راقدةٌ ولا تكن لصروف الدهر تنتظرُ
فالعمر كالكناس يَبْدُو في أوائله صفواً وآخره في قعره كدَرُ

ولما مات أبو إسحاق الصابي رثاه الشريف أبو الحسن الموسوي بقوله [من

الطويل] :

أعلمت من حمكوا على الأعوادِ أرايت كيف خبا ضياء النادى
جبلٌ هوى لوخر في البحر اغتدى من وقعه متتابع الإزادِ
ما كنت أعلم قبل حطك في الثرى أن الثرى يعلو على الأطوادِ

ومنها :

بعداً ليومك في الزمان فإنه أقذى العيون وفَت في الأعضادِ
لا تطلبي يا نفسُ خيلاً بعده فمثلهُ أعياء على المرتادِ
فقدت ملاءمة الشكولِ ببقدمه وبقيتُ بينَ تباين الأضدادِ
ما مطعمُ الدنيا بجلوٍ بعده أبدأً ، وما ماء الحياة ببادى
لك في الحشا قبرٌ وإن لم تأوهِ ومن الدُموعِ روائحُ وغواوى
سألو من الأبرادِ جسمك فأنثى جسمي يُسلّ عليك في الأبراد^(١)

(١) في الأصول «جسمي يسيل» محرفاً ، وما أثبتناه موافقاً لما في اليتيمة

ومنها :

الفضلُ ناسبَ بيننا إذ لم يكنْ شَرَفِي مناسبُهُ ولا ميلادي
 إن لم تكنْ من أسرَفِي وعشيرِي فلأنتَ أعقلهمْ يداً بفؤادي (١)
 أولاً تكنْ على الأصولِ فقد وُفِّيَ عظمُ الجدودِ بسودَدِ الأجدادِ

وهي طويلة ، ورناءه بغير ذلك أيضاً ، وقال وقد ليم على رنائه له : إني
 رثيت علمه ، وكان سنه أربعة وثمانين سنة . ومات ابنه المحسن على كفره أيضاً ،
 وابن ابنه هلال أسلم بآخرة . وتوفي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة (٢)

* * *

يا صَاحِبِي تَقْصِيًّا نَظَرَ يَكَا تَرَيَا وَجْهَ الْأَرْضِ كَيْفَ تُصَوِّرُ
 ٨٦ - تَرَيَا نَهَارًا مُشْنِيًّا قَدْ شَابَهُ زَهْرُ الرُّبَا فَكَأَنَّمَا هُوَ مُغْنِيْرُ
 اهد تشبه
 ركب بالفرد

البيتان لأبي تمام الطائي ، من قصيدة (٣) من الكامل يمدح بها
 المنتمض ، أولها :

رَفَّتْ حَوَاشِي الدَّهْرِ فِي تَمَرْمُرٍ وَغَدَا الثَّرَى فِي حَلِيٍّ يَتَسَكَّرُ

(١) في اليتيمة * فلأنت أعقلهم يدا بودادي * وهو المستقيم معنى
 (٢) كذا في أصول هذا الكتاب ، والذي في اليتيمة أنه « توفي يوم
 الخميس لاثنتي عشرة ليلة من شوال سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، وكانت سنه
 إحدى وتسعين سنة قمرية » وفي ابن خلكان أنه توفي سنة أربع وثمانين
 وثلثمائة ، وأن سنه كانت إحدى وسبعين سنه . وفيه نقلا عن الفهرست
 لابن النديم أن وفاته كانت قبل سنة ثمانين ، ولادته كانت سنه نيف وعشرين
 وثلثمائة

(٣) أقرأها في الديوان (١٥٦)

بذلك مقدمة المصيف حيلةً ويد الشتاء جديدةً لا تنكفر (١)
 لولا الذي غرس الشتاء بكفه قلى المصيف هشاماً لا تنذر
 كم ليلة آسى البلاد بنفسه فيها ويوم وبله متفجر (٢)
 مطر يذوب الصخر منه وبعده ضحو يكاد من الغضارة يقطر (٣)
 غيثان فالأنواء غيث ظاهر لك وجهه والصحو غيث مضر
 وندى إذا اذهنت به لم الثرى خلت السحاب أناه له وهو معثر
 أربيعاً في تسع عشرة حجةً حقاً لوجهك للربيع الأزهر (٤)
 ما كانت الأيام تسلب بهجةً لو أن حسن الروض كان يعمر
 ألا ترى الأشياء إن هي غيرت سمجت وحسن الأرض حين تغير (٥)

وبعد البيتان ، وبعدهما :

دنيا معاش للورى حتى إذا حلّ الربيع فأنما هي منظر
 أضحت تصوغ بطونها لظهورها نوراً تكاد له القلوب تدور
 من كل زاهرة تفرق بالندى فكأنها عينٌ لديك تحذر
 وهي طويلة .

(١) فى الأصل « نزلت مقدمة المصيف » وما أثبتناه عن الديوان .

وبذلك : امتنت

(٢) فى الديوان « وبه متفجر » والمتفجر : السائل المنسكب

(٣) فى الأصل « يكاد من الغضارة يقطر » وما أثبتناه عن الديوان

(٤) فى الديوان « حقالهك للربيع الأزهر » وهي أجود عربية . واللام

فى « هلنك » هى الواقعة فى جواب القسم ، والهاء مبدلة من الهمزة ،

والأصل « لأنك » واللام فى « للربيع » هى لام الابتداء التى تتصل بخبر إن

(٥) فى الأصل « ألا ترى الشتاء » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان

و معنى « تقصيا نظريكا » آبلغا أقصى نظريكا وغاية ما تبلاغانه ، واجتهدا في النظر . و « تصور » أصلها تتصور تخذف إحدى التاءين .

والشاهد فيهما : تشبيه المركب بالمفرد ، فانه شبه الشمس الذي اختلط به أزهار الربوات فنقصت باخضرارها من ضوء الشمس حتى صار يضرب إلى السواد ، بالليل القمر ، فالمشبه مركب ، والمشبه به مفرد ، قيل : ولا يخلو هذا من تسامح .

٨٧- كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُتَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالَى

شاهد التشبيه
للفنوف

البيت من الطويل ، وقائله امرؤ القيس من قصيدته السابقة (١) في أول هذا الفن ، وقبله :

كَأَنِّي بَفَتْخَاءِ الْجَنَاحِينَ لِقْوَةً عَلَى عَجَلٍ مِنْهَا أُطَاطِيءُ شِبَالِي (٢)
تَخْطَفُ خِزَانُ الْأَنْعِيمِ بِالضَّحَى وَقَدْ حَجَرَتْ مِنْهَا ثَعَالِبُ أُوْرَالِ (٣)

(١) انظرها في الديوان (١٣٨) وارجع إلى الشاهد رقم (٧٤)
(٢) أراد بفتخاء الجناحين لقوة عقابا لبنة الجناحين سريعة الاختطاف وفي الديوان « صيود من العقاب طاطأت شمالال » والصيود : الحاذقة بالصيد وطاطأت : طامت رأسي لا تمكن من ضرب الفرس كي يسرع . والشمالال : المريعة القوية . وهي على هذه الرواية - صفه لفتخاء الجناحين ، و « شبالي » في رواية المؤلف تبعا للجماعة من أهل اللغة أصلها « شمالي » فأشبعبت الكسرة من الشين فتولدت عنها الياء ، و « شبالي » على هذا مفعول لأطاطي ، وهو مضاف لياء المتكلم

(٣) تخطف : أصلها تتخطف ، وخزان : جمع خرز ، وهو ذكر الأراب ويروى « خزان الشربة » والأنيعم والشربة : موضعان . وأورال : موضع أيضا

وبعد البيت ، وبعده :

فلو أن ما أَسْعَى لَأَدْفَى مَعِيَّةَ كَفَافٍ لَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ
ولكنما أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤْتَلٍ وقد يَذْرُكُ الْجِدَّةُ الْمُؤْتَلُ أَمْثَالِ
وَمَا الْمَرْءُ مَادَامَتْ حُشَاةُ نَفْسِهِ يَمْدُرُكَ أَطْرَافُ الْخَطُوبِ وَلَا أَلَى (١)

والحشف : أردأ التمر ، والضعيف الذى لا نوى له ، أو اليباس الفاسد .

والشاهد فيه : التشبيه الملفوف ، وهو : أن يؤتى على طريق العطف أو غيره
بالمشبهات أولاً ثم بالمشبه بها ، فهنا شبه الرطب الطرى من قلوب الطير بالعناب
واليباس العتيق منها بالحشف البالى ، إذ ليس لاجتماعهما هيئة مخصوصة يُعْتَدُّ بها
ويقصد تشبيهها ، ولذا قال الشيخ عبد القاهر : إنه إنما يتضمن الفضيلة من حيث
اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه ، لا أن للجمع فائدة في عين التشبيه .

وذكرت بهذا البيت ماضنه الجلال ابن نباتة مجوناً ، وهو [من الطويل] :
دَنُوتٌ إِلَيْهَا وَهُوَ كَالْفَرْنَجِ رَاقِدٌ فَوَاجَعَلْتَنِي لَمَّا دَنُوتَ وَإِذْ لَالِي
وَقُلْتُ أَمْعَكِيهِ بِالْأَنَامِلِ فَالْتَقَى لَدَى وَكَرَهَا الْعَنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

* * *

٨٨ — الذَّشْرُ مِسْكٌ ، وَالْوَجُودُ دَنَا نِيرٌ ، وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَنَمٌ
شاهد التشبه للفروق

البيت لمرتش الأكبر ، من قصيدة من السريع (٢) ، قالها في مرثية عم له ،
أولها :

هل بالديار أن تجيبَ صَمَمٌ لو أن حياً ناطقاً كلَّمٌ

(١) في نسخة « مادامت هشاشة نفسه »
(٢) اقرأها في المفضليات والأصعيات

الدارُ وحشٌ والرسومُ كما رَقَّشَ في ظَهْرِ الأديمِ قَمًّا (١)
 ديارُ أسماءَ التي سَلَبَتْ قَلْبِي فَعَيَّنِي ماؤُها يَسْجُمُ (٢)
 أَضَحَتْ خِلاَءَ نَبْهَها تُثِدُّ نَوَّرَ فيها زَهْرُهُ فاعْتَمَمَ (٣)
 بل هل شَجَنَكَ الظُّنُّ بِاِكْرَةٍ كَأَنَّهُنَّ النُّخْلُ مِنْ مَلَمَمِ

و بعده البيت ، ومنها :

لَسْنَا كأَقْوَامٍ خَلَّاهُمْ نَثَّ الحَدِيثِ وَنَهَكَةَ المَحْرَمِ (٤)
 إِنْ يُخَصِّبُوا يَبْغُوا بِمُخَصِّبِهِمْ أَوْ يُجَدِّبُوا فَمِنْ بِهِ أَلَامِ (٥)

وهي قصيدة طويلة ليست بصحيحة الوزن ، ولا حسنة الزوى ، ولا متخيرة
 اللفظ ، ولا لطيفة المعنى ، قال ابن قتيبة : ولا أعلم فيها شيئاً يُستحسن إلا قوله
 « النثر مسك - البيت » .

ويستجاد منها أيضاً قوله :

ليس على طولِ الحياقِ نَدَمٌ ومن وراء المرءِ ما يَعلَمُ

(١) في المفضليات « الدار قفر »

(٢) في الأصل « ديار سلمي » ولا يستقيم بها الوزن ، وما أثبتناه موافق
 لما في المفضليات ، والمرقش هذا كان يتغزل في أسماء ابنة عمه عوف بن مالك .
 (٣) تُثِدُّ - بالياء المثلثة - أى أصابه الندى ، واعتم : كثر ، وفي المفضليات
 « نور فيها زهوه » وهو لونه من أبيض وأصفر وأحمر

(٤) في المفضليات « مطاعهم كسب الخنا » . ونث الحديث : نقله وإذاعته
 والزيادة فيه ، ووقع في الأصل « ونكهة المحرم » وما أثبتناه موافق لما في
 المفضليات ، ونهكة المحرم : انتهاك الحرمات ، وأراد لانهجو الناس ليعطونا
 وفي الألفاني * نث أحاديث وهتك حرم *

(٥) في المفضليات « إِنْ يُخَصِّبُوا يَبْغُوا بِمُخَصِّبِهِمْ »

النشر : الريح الطيبة ، أو أعم ، أو ريح غم المرأة وأعطافها همد النوم .
والعَمَم : شجر لين الأغصان يشبه بنان الجوارى . وقيل : هى أطراف الخروب (١)
الشامى عن أبى عبيدة . وقيل : هو شجر له أغصان حمراء ، وقيل : هو ثمر الموسج
يكون أحمر ثم يسود إذا عقد ونضج .

والشاهد فيه : التشبيه المفروق ، وهو : أن يؤتى بمشبه ومشبه به ، ثم آخر
وآخر ، وهو واضح فى البيت .

ونظيره قول المتنبي [من الوافر] :

بدت قرأ ومالت خوطاً بانٍ وفاحت عنبراً ورنّت غزلاً

وتبعه أبو القاسم الزاهى فقال [من الطويل] :

سقرن بدوراً وانتقبن أهلةً ومسن غصوناً والنقن جاذرا

وأطلعن فى الأجياد بالدرّ أنجماً جعلن لحبات القلوب ضراً

ومن نسج على هذا النوال إسماعيل الشامى فإنه قال من قصيدة [من

الطويل] :

رأيت على أكوارنا كلّ ماجد يرى كل ما يبقى من المال مفرماً

ندوم أسفاً ونعلو قواضياً وننقض عقباناً ونطلع أنجماً

وقال أبو الحسن الجوهري فى وصف الخمر إلا أنه ثلث التشبيه [من

الطويل] :

يقولون بغداد التى اشتقت نزهةً تباكرها والعبرى المقيراً

إذا فُض عنه الختم فاح بنفسجاً وأشرق مصباحاً ونور عصفراً

ولبعض الشعراء فى غلام مغنى [من الوافر] :

(١) نص بعض أهل اللغة على أن صواب هذا اللفظ « الخرنوب »

فَدَيْتَكَ يَا أُمَّ النَّاسِ ظَرْفًا وَأَصْلَحَهُمْ لِمُتَخَذٍ حَبِيبًا
 قَوْجُوكَ نُزْهَةَ الْأَبْصَارِ حَسَنًا وَشَدَّوكَ مُنْعَةَ الْأَسْمَاعِ طَبِيبًا
 وَسَائِلَ تَسَائِلِ عَنكَ قَلْبًا لَهَا فِي وَصْفِكَ الْعَجَبِ الْعَجِيبَا
 رَنَا ظَلِيًّا وَغَنَى عَنَدَلِيًّا وَلاَحَ شَقَاتَنَا وَمَتَى قَضِيْبَا
 وَلاِبْنَ الْاَثِيرِ الْجَزْرِي [من البسيط] :

مَنُوعُ الْحَسَنِ يَبْدَى مِنْ مَحَاسِنِهِ لِأَعْيُنِ النَّاسِ أَوْصَافًا وَأَشْكَالًا
 فَلَاحَ بَدْرًا وَوَافَى دُمَيَّةً وَذَكَا مَسَكًا وَعَلَى طَلَا وَازُورُ رَبَّالَا
 وَاقْتَرَدْرَا وَغَنَى بَلْبَلًا وَسَطَا عَضْبًا وَمَاسَ تَقَا وَاهْتَزَّ عَسَلَا
 وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَهُ أَيْضًا [من البسيط] :

إِنَّ الَّتِي مَلَكَتْنِي فِي الْهَوَى مَلَكَتْ بِجَامِعِ الْحَسَنِ حَتَّى لَمْ تَدْعُ حَسَنًا
 رَنَتْ غَزَالًا وَطَلَحَتْ رَوْضَةً وَبَدَتْ بَدْرًا وَمَاجَتْ غَدِيرًا وَانْتَقَتْ غُصْنًا
 وَلاِبْنَ سَكْرَةَ الْهَاشِمِيِّ أَيْضًا [من المنسرح] :

فِي وَجْهِهِ إِنْسَانَةً كَلِفْتُ بِهَا أَرْبَعَةً مَا اجْتَمَعْنَ فِي أَحَدٍ
 الْخَلْدُ وَرَدُّ، وَالصَّدْعُ غَالِيَةً وَالرَّيْقُ خَمْرٌ، وَالتَّغَرُّ مِنْ بَرْدٍ

والمرقش ^(١) اسمه عمرو، وقيل: عوف بن سعد بن مالك، يفتنى بنسبه
 لبكر بن وائل، وهو أحد من قال شعراً فلقب به، وهو أحد التميميين، كان يهوى
 ابنة عم له - وهي أسماء بنت عوف بن مالك - وكان المرقش الأصغر ابن أخي ^(٢)

ترجمة للمرقش
 الأكبر

- (١) نجد للمرقش الأكبر ترجمة في الشعر والشعراء لابن قتيبة (١٠٣)
 وفي الأغانى (٥ - ١٨٩) وحكى ابن قتيبة قولاً آخر أن اسمه ربيعة بن سعد
 ابن مالك، وتجد خبره مع أسماء في تزيين الأسواق (١ - ١٠٠)
 (٢) وحكى ابن قتيبة قولاً آخر أن المرقش الأصغر أخو المرقش الأكبر

المرقش الأكبر ، واسمها ربيعة وقيل عمرو ، وهو عم طرفة بن العبد ، وهو أيضا أحد المتميزين ، كان يزوي فاطمة بنت المنذر الملك ، ويشيخ بها ، وكان للمرقشين جميعا موقع في بكر بن وائل وحرو بها مع بني تغلب وبأس وشيخاها ونجدة وتقدم في المشاهد ونكاحها في العبد وحسن أثر .

وكان من خبر المرقش الأكبر أنه عشق ابنة عمه أسماء بليت عوف ، وهو غلام ، فخطبها إلى أبيها ، فقال : لا أزوجهك إياها حتى تُعرف بالبأس ، وكان يُمِدُّه فيها المواعيد الكاذبة ، ثم انطلق مرقش إلى ملك من الملوك ، وكان عنده زمانا ومدحه فأجازه ، وأصاب عوقا زمانا شديدا ، فأثامه رجل من مراد ، فأرغبه في المال ، فزوجته أسماء على مائة من الإبل ، ثم تنجى عن بني سعد ابن مالك ، ورجع مرقش ، فقال لإخوته : لا تخبروه إلا أنها ماتت ، فنجبوا كبشًا ، وأكلوا لحمه ودفنوا عظامه ولفوها في ملحمة ثم قبروها ، فلما قدم مرقش عليهم أخبروه أنها ماتت ، وأنوا به موضع القبر ، فنظر إليه ، وصار بعد ذلك يتناده ويتردد إليه ويزوره ، فبينما هو ذات يوم مضطجع وقد تغطى بثوبه وإبنا أخيه يلعبان بكعبين لهما إذ اختصما في كعب ، فقال أحدهما : هذا كعبي ، أعطانيه أبي من الكبش الذي دفنوه ، وقالوا : إذا جاء مرقش أخبرناه أنه قبر أسماء ، فكشف مرقش عن رأسه ودعا الغلام - وكان قد ضنى ضنى شديداً - فسأله عن الحديث فأخبره به ويزوج المرادى أسماء ، فدعا مرقش وليدة له ولها زوج من عقيل كان عشير المرقش ، فأمرها بأن تدعو له زوجها ، فدعته ، وكان له وراحل ، فأمره باحضارها ليطلب المرادى ، فأحضرها إليها ، فركبها ، ومضى في طلبه ، فرض في الطريق حتى ما يحمل إلا معروضا . ثم اتهمها نزلا كهفا بأسفل نجران - وهي أرض مراد - ومع العقيلي امرأته وليدة مرقش ، فسمع مرقش زوج الوليدة يقول لها : اتركيه فقد هلك سقما وهلكنا معه ضرا وجوعا ، فجعلت الوليدة تبكي من ذلك . فقال لها زوجها : أطيعيني وإلا فاني

تلك ذاهب . قال : وكان مرقش يكتب ، كان أبوه دفعه وأخاه حرمة -
وكانا أحب ولده إليه - إلى نصراني من أهل الحيرة فملهاا الخط ، فلما سمع مرقش
قول العقيل للوليمة كتب مرقش على مؤخر الرحل هذه الأبيات [من الكامل]:

يَا صاحبي تَلَيْتَ لَا تَعْجَلَا إِنَّ الرَوَّاحَ رَهِينٌ أَنْ لَا تَفْغَلَا
فَلَمَّا لَبِثُكُمَا يَفْرُطُ سَيِّئَا أَوْ يَحْدُثُ الْإِسْرَاعُ سَيِّئَا مُنْقَلَا (١)
يَا رَا كِبَا إِبَاوَصَلْتَ قَبْلُنَا أَنَسَ بَنُ سَعْدَانَ لَقِيتَ وَحَرَمَلَا (٢)
لَهُ دَرُّ كَمَا وَدَرُّ أَبِي كَمَا إِنْ أَفْلَتَ الْمِدَانُ حَتَّى يُقْتَلَا (٣)
مَنْ مَبْلَغُ الْأَقْوَامِ أَنَّ مَرْقَشَا أَضْحَى عَلَى الْأَصْحَابِ عَيْنًا مُنْقَلَا (٤)
وَكَاثِمًا تَرْدُ السَّبَاعُ بِشِلُومَا إِذْ غَابَ جَمْعُ بَنِي ضُبَيْمَةَ مَهْلَا

قال : فانطلق العقيل وامرأته حتى رجعا إلى أهلهما ، فقالا : مات المرقش ،
ونظر حرمة إلى الرحل وجعل يقلبه وقرأ الأبيات ، فدعاها وخوفها ، وأمرها
أن يصدها ، فأخبراه الخبر ، فقتلها . وكان العقيل قد وصف له الموضع ، فركب
في طلب المرقش حتى أتى المكان ، فسأل عن خبره وعرف أن مرقشا كان
في الكهف ، ولم يزل فيه حتى إذا هو بنعم تنزو على الفار الذي هو فيه ، وأقبل

(١) في الأغاني « أو يسبق الاسراع سيبا مقبلا » ويفرط : يقدم ، يزيد
لعل انتظاركما يقدم عنكما مكروها

(٢) في الأغاني « يارا كبا إنا عرضت » ومثله في الشعراء

(٣) في الأصل « أن يفلت العقيل حتى يقتلا » وليس بشيء وما أثبتناه
موافق لما في الأغاني ، وفي الشعراء « إن أفلت العقيل »

(٤) زاد صاحب المفضليات بين هذا البيت والذي بعده بيتا ، وهو قوله:

ذهب السباع بأنفه فتركه أعشى عليه بالخيال وجيلا

يعنى بالأعشى الضبعان وهو ذكر الضباع ، والخيال : انتهى الضباع

راغبها إليها ، فلما بَصُرَ به قال له : من أنت ؟ وما شأنك ؟ فقال له مرقش : أنا رجل من مراد . وقال له : فراعى من أنت ؟ قال : راعى فلان ، فإذا هو راعى زوج أسماء ، فقال له مرقش : أتستطيع أن تكلم أسماء امرأة صاحبك ؟ قال : لا ، ولا أدنو منها ، ولكن تأتيني جاريها كل ليلة فأحلب لها عذرا فتأتيها بلبنها ، فقال له : خذ خاتمي هذا ، فإذا حلبت فألقه في اللبن فاتها ستعرفه وإنك مصيبٌ به خيرا لم يصبه راع قط إن أنت فمات ذلك ، فأخذ الراعى الخاتم وفعل ذلك ، ولما راحت الجارية بالقدح وحلب لها العز طرَح الخاتم فيه ، فانطلمت الجارية به وتركته بين يديها . فلما سكنت الرغبة أخذته فشربته ؟ وكذلك كانت تصنع ، فترع الخاتم كَنِيَّتِها ، فأخذته واستضاءت بالنار فرفقه ، فقالت للجارية : ماهذا الخاتم ؟ قالت : مالى به علم ، فأرسلتها إلى مولاهو وهو فى شَرْف بنجران^(١) فأقبل فرعاً ، فقال لها : لم دعوتنى ؟ فقالت له : ادع عبدك راعى غنمك ، فدعاه ، فقالت : سله أين وجد هذا الخاتم . فقال : وجدته مع رجل فى كهف خبان^(٢) ، وقال لى : اطرحه فى اللبن الذى تشربه أسماء فانك تصيب به خيراً ، وما أخبرنى مَنْ هو ؟ ولقد تركته بأخر رمق ، فقال لها زوجها : وما هذا الخاتم ؟ قالت : خاتم مرقش ، فاعجل الساعة فى طلبه ، فركب فرسه وحملها على فرس آخر ، وسارا حتى طرَفا من ليلتهما ، فاحتللاه إلى أهليهما ، فمات عند أسماء ، فدفن فى أرض مراد .

وحدث التوزى^(٣) قال : كان مساور الوراق وحامد عجرد وحفص بن أبي بردة مجتمعين على شراب ، وكان حفص مرمياً بالزندقة ، وكان أعشى أفضس

(١) فى المفضليات « وهو فى شرب بنجران » والشرب : جمع شارب

(٢) فى الأصل « خبار » وفى الأغاني « خبان » وصوابهما ما أثبتناه عن

معجم البلدان وشرح المفضليات

(٣) فى المطبوعتين « التوزى »

أنصف ضيق الوجه ، فبعل خص ييب شعر المرقتر ويلصقه ، فقبل عليه
سور^(١) ، قل [من الطويل] :

لقد كن في عينيك يا خص شغل^(٢) وأنف كليل للهود عما قبح^(٣)
تبيحت خفا في كلام مرقتر ووجهك مبق على الهن أنعم^(٤)
قدلك جروا وأنت مكنت وعينك إطلا فأت المرقع^(٥)
فلم خص من أنعم خيلا وهجره مة .

٨٩ - منع الخيب وحلى كلامها كلامي

عند تيب
القوة

هو من انجحت ، ولا أعرف قلم .

والشاهد فيه : تشبيه التسمية ، وهو تمدد طرف المشبه ، وهو هنا الصمغ
والخل ، دون المشبه به ، وهو البلى .

ومنه قول أبي حماد الطائي [من الزاخر] :

مُهَيَّهٌ لَهَا نَصْفٌ قَصِيفٌ كَخُوطِ الْبِلَازِ فِي نَصْفِ رِفَاحٍ^(١)
حَكَتْ لَوْنًا وَلِينًا وَاعْتَدَلًا وَلِحَاقًا قَالًا مُعَمَّرَ الرُّمَاحِ

٩٠ - كَثَمَّا يَسْمُ عَنْ لَوْلُو مُنْضِدٍ أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَطَاحٍ

قيت البحرى ، من قصيدة من السريخ^(٢) ، يمدح بها أبا نوح عيسى
ابن إبراهيم ، أوفى :

بَلْتُ تَدْبِمَا لِي حَتَّى الصَّبَاحِ أَغِيدُ جُنْدُولُ مَكَلَنَ الْوِشَاحِ
كَثَمَّا يَضْحَكُ عَنْ لَوْلُو مَنْظَمٍ أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَطَاحٍ

(١) الآيت في الأغاني (١٣ - ٨٧) منسوبة إلى حماد مجرد

(٢) كذا في علقة أصول الكتاب ولله د لها نصف قضيب

(٣) اقرأها في الديوان (١ - ١١٢)

مكننا وجعت البيت في ديواء^(١) :

نَحْبُهُ نَشْرَانُ أَتَى دَنَا لَقَرْنَا مِنْ أَجْنَاهُ وَهُوَ مَالِحٌ^(٢)
بِتُ قَدِيهِ وَلَا أَرْعَى لَهَبِي لَهَبُهُ أَوْ لَتِي لَاحُ
مَرْجُ كَأَنِّي بِجَنَى رِيهِ وَاجِمَا أَمْزَجَ رَالِمًا بِرَاحِ
يَلْهَطُ أَلْوَدُ عَلَيْنَا وَهَ تَبْلُجُ الصَّبْحُ نَسِيمُ الرِّيحِ
غَضِبْتَ عَنْ بَعْضِ التَّكْدِيقِ مِنْ حَرَجٍ فِي حَبِّهِ أَوْ جَلَحِ
سَحَرُ لَمِيونَ لَتَجَلَّ مَسْهَلُ لُبِّي وَتَوْبِيدُ الْغَدِيدِ الْكَلَحِ

وانتضد : انتظم ، والبرد : حب القلم ، والألاح : جمع أقحوان ، وهو ورد في نور .

والشاهد فيه : تمدد طرف انشبه به - وهو هنا القول والبرد والألاح - دون انشبه ، وهو التفر

وقد جاء تشبيه التفر بخمسة في قول الحريري [من البسيط] :
يَقَرُّ عَنْ لَوْلُو رَطْبٍ وَعَنْ بَرْدٍ وَعَنْ أَطْلَحَ وَعَنْ طَلَعٍ وَعَنْ جَبَّ
ومثل البيت استشهد به قول امرئ القيس [من المتقلب] :
كَأَنَّ ائِمَاءَ وَصَوَّبَ الْقَلَمِ وَرِيحَ الْخَرَامِ وَفَشَرَ الصَّطَرِ
• يُمَلَّ بِهِ بَرْدُ أُنْيَايَا إِذَا عَرَدَ الطَّلُورُ الْمَسْتَحَرِ •

ومن محسن تمدد التشبيه قول الصاحب ابن عباد ، في وصف أيلت أهديت إليه [من المتقلب] :

أَتَقَى بِالْأُمْسِ أَيْبَاهُ تُلَلُّ رَوْحِي رَوْحَ الْجَنَانِ

(١) وكذلك هو في نسخ الديوان التي بين يدي
(٢) التي في الديوان « إمارنا » وهي أفضل مما هنا

كَبُرْدُ الشَّابِّ وَبَرْدُ الشَّرَابِ وَظِلُّ الْأَمَانِ وَنَيْلُ الْأَمَانِ
وَعَهْدُ الصَّبَا وَنَسِيمُ الصَّبَا وَصَفْوُ الدُّنَانِ وَرَجْعُ التِّيَانِ
وَقَوْلُ النَّمَالِيِّ فِي الْأَمِيرِ أَبِي الْفَضْلِ الْمِيكَالِيِّ [مِنْ السَّكَّامِلِ] :
لَكَ فِي الْحَاسِنِ مَعْجَزَاتٌ جَمَّةٌ أَبَدًا لِنَسِيرِكَ فِي الْوَرَى لَمْ نَجْمِعْ
بِحِرَانٍ يَحْمُرُ فِي الْبَلَاغَةِ شَابَهُ شِعْرُ الْوَلِيدِ وَحَسَنُ لَفْظِ الْأَصْمَعِيِّ
كَالنُّورِ أَوْ كَالسَّحْرِ أَوْ كَالدَّرِّ أَوْ كَالْوَشْيِ فِي بَرْدٍ عَلَيْهِ مُوشَعٌ

٩١ — صَدَفَتْ عَنْهُ وَلَمْ تَصْدِفْ مَوَاهِبُهُ عَنِي، وَعَاوَدَهُ ظَنِّي فَلَمْ يَجِبْ
كَالْفَيْثِ إِنْ جَنَّتْهُ وَأَوَّاكَ رَيْقُهُ وَإِنْ تَرَحَّلَتْ عَنْهُ لِحَى الطَّلَبِ
الْبَيْتَانِ لِأَنِّي تَمَامٌ، مِنْ قَصِيدَةٍ مِنَ الْبَسِيطِ ^(١) يَمْدَحُ بِهَا الْحَسَنَ بْنَ رَجَاءَ
ابْنَ الضَّحَّاكِ، أَوَّلَهَا :

أَبَدَتْ أُنْثَى أَنْ رَأَتْني مُحَلِّسَ الْقَصْبِ وَأَلَّ مَا كَانَ مِنْ عُجْبٍ إِلَى تَحَبُّبِ
سِتٍّ وَعَشْرُونَ تَدْعُونِي فَأَتْبِعُهَا إِلَى الْمَشِيبِ وَلَمْ تَظَلْمِ وَلَمْ تَجِبِ ^(٢)
يَوْمِي مِنَ الدَّهْرِ مِثْلُ الدَّهْرِ تَجْرِبَةً حَزْمًا وَعِزْمًا وَسَاعِي مِنْهُ كَالْحَقِيبِ ^(٣)
وَأَصْغَرَى أَنْ شَيْئًا لَاحَ لِي حَدَثًا وَأَكْبَرَى أَنْفِي فِي الْمَهْدِ لَمْ أَشْبِ
وَلَا يُوَرِّقُكَ إِيْمَاضُ الْقَتِيرِ بِهِ فَإِنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرَأْيِ وَالْأَدَبِ

(١) أقرأها في الديوان (١٥) وفيه أن الممدوح بها الحسن بن سهل
(٢) في الأصل « ولم تحب » بالخاء معجمة، وهو تصحيف ما أثبتناه،
و « لم تحب » بالخاء مهلهة معناه لم تأثم ولم تذنب، من الحوب وهو الائتم والذنب
(٣) في نسخ الديوان التي بين يدي

* يومى من الدهر مثل الدهر مشتهر *

والساع : جمع ساعة

يقول في مدحها .

ستصبح العيسُ بي والليل عند فتى كثير ذ كر الرضى فى ساعه الغضب (١)
وبعد البيتان

ومعنى « صدف » أعرضت ، ورَبَّق كل شئ : أوله وأصله ، والرواية
فى ديوان أبى تمام « مروءته » بدل « مواهبه » (٢) ، و « كان » بدل « لج » .
وذ كرت بقوله « فان ذاك ابتسامُ الرأى والأدب » قول أبى الحسن
على بن طاهر بن منصور [من الخفيف] :

أعرَضْتُ حين أبصرت شعراتٍ فى عذارى كأنهن الثَّمامُ
قلتُ : هذا تبسمُ الدهرِ ، قالتُ : قدسى فى صدودكِ الابتسامُ

والشاهد فى البيتین : التشبيه الجمل المذكور فيه وصف المشبه والمشب به ،
فانه وصف المدوح بأن عطاياه فائضة عليه أعرض أو لم يعرض ، وكذا وصف
الغيث بأنه يصيبك جثته أو ترحات عنه ، وهذان الوصفان مشعران بوجه الشبه ،
أعنى الافاضة فى حالتى الطلب وعده ، وحالتى الاقبال عليه والاعراض عنه .

شاهد التشبيه
للفصل

٩٢ — وتفرَّه فى صفاء وأدمع كاللآلى

البيت من المجتث ، وهو كالبيت السابق .

والشاهد فيه : التشبيه المفضل ، وهو ما ذكر فيه وجه الشبه ، وهو
هنا الصفاء .

(١) فى نسخة من الديوان

* ستصبح العيس فى ذا الليل عند فتى *

(٢) فى نسخة من الديوان « ولم تصدف مواهبه » وفى أخرى « ولم
تصدف مودته » وفى كليهما « لج فى الطلب »

شاهد تمثيل
التشبيه

٩٣ - سَحَلْتُ رُدَيْنِيَا كَانَ سَنَاةُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَنْصَلِ بِدُخَانِ

البيت لأمراء القيس ، من قصيدة (١) من الطويل ، أولها :

لَمِنْ طَلَلٍ أَبْصَرْتُهُ فَسَجَانِي كَخَطِ زَبُورٍ فِي عَسِيبٍ يَمَائِي (٢)

دِيَارٍ لَهْنَدٍ وَالزَّيَابِ وَفَرَّتَنِي لِيَالِنَا بِالنَّعْفِ مِنْ بَدَلَانِ

لِيَالِي يَدْعُونِي الصَّبَا فَأَجِيبُهُ وَأَعَيْنُ مَنْ أَهْوَى إِلَى رَوَائِي (٣)

فَإِنْ أَمْسَ مَكْرُوبًا فَيَارِبْ بِهِمَةِ كَشَفْتُ إِذَا مَا اسْوَدَّ وَجْهُ جُبَانِ (٤)

وَإِنْ أَمْسَ مَكْرُوبًا فَيَارِبْ قِينَةَ مُنْعَمَةٍ أَعْمَلْتُهَا بِكِرَانِ (٥)

لَهَا مِزْهُرٌ يعلو الخنيسَ بصوته أَجَشَّ إِذَا مَا حَرَّكَتُهُ يَدَانِ (٦)

وهي طويلة .

والزديني : الرمح ، نسبة إلى امرأة كان تعمل الرماح اسمها ردينة

والشاهد فيه : تفصيل التشبيه ، وهو على وجوه ، أعرفها أن يأخذ بعضاً من

الأوصاف ، ويدع بعضاً كما فعل امرؤ القيس هنا حيث عزل الدخان عن

السنا وجردته .

(١) اقرأها في الديوان (١٨٦)

(٢) في الديوان

* كخط الزبور في العسيب الهجائي *

والزبور : الكتاب المزبور أي المكتوب ، والمزبر ، بزنة المنبر : القلم ،

والعسيب : سعف النخل

(٣) في الديوان « يدعوني الهوى » وروائي : نواظر ، جمع رانية

(٤) المهمة : الأمر المنهم ، أو الشجاع الذي ينهم أمره على قرنه

(٥) البكران : عود الطرب

(٦) المزهر : العود ، وعلو : يعلو ، والخنيس : الجيش اللجب ، وفي

الديوان « حركته البدان »

وذكرت بأبيات امرئ القيس هذه تضيئ أبي الحسين الأشبلي لبعضها
وكان قد تناول من يد مُعَدِّرِ الأشعار الستة ، فأول ما وقعت عينه على قصيدة
امرئ القيس هذه ، قال [من الطويل] :

وذي صَلَفٍ خَطَّ العذارُ بخَدِّه كخطَّ زَبُورٍ في عَصَبٍ يَمَانِي
فقلتُ له مستفهماً كُنْتهُ حالِه لمن طُلُلٌ أبصرته فشجَانِي
فقالَ ولم يملك عزاءَ لِنَفْسِه تمتع من الدنيا فإنيك فَانِي
فسا كانَ إلا برهةً إذ رَأَيْتُهُ ككتيسٍ ظَبَاهِ الحَلْبِ العَدَوَانِ^(١)

٩٤ - لم تَأْتِ هذا الوجَّهَ شمسُ نَهَارِنَا إلا بوجهٍ ليس فيه حياه
البيت للمتنبى ، من قصيدة^(٢) من الكامل يمدح بها هارون بن عبد العزيز
الأوراجي ، وأولها :

أمنَ أزدِ ياركِ في الدجى الرُّقْباه إذ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الظلام ضِيَاه
قلقِ الملية وهي مسك هتكها ومسيرُها في الليل وهي ذُكَاة
أسقى على أسقى الذى دلَّهْتَنِي عن علمه فيه على خَفَاء
وشكيتي فقدُ السَّقامُ لأنَّه قد كانَ لَمَّا كانَ لى أَعْضَاء
مَثَلْتُ عَيْنَكَ في حَشَاىَ جَرَاةً فتشابهها كلتاها نَجَلَاء
فَدَلَّتْ على السابري وربما تنطق فيه الصَّعْدَةُ السَّراء^(٣)
أنا صَحْرَةُ الوادى إذا ما زُوِّجْت فإذا نَطَقْتُ فإني الجوزاء

(١) الحلب - بزنة سكر - نبات تأكله الحوس فتضمر عليه بطوتها ، وفي
الأصل « الحلب والعدوان » ، والعدوان : الجرى .

(٢) أقرأها في الديوان (١ - ١٢)

(٣) السابري : الدرع الحصينة ، والصعدة : القناة المعتدلة

وَإِذَا خَفِيتُ عَلَى النَّفْيِ فَمَازَرْتُ أَنْ لَا تَرَانِي مُقَلَّةٌ غِيَاهُ
وَمِنْهَا :

فَإِذَا سُنَّاتٌ فَلَا لَأْنُكَ مَحْجُوجٌ وَإِذَا كُنْتُمْ وَشَتْ بِكَ الْآلَاءُ
وَإِذَا مَدَحْتَ فَلَا لِنَكْسِبٍ رَفَعَةٌ لِلشَّاكِرِينَ عَلَى الْإِلَهِ ثَنَاءُ
وَإِذَا مَطَرَتْ فَلَا لَأْنُكَ مُجْدِبٌ يُسْقَى الْخَصِيبُ وَتَمَطَّرَ الدُّمَاءُ

والشاهد في البيت : التصرف في التشبيه القريب المبتدل بما يجعله غريبا
ويخرجه عن الابتدال ، فان تشبيه الوجه بالشمس قريب مبتدل ، لكن حدوث
الحياء عنه قد أخرجه عن الابتدال إلى الغرابة لاشتماله على زيادة دقة وخفاء ،
ثم إن كان قوله « لم تلق » من لقيته بمعنى أبصرته فالتشبيه فيه مكنى غير مصرح ،
وإن كان بمعنى قابلته وعارضته فهو فعل يبنى عن التشبيه : أى لم تقابلهم لم تعارضه
في الحسن والبهاء إلا بوجه ليس فيه حياء .

ومثله قول الآخر ^(١) [من البسيط] :

إِنَّ السَّحَابَ لَتَسْتَحْيِي إِذَا نَظَرْتُ إِلَى نَدَاكَ فَعَاسْتُهُ بِمَا فِيهَا

٩٥ — عَزَمَانُهُ مِثْلُ النُّجُومِ ثَوَاقِبًا لَوْلَمْ يَكُنْ لِلثَّاقِبَاتِ أَقُولُ

شاهد التشبيه
للمشروط

البيت لرشيد الدين الوطواط ، من قصيدة من الكامل .
والثواقب : جمع ثاقب ، وهو النجم المرتفع على النجوم ، والأقوال : الغيبة .
والشاهد فيه : كما في البيت الذي قبله ، تشبيه العزم بالنجم مبتدل ،
لكن الشرط المذكور أخرجه إلى الغرابة ، ويسمى هذا التشبيه المشروط ، وهو

(١) البيت لأبي نواس . وذكره العكبري في شرح ديوان المتنبي . عند
الكلام على البيت المستشهد به .

أن يقيد المشبه أو المشبه به أو كلاهما بشرط وجودى أو غدى يدل عليه بصريح اللفظ أو سياق الكلام .

وسيتأتى ذكر الوطواط فى شواهد التفريق، إن شاء الله تعالى .

٩٦- وَالرَّيْحُ تَعَبَثُ بِالْفُصُونِ وَقَدْ جَرَى ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ شاهد التشبيه المؤكد

البيت من الكامل ، ولا أعرف قائله .

وعبث الريح بالفصون عبارة عن إمالتها إياها ، والأصيل : هو الوقت من بعد العصر إلى الغروب ، ويوصف بالصفرة ، قال الشاعر [من الطويل] :

وَرُبَّ نَهَارٍ لِلْفَرَاقِ أَصِيلُهُ وَوَجْهِي كَلَاوْنِيْهَما مُتَنَاسِبُ

وما أحسن قول الخطيب أبى القاسم بن معاوية فى [من الوافر] :

كَأَنَّ الْمَوْجَ فِي عُيُونِهِ تُرْسٌ تَذْهَبُ مِنْهُ كَفُّ الْأَصِيلِ

وقوله أيضاً [من الطويل] :

لَجَدُولُهُ فِي سَرَحَةِ الْمَاءِ مُنْصَلٌّ وَلَكِنَّهُ فِي الْجَنَعِ عَطْفُ سِوَارِ
وَأُمُورُ أَجْهُ أَرْدَافٍ غَيْدٍ نَوَاعِمِ تَلْقَمُنَ بِالْأَصَالِ رَيْطًا نُصَارِ

ومثله لابن الأثير [من الطويل] :

وَنَهْرٌ كَمَا ذَابَتْ سَبَائِكُ فُضَّةٍ حَكِي بِمَحَانِيهِ انْعِطَافَ الْأَرَاقِمِ
إِذَا الشَّمْسُ اسْتَوَلَى عَلَيْهِ احْمَرَّارُهُ تَدَدَّى خَضِيغًا مِثْلَ دَامِي الصُّوَامِ

ولابن قلاقس فى تشبيه الشمس وقت الأصيل [من مجزوء الكامل] :

وَالشَّمْسُ فِي وَقْتِ الْأَصِيلِ بِهَارَةٍ لَقَتْ بَوْرَدَ

وله أيضاً فى معنى ما سبق [من المتقارب] :

كَأَنَّ الشَّعَاعَ عَلَى مَتْنِهِ فَرِنْدٌ بِصَفْحَةِ سَيْفٍ صَدِي

وَأَشْبَهَ إِذْ دَرَجَتْهُ الصَّبَا بُرَادَةَ تَبَرَّ عَلَى مِيزِدٍ
ومن بديع ما وقع لشاعر في وصف نهر جده النسيم قول ابن حمديس وقد
جلس في منتهى باشيلية ومعه جماعة من الأدباء وقد هبت ريح لطيفة صنعت
من الماء جبكا جميلة فأنشد [من الرمل] :

* حَاكَتِ الرِّيحُ مِنَ الْمَاءِ زُرْدَ *

واستجاز الحاضرين ، فأثوا بما لم يَرْضَ ، إلى أن قال الشاعر المشهور
بالحجاء مجيزاً له :

* هُوَ دِرْعٌ لَقَتَالٍ لَوْ جَعَدَ *

ومن الأندلسيين من ينسب هذا البيت إلى أبي القاسم بن عباد .
ولابن حمديس المذكور مطلع قصيدة من وزن هذا البيت وقريب من معناه
وهو [من الرمل] :

نَشَرَ الْجَوُّ عَلَى التَّرْبِ بَرْدَ هَوْدَرٍ لِنُحُورٍ لَوْ جَعَدَ
لَوْ لَوْ أَصْدَأَهُ السُّحْبُ الَّتِي أَتَجَزُّ الْبَارِقُ فِيهَا مَا وَعَدَ

ومن بديع ما وقع له فيها من التشبيه أيضاً قوله [من الرمل] :

وَكَأَنَّ الصَّبْحَ كَفٌّ حَلَّتْ مِنْ ظِلَامِ اللَّيْلِ بِالنُّورِ عَقْدَ
وَكَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرَى ذَهَبًا طَائِرًا مِنْ جِيدِهِ فِي كُلِّ يَدَ

ومن بديع ما يذكر في معنى البيت المستشهد به قول عبد العزيز بن المنفلت
القرطبي ، أو ابن الحداد [من الكامل] :

إِنِّي أَرَى شَمْسَ الْأَصِيلِ عَلِيلَةً تَرْتَدُّ مِنْ بَيْنِ الْمَفَارِبِ مَقَرَّبًا

مَالَتْ لِتَحْجُبَ شَخْصَهَا فَكَأَنَّهَا مَدَّتْ عَلَى الدُّنْيَا بِسَاطًا مَدْمُومًا

وما أحسن قول ابن لؤلؤة الذهبي [من الطويل] :

وما ذَهَبَتْ شمسُ الأصلِ عَشِيَةً إلى الغربِ حتى ذَهَبَتْ نِصْفَةُ النهرِ
وما أبَدَعَ قول الآخر أيضاً [من الطويل] :

ونَهَرَ إِذَا مَا الشَّمْسُ حُلْنَ غُرُوبُهَا عليه ولاحَتْ في مَلابِهَا الصُّغُرُ
رَأَيْنَا الْقِيَّ أَبَقَتْ بِهِ مِنْ شَمَاعِهَا كَأَنَّا أَرْقَا فِيهِ كَأْسًا مِنَ الْحَرِّ
وقول إبراهيم بن خلفه أيضاً [من المتقارب] :

وقَدْ عَشِيَ النَّبْتُ بَطْحَامُ كَبِدِ الْعَدَارِ بِخَدِّ أُسَيْلٍ
وقَدْ وَلَّتِ الشَّمْسُ مَحْتَنَةً إلى الغربِ تَرْقُو بِطَرْفِ كَحِيلٍ
كَأَنَّ سَنَاهاً عَلَى نَهْرِهِ بِقَالِا نَجِيمٍ بِسَيْفٍ صَقِيلٍ
وبديع أيضاً قول ابن سارة هنا [من الكامل] :

النهرُ قَدْ رَقَتْ غِلَاظُ صَفْوِهِ وعليه من صَيْغِ الْأَصِيلِ طَرَاؤُ
تَرَقُّقُ الْأَمْوَاجِ فِيهِنَّ كَأَنَّهَا عُنْكَ الْخُصُوفِ نَهْرَهَا الْأَعْجَلُ
وما أعْنَبَ قول الحسن بن سراج فيه [من الكامل] :

عَمَرَى أَمَا حَسَنٍ لَقَدْ جِئْتَ الْقِيَّ عَطَفَتْ عَلَيْكَ مَلَامَةُ الْأَخْوَانِ
لَمَّا رَأَيْتُ الْيَوْمَ وَلَى عَمْرُهُ وَاللَّيْلُ مُقْتَبِلُ الشَّبِيهِ دَائِي
وَالشَّمْسُ تَنْفُضُ رَعْفَرَانًا بِالْأَيَّامِ وَتَقَّتْ مِسْكُهَا عَلَى الْفَيْطَانِ
أَطْلَعْتَهَا شَمْسًا وَأَنْتَ صَبَاحُهَا وَحَقَّقْتَهَا بِكُوكَبِ الثُّمَلَانِ
وَأَتَيْتَ بِدُعَا فِي الْأَلَامِ مَخْلَقًا فَمَا قَرَنْتَ وَلَاتَ حِينَ قِرَانِهِ
وما أبَدَعَ قول عيسى بن لبون أيضاً [من البسيط] :

لَوْ كُنْتُ تَشْهَدُ يَا هَذَا عَشِيَّتَنَا وَالْمَزْنَ يَكْبُ أحياناً وَيَنْحَدِرُ
وَالْأَرْضُ مُصْفَرَّةٌ بِالْمَزْنَ كَلْسِيَّةٍ أَبْصَرْتُ تَبَرًّا عَلَيْهِ الْهَدْرُ يَقْتَرُ
وبديع أيضاً قول أبي العلاء الممرى [من الخفيف] :

ثم شاب الدجى وخاف من الهجر فغطى المشيب بالزعفران
وقول أسعد بن إبراهيم بن أسعد بن بليطة [من الكامل] :
لو كنت شاهدا عثية أنسها والمزن يبكينا بعين مذب
والشمس قد مدت أديم شعاعها في الأرض تجنح غير أن لم تذهب
خلت الرذاذ برادة من فضة قد غر بلت من فوق نطع مذهب
ولابن حمديس في وصف نهر ألت الشمس عليه حرها عند الشروق من
آيات [من البسيط] :

ومشرق كيميكا الشمس في يده ففضة الماء من إلقائها ذهب
ومثله أيضا قول أبي العلاء المعري [من الطويل] :
يظن به ذوب اللجين فإن بدت له الشمس أجرت فوقه ذوب عسجد
وبديع قول الشريف أبي القاسم شارح مقصورة حازم [من الكامل] :
وغريبة الانشاء سرنا فوقها والبحر يسكن تارة وبموج
عجبنا نؤم بها معاهد طالما كرمت فعاج الحسن حين تموج
وامتد من شمس الأصل أماننا نور له مرأى هناك بهيج
فكأن ماء البحر ذائب فضة قد سال فيه من النصار خليج
وبديع قول ابن المطار ، وهو في معنى قول ابن حمديس السابق ، وهو
[من الطويل] :

مرزنا بشاطى النهر بين حدائق بها حلق الأزهار تستوقف الحلق
وقد نسجت كف النسيم مفاضة عليه وما غير الجباب لها حلق
وقوله أيضا [من الخفيف] :
هبت الريح بالعمى فلما كت زردا للغير ناهيك عنه

فانجلى البدر بعد هذه فصاغت كفه للقتال فيه أسنة

والشاهد في البيت : حذف أداة التشبيه ، ويسمى التشبيه المؤكّد ، وهو هنا تشبيه صفرة الأصيل بالذهب وبياض الماء وصفاته باللجين ، وهو الفضة .

ومن محاسن التشبيه من غير أداته قول الواواء الدمشقي [من البسيط] : تشبيهات متنوعة من غير أداة

قالوا وقد فتكت فينا لواحظها مهلاً أما لتقبل الحب من قود

وأسكت لؤلؤاً من زرجى ومقت وزدا وعصت على الدُّباب بالبرد

ومثله قول الحريري [من البسيط] :

سألها حين زارت نضو برقها السقاني وإيداع صمى أطيب الخير

فزحزحت شفقاً غشى سناقرٍ وساقطت لؤلؤاً من خاتم عطر

وقوله أيضاً [من البسيط] :

وأقبلت يوم جد البين في حُلٍ سودٍ تمضُ بنان النادم التحير

فلاح ليلٍ على صبح ألقهما غصنٌ وصرست البلور بالدر

وقول الغزي الشاعر [من البسيط] :

وما نسيتُ وما أنسى تبسمها وملبسُ الجو غفلٌ غيرُ ذى علم

حتى إذ اطاح عنها المرط من دهشٍ وانحلّ بالضم عقدُ السلك في الظلم

تبسمتُ فأضاء الجو فالتقطت حباتٍ منتثر في ضوءٍ منتظم

وقول أبي طالب المأموني [من الكامل] :

عزماهم قُضِبُ ، وفيضُ أكنهم سحبٌ ، وفيضُ وجوههم أقارُ

وقول صرّ درّ [من البسيط] :

الباذلي العرفِ والأنواء باخلةً والممانى الجارِ والأعارُ تحترمُ

حيث الدجى النقع والفجر الصوارمُ والاسدُ الفوارسُ والخطيةُ الأجْمُ

وقول محمد بن حمدون القنوع من قصيدة في شبل الدولة بن صالح لما هزم ملك الروم [من الكامل] :

لبسوا دروعاً من ظباك تقيمُ كانت عليهم للحتوف شباكا
نالت بك العربُ الغنى من مالمهم وتقاسمت أتراك الأبركا
لو لم يقرّ جعلت صفحة خده نعلًا وقوسى حاجبيه شراكا
أردت البيت الأخير، ومنه قول أبي حفص عمر المطوعى [من الوافر] :

ومعسول الشائل قامَ يسعى وفي يده رحيقُ كالخريق
فأسقاني عقيقاً حَسَوْدَرٍ وتقلنى بدرٍ في عقيق

وما أبدع قول أبي الحسن العقيلي [من البسيط] :

ولالأفاحى قصورٌ كلها ذهبٌ من حولها شُرُفاتٌ كلها دُرُرٌ

ولنذكر هنا طرفاً من التشبيهات على اختلاف أنواعها، وغريب أسلوبها

واختراعها، فمن ذلك قول منصور بن كيفلغ، وهو [من الكامل] :

عادَ الزمانُ بمن هويتُ فأعْتَبَا يا صاحبي فأسقياني واشربا

كم ليلةٍ سامرتُ فيها بدرها من فوق دجلة قبل أن يتغيبا

قامَ الغلامُ يديرها في كفه فحسبت بدر التم يحمل كوكبا

والبدر يَجْنَح للغروب كأنه قد سلّ فوق الماء سِفْناً مذهبا

وأحسن ما سمع في هذا المعنى قول النونى [من الكامل] :

أحسنُ بدجلة والدُّجى متصوبٌ والبدر في أفق السماء يغرب

فكانها فيه بساطٌ أزرقٌ وكأنه فيها طرازٌ مُذهبٌ

ولأبي فراس في وصف الجئلار [من مجزوء الرجز] :

وجئلارٍ مُشرقٍ على أعالي شجرة

طرف من
التشبيهات
مختلفة الأنواع

كَأَنَّ فِي رُؤُوسِهِ أَخْمَرُهُ وَأَصْفَرُهُ
قُرَاضَةً مِنْ ذَهَبٍ فِي خِرْقٍ مُعَصْفَرَةٍ

ولأبي الفرج البقهاء في وصف كائون نار من أبيات ، وتُعزى إلى السري

الرفاء [من المتقارب] :

وَذِي أَرْبَعٍ لَا يُطِيقُ التَّهْوِضَ وَلَا يَأْلَفُ السَّيْرَ فِيمَنْ سَرَى
تَحْمَلُهُ سَبْجًا أَسْوَدًا فَيَجْلُهُ ذَهَبًا أَحْمَرًا

وله في معناه أيضا [من مجزوه الوافر] :

وَأُخْذِقْنَا بِأَزْهَرَ حَا قِطَارِ حَوْلِهِ الْعَذَبُ
فَمَا يَنْفَكُ عَنْ سَبْجٍ يَرُدُّ كَأَنَّهُ ذَهَبُ

وله فيه أيضا [من المنسرح] :

وَالْتَهَيْتُ نَارُنَا فَتَنْظَرُهَا يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ مَنْظَرٍ عَجِبٍ
إِذَا رَمَتْ بِالْشَّرَارِ واضْطَرَمَّتْ عَلَى ذَرَاهَا مَطَارُ اللَّهَبِ
رَأَيْتَ يَاقُوْتَةً مُشْبِكَةً تَطِيرُ مِنْهَا قُرَاضَةُ الذَّهَبِ

ولأبي محمد الخالدي في معناه [من المنسرح] :

وَمُقْعِدٍ لَا حِرَاكَ يُنْهَضُهُ وَهُوَ عَلَى أَرْبَعٍ قَدْ اتَّصَبَا
مُصْفَرٌ مُحْرَقٌ تَنْفُسُهُ نَحَالُهُ الْعَيْنُ عَاشِقًا وَصَبَا
إِذَا نَظَّمْنَا فِي جِيدِهِ سَبْجًا صَيَّرَهُ بَعْدَ سَاعَةٍ ذَهَبَا

ولأبي بكر^(١) الخالدي في وصف الصباح من هذه القصيدة أيضا

طَوَى الظَّلَامُ الْبُنُودَ مُنْصَرَفًا حِينَ رَأَى الْفَجْرَ يَنْشُرُ الْعَذَابَا
وَاللَّيْلُ مِنْ فَتْكَةِ الصَّبَاحِ بِهِ كَرَاهِيٍّ شَقَّ جِيْبَهُ طَرَبَا

وللسري الرفاء في مثله [من المنسرح] :

(١) كذا ، وقد ذكره أولا بكنية « أبي محمد »

كَرَاهِي جُنَّ لِلْهَوَى طَرَبًا فَشَقَّ جِلْبَابَهُ مِنْ الطَّرَبِ
وله في معناه أيضاً [من السريع]:

وَالْفَجْرُ كَالرَّاهِبِ قَدْ مَرُّقَتْ مِنْ طَرَبٍ عَنْهُ الْجَلَابِيْبُ
وما أحسن قول ابن حيان الكاتب أيضاً [من المنسرح]:

كَأَنَّمَا الْفَحْمُ وَالزَّنَادُ وَمَا تَفْعَلُهُ النَّارُ فِيهِمَا لَهَبًا
شَيْخٌ مِنَ الزَّنَجِ شَابَ مَفْرِقُهُ عَلَيْهِ دِرْعٌ مَسْجُوجَةٌ ذَهَبًا
وقول مجهر الدين بن نعيم [من الكليل]:

وَكأَنَّمَا النَّارُ الَّتِي قَدْ أَوقَدَتْ مَا بَيْنَنَا وَلَيْسِيهَا الْمُضْغَرُّ
سَوْدَاهُ أُحْرِقَ قَلْبُهَا فَلَسَانُهَا بِسَفَاهَةِ الْحَاضِرِينَ يُكَلِّمُ
وقوله أيضاً [من المنسرح]:

كَأَنَّمَا نَارُنَا وَقَدْ خِدَّتْ وَجَّهَهَا بِالرَّمَادِ مَسْتَوْرٌ
دُمٌّ جَرَى مِنْ فَوَاحِشٍ ذُبِحَتْ مِنْ فَوْقِهَا رِيْشُنْ مَنْشُورٌ
وقوله أيضاً [من المنسرح]:

كَأَنَّمَا النَّارُ فِي تَلْهَبِهَا وَالْفَحْمُ مِنْ فَوْقِهَا يَنْطَبِهَا
زَنْجِيَّةٌ شَبَكَتْ أُنَامِلَهَا مِنْ فَوْقِ نَارِنَجَةٍ لَنْخَفِهَا
وقول الآخر [من مخلع البسيط]:

كَأَنَّ كَانُونَتَنَا سَمَاءٌ وَالْجَرَى فِي وَسْطِهَا نَجُومٌ
وَلَنْحَنُ جَنَّتْ بِخَالَفَتَيْهِ وَالشَّرَزُ الطَّائِرُ الرَّجُومُ

ولبدیع أيضاً قول ابن مكنسة [من المنسرح]:

لِمُرَيْقَتَا عَاكِفٍ عَلَى قَدَحٍ كَأَنَّهُ الْأُمُّ تَرْضِعُ الْوَلَدَا
أَوْ عَابِدٍ مِنْ بَنَى الْمَجُوسِ إِذَا تَوَهَّمُ الْكَأْسَ شَمْلَةً سَجَدَا

وفي معنى البيت الثاني قول القاضي أبي الفتح بن قادوس [من البسيط]:
 وليلةٌ كاعْيَاضِ الجنِّ قَصْرُهَا وصلَّى الحبيب ولم يَقْصُرْ عن الأمل
 وكلما رام نطقاً في مُمَاتَبَقِي سَدَدَتْ فاه بنظم الأثم والتبيل
 ويات بذر تسمام الحسن مُعْتَنَقِي والشمس في فلك الكاسات لم تقل
 فبت منها أرى النار التي سَجَدَتْ لها الجوسُ من الأبريق تسجدُ لي
 ومن بديع التشبيه وغريبه قول ابن حديس من أبيات [من الكامل]:

سَهْرَاءُ تَشْرَبُ بِالْأَنْوْفِ سِلَافَهَا لُطْفًا مَعَ الْأَصْمَاعِ وَالْأَحْدَاقِ
 بِزُجَاجَةٍ صَوَّرُ الْفَوَارِسِ نَقَشَهَا قَرَى لَهَا حَرْبًا بِكَفِّ السَّاقِ
 وَكَأَنَّمَا سَفَكَتْ صَوَارِمَهَا دَمًا لَبَسَتْ بِهِ عِرْقًا إِلَى الْأَهْنَاقِ
 وَكَأَنَّ لِلْكَاسَاتِ مَخْرَ غُلَاطِلِي أَزْرَارَهَا دُرَّرَ عَلَى الْأَطْوَاقِ
 وما أحسن قول ابن عطية أيضاً [من السريع]:

بَقْنَا نُدِيرُ الرِّيحَ فِي شَاهِقٍ لَيْلًا عَلَى نَفْعَةِ عَوْدَيْنِ
 وَالنَّارِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي دُونَنَا مِثْلُ نَجْمِ الْجَوِّ فِي الْمَبِينِ
 فَيَا لَهُ مِنْ مَنَظَرٍ مَوْتِقٍ كَأَنَّا بَيْنَ سَمَاءَيْنِ

وما أحسن قول الخالدي من قصيدة أولها [من الكامل]:

لَوْ أَشْرَقَتْ لَكَ شَمْسُ ذَاكَ الْهُودَجِ لَأَرَاكَ سَالِفَتِي غَزَالٍ أَذْهَجِ
 أَرْغَى النُّجُومِ كَأَنَّهُمَا فِي أَفْئِدَتِي زَهْرُ الْأَفْئِدَةِ فِي رِيَاضِ بَنَفْسِجِ
 وَالْمُسْتَرَى وَسَطَ السَّمَاءِ تَحَالُهُ وَسَنَاهُ مِثْلُ الرُّبُوعِ الْمَرَجِجِ
 مِسْمَارَ يَبْرِ أَصْفَرِ رَكْبَتِهِ فِي فَصِّ خَاتَمِ فِضَّةٍ فَيُزَوِّجِ
 وَتَمَائِلُ الْجُوزَاءِ بِحُكِي فِي الدُّحَى مِيلَانِ شَارِبِ قَهْوَةٍ لَمْ تَمْزُجِ
 وَتَنْقَبَتْ بِخَفِيفِ عَيْنٍ أَبْيَضِ هِيَ فِيهِ بَيْنَ تَخَفٍّ وَتَبَرُّجِ

كَتَنَسَ الحِمْيَاءُ فِي المَرَاةِ إِذْ كَلَّتْ حِمَامَتُهَا وَلَمْ تَتَزَوَّجْ
وهذا تشبيه بدیع لم يسبق إليه . ومثله قول أبي حصن بن بُرْدٍ [من
الكامل]:

والبدرُ كالمرآةِ غَيْرَ صَقَلَهَا عِبَتْ الغَوَا فِيهِ بِالْأَنفَاسِ
وقول ابن طباطبا العلوی [من الوافر]:

مَتَى أَبْصَرْتَ شَمْسًا تَحْتَ غَيْمٍ تَرَى المَرَاةَ فِي كَفِّ الحُسُودِ
يَقَابِلُهَا فَيَلْبِسُهَا غِشَاءً بِأَنفَاسٍ تَزَايِدُ فِي الصُّعُودِ

وللخالدی فی وصف النجوم [من المنسرح]:

كَأَنَّمَا أُتِجِمُ السَّمَاءُ لِمَنْ يَرْمُقُهَا وَالظَّلَامُ مَنْطَبِقُ
مَالٍ يُجِيلُ يَظَلُّ يَجْمَعُهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ فَلَيْسَ يَفْتَرِقُ

ولأخيه أبي عثمان الخالدی فی وصف النجوم أيضا [من مجزوء الرجز]:

وَلَيْلَةُ لَيْلَاءٍ فِي اللَّوْنِ كَلَوْنِ المَفْرِقِ
كَأَنَّمَا نَجْمُومُهَا فِي مَقَرِّ وَمَشْرِقِ
دِرَاهِمٍ مَنثورَةٍ عَلَى بَسَاطٍ أَرْزَقِ

ومن التشبيه النفيس قول ابن حمديس في وصف خضاب الشيب [من

الخفيف]:

وَكَأَنَّ الخِضَابَ دُحْمَةً لَيْلٍ تَحْتَهُ الشَّيْبُ غُرَّةٌ صُحْبِ

وقوله أيضا في تشبيه العذار من أبيات [من المنسرح]:

أَوْ دَبُّ الحَسَنِ فَوْقَ عَارِضِهِ تَمَلُّ أَصَابَ المَدَادِ أَرْجَلُهَا

وقوله أيضا في وصف الشمعة [من السريع]:

كَأَنَّمَا رَاقِصَةٌ يَبِينُنَا لَمْ تَتَنَقَّلْ بِالرَّقْصِ مِنْهَا قَدَمٌ

قائمة في ملبسٍ أصفرٍ قد حُرِّكت منه لنا فَرْدَكُم

وبديع قوله أيضاً في وصف الشيب [من مِخلع البسيط] :

ولِي شَبَابِي وَرَاعَ شَيْبِي مَنَى سِرْبُ الْمَهَا وَفَضَّةُ

كَأَنَّمَا الْمُشْطُ فِي يَمِينِي يَجْرُ مِنْهُ خِيوطُ فَضَّةٍ

والوَأَوَاءُ الدَّمَشْقِي [من الكامل] :

وَلَرَبَّ لَيْلٍ ضَلَّ عَنْهُ صَبَاحُهُ وَكَأَنَّهُ بِكَ خَطَرَةٌ الْمَتَدَكِرِ

وَالْبَدْرُ أَوَّلُ مَا بَدَأَ مِثْلَانِمَا يَبْدِي الضِّيَاءَ لَنَا بِجَدِّهِ مُسْفِرِ

فَكَأَنَّمَا هُوَ خَوْذَةٌ مِنْ فَضَّةٍ قَد رَكِبَتْ فِي هَامَةٍ مِنْ عَنَبِرِ

وَلَا بِي طَالِبِ الرِّفَاءِ فِي وَصْفِ أُرْجَةِ مَقْنَعَةٍ [من الرجز] :

مُصْفَرَّةُ الظَّاهِرِ يَضَاهُ الْجَشِي أُبْدَعَ فِي صَنَعِهَا رَبُّ السَّمَا

كَأَنَّمَا كَفُّهُ مُجَبِّ دَنِفٍ مَبْعَدٌ بِحَسْبِ أَيَّامِ الْجَفَا

وَلَا بِنَ لِنَكِّكَ الْبَصْرِي [من الوافر] :

وَرَوْضِ عِبْقَرِي الْوَشَى غَضِي يُشَاكِلُ حِينَ زُخْرِفَ بِالشَّقِيقِ

سَمَاءَ زَبَرْجَدٍ خَضْرَاءَ فِيهَا نَجُومٌ طَالِيَّاتٌ مِنْ عَقِيْقِ

وَلِلْفَرَى الْكَاتِبِ فِي الْبَاقِلَاءِ الْأَخْضَرِ [من الوافر] :

فُصُوصُ زَبَرْجَدٍ فِي غُلْفٍ دُرٍّ بِأَقْنَاعٍ حَكَتْ تَقْلِيمَ ظَفَرِ

وَقَدْ صَاغَ الْإِلَهِ لَهَا ثِيَابًا لَهَا لَوْنَانِ مِنْ بِيضٍ وَخَضَرِ

وَلِعَبْدَانِ الْخَوْذَى فِي قَيْنَةٍ [من الطويل] :

لَنَا قَيْنَةٌ تَمْحِي مِنَ الشُّرْبِ شَرِّبَنَا فَقَدْ أَمِنُوا سَكْرًا وَخَوْفَ خُمَارِ

تَكْشَرُ عَنْ أَنْيَابِهَا فِي غَنَائِمَا فَتَحْكِي حِمَارًا شَمَّ بَوْلَ حِمَارِ

وَمَا أَلْطَفَ قَوْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ النَّطَاحِ فِي أَحَدٍ [من الكامل] :

وَصَبِيرٌ قَدْ جُمْتُ أَعْضَاؤُهُ لِيَكُونَ فِي بَابِ اخْتِلَاعِ أَطْبِئِمَا
 قَصُرَتْ أَخْلُجَتُهُ وَغَاصَ قَدَّالُهُ فَكَأَنَّهُ مُتَوَقِّعٌ أَنْ يُصَفَّقَا
 وَكَأَنَّهُ قَدْ ذَاقَ أَوَّلَ صَفْعَةٍ وَأَخْسَرُ ثَانِيَةً لَهَا فَجَعِمَا
 وَبَدِيعُ قَوْلِ السَّرَاجِ الْحَارِ يَهْجُو امْرَأَةً سُودَا مَزَامِرَةً [مِنَ الْكَامِلِ]:
 وَلَبَّ زَامِرَةً نَهِيحَ بَرْزَمِهَا رِيحَ الْبَطُونِ فَلَيْبَهَا لَمْ تَزْهَرْ
 شَبَّهَتْ أَعْمَلَهَا عَلَى صَرْنَابِهَا وَكَبِيحَ مَبْسُومِهَا الشَّنِيعِ الْأَبْجَرْ
 بِخَنَافْسٍ قَضَدَتْ كَنِيْفًا وَاعْتَدَتْ تَسْعَى إِلَيْهِ عَلَى خِيَارِ الشَّبِيرِ
 وَهُوَ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ يَهْجُو زَامِرًا أَسْوَدَ أَيْضًا [مِنَ الرَّجَزِ]:

فَكَأَنُّهَا فِي حَالَةِ الْعِيَانِ خَنَافْسٌ دَبَّتْ عَلَى ثَعْبَانٍ
 وَقَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمَعْرِيِّ الْكَاتِبِ [مِنَ السَّرِيعِ]:

رَأَيْتُ بِحَبِي إِذَا قَادَ الْغَنَى هَاجَ بِهِ ذَكَرٌ وَدُسُوسُ
 كَأَنَّهُ كَلَبٌ عَلَى جَيْفَةٍ يَخَافُ أَنْ يَطْرُدَهُ النَّاسُ

وَقَوْلُ الْبَلْسَمِيِّ فِي رَجُلٍ لَبَسَ خِلْمَةً تَطُولُ عَلَيْهِ وَيَقْصُرُ عَنْهَا [مِنَ السَّرِيعِ]

كَأَنَّهُ لَمَّا بَدَأَ طَالِمًا فِي خِلْمَةٍ يَقْصُرُ عَنْ لِبْسِهَا
 جَارِيَةٌ رَعْنَاءٌ قَدْ قَدَّرَتْ ثِيَابَ مَوْلَاهَا عَلَى نَفْسِهَا

وَلَطِيفُ قَوْلِ ابْنِ فُلَاقِ فِي عَوَادِ اسْمِهِ حَسَنٌ [مِنَ الْكَامِلِ]:

حَسَنٌ مَلَاوِي عَوْدَهُ مَهْمَا تَسَاوَلَهُ مَسَاوِي
 وَكَأَنَّهُ إِنْ جَسَّهُ مِنْ بَمْدٍ نَحْرِيْرِ الْمَلَاوِي
 كَلَبٌ نَجَازِبُ كَفَّهُ أَنْشُوطَةُ وَالْكَلَبُ عَاوِي

وَلَا بِي طَالِبِ الْمَأْمُونِي فِي رِمَانَةٍ نَفَتْ [مِنَ السَّرِيعِ]:

رِمَانَةٌ مَا زِلْتُ مَسْتَخْرَجًا فِي الْجَامِ مِنْ حَقْنِهَا جَوْهَرًا

فالجلم أرض وبناتى حياً يُمطر منها ذهباً أحراً
وللصاع بالحق الواهى وأجاد [من السريع] :

وليلة شاب بها المفرقُ بل جمّة الناظر والمنطقُ
كأنما فحمُ الفضا بيننا والنار فيه ذهبٌ محرق
أو سيج في ذهبٍ أحمر بينهما لينوفر أزرق

وللامام أبى طاهر التميمي رحمه الله تعالى [من الرجز] :

يارب كؤماء خَصَبْتُ نَحْوَهَا بِمِدْيَةٍ مِثْلَ الْقَضَاءِ السَّابِقِ
كأنها والدمُ حبس حَوْلَهَا سَوْمَنَةً زُرْقَاءُ فِي شَقَائِقِ
وله في وصف الرمان [من الطويل] :

خَنُوا صَغَةَ الرُّمَانِ عَنِّي فَإِنَّ لِي لَسَاءً عَنِ الْأَوْصَافِ غَيْرَ قَصِيرِ
حِقَاقٍ كَأَمْثَالِ الْكُرَاتِ تَضْمِنَتْ فُضُوصَ بِلَخْشٍ فِي غِشَاءِ حَرِيرِ
وله في الترجس [من الكامل] :

يَا تَرْجِسًا لَمْ تَعُدْ قَامَتُهُ سَهْمُ الزَّمَرْدُ خَبِثَ تَقَنُّبِ
فِرْصَانُهُ عَظُمَ وَقَدَّتْهُ قَطْعُ الْجَبِينِ وَفُوتَهُ ذَهَبِ

ولأبى منصور البغوي رحمه الله تعالى [من الطويل] :

تَوَاتَتْ لَنَا مِنْ خَدَّيْهَا بِسُوفٍ كَالْأَحَادِيدِ مِنْ خِلَالِ سَحَابِ
وَقَلَّ الصَّبَا صَدْعًا لَهَا فَوْقَ خَدِّهَا كَمَا رَوَّحَتْ نَارُ بَرِيشِ غَرَابِ

ولنصر بن يشار الهروي في فحاحة معضوفة [من السكائل] :

فَنَاحَةٌ قَدْ عَضَّتْهَا قِرْ عَمْدًا وَمَسَّكَ مَوْضِعَ الْمَضَّةِ
وَكَأَنَّ عَضَّتَهُ مِمَّا كَانَتْ صَدْعُ أَحْطَاطٍ بَوْجِنَةٍ غَضَةٍ
وَكَأَنَّمَا تَوَلَّانَ قَدْ كَتَبَا بِالسَّكِّ فِي كُرَةٍ مِنَ النَّصِصِ

وله أيضاً [من الكامل] :

وبدا لنا بدر الدجى والليل قد
غطى الكسوف عليه إلامعة
فكأنه حسناء تحت ثقاب
وله فى الترجس [من الرجز] :

ونرجس غادرني ما بين محب ومحب
كطبق من فضة عليه كأس من ذهب

وما أبدع قول أسعد بن إبراهيم بليطة [من المنسرح] :

أحب بنور الأفاح نوارا
كأن ما صفر من مؤسطه
عسجده فى لجينه حارا
عليل قوم أتوه زوارا
كأن مبيضة صقالبة
كانوا مجوساً فاستقبلوا فارا
كانه نفر من هويت وقد
وضعت فيه بفي دينارا

ومن بديع ما قيل فيه قول ابن عباد الاسكندرى أيضاً [من البسيط] :

كأن شمعه من فضة حرست
خوف الوقوع بمسار من الذهب
وقول ظافر الحداد الاسكندرى أيضاً [من البسيط] :

والأفعوانة تحكى نثر غانية
تبسمت فيه من عجب ومن عجب
كشمسة من لجين فى زبرجدة
قد شرفت تحت مسار من الذهب
وللسقائى بحر فى جوانبها
بقية الفخيم لم تستره بالهيب
ومن لطيف التشبيه قول محمد بن عبد الله بن طاهر فى الورد [من البسيط] :

أما ترى شجرات الورد مظهرة
منها بدائع قدر كبن فى قبض
أوراقها حر أوساطها جم
صفر ومن حولها خضر من الشطب
كأبن بواقيت يطيف بها
زمرّد وسطه شذر من الذهب

ولأبي الحكم مالك بن المرحل يصف قصرَ الليل ، وأجاد [من الكامل] :
وعشية سبق الصباحُ عشاءها قصرًا فما أمسيت حتى أسفرا
مسكية لبست حُلًى ذهبيةً وجلا تبسّمها نقابًا أحمرًا
وكان شهبَ الرجم بعضُ حليها عثرت به من سرعة فنكسرا
وما أحسن قول صفوان بن إدريس من أبيات [من الكامل] :
والورد في شطّ الخليج كأنه رمد ألم بمقلّة زرقاء
وما أطف قول بعضهم [من السريع] :

وشادن أبصرته راكبًا في كفه جوكانه يلعب
كالبدرفوق البرق في كفه هلاله والكرة الكوكب
ومثله قول الصفي الحلي ، ولم أدر أيهما أخذ من الآخر [من الكامل] :
ملك بروض فوق طرف ضاربًا كرةً بجوكان حناه ضاربًا
فكان بدرًا في سماء راكبًا برقًا يزحزح بالهلال شهابًا
ومن يدعي التشبيه قول الأستاذ علي بن الحسن بن علي بن سعد الخير في دولا ب
[من الكامل] :

لله دولا بٌ يفيضُ بسلسل في روضة قد أينعتُ أفنانا
قد طارحتهُ بها الحامش شجوها فيجيبها ويرجعُ الألحانا
فكانه دَنَفٌ يدورُ بمعهده يبكي ويسأل فيه عمنُ بانا
ضاقت مجارى طرفة عن دمه فتفتحت أضلاعه أجفانا
وباب التشبيه واسع جدًا ، تضيق الطاقة عن حصره ، وهذا القدر
كاف فيه .



شواهد الاستعاره

شاهد
الاستعارة
التحقيقية

٩٧ - لدى أشدٍ شاكي السلاح مُقْدَفٍ

قائله زهير بن أبي سلمى ، من قصيدته السابقة في شواهد الإيجاز ، وسيأتي
كاملها بعد^(١) وقبله

لعمري لنعم الحى جراً عليهم
وكان طوى كشعاً على مُسْكِنَةٍ
وقال ساقضى ما ربي ثم أتقى
فشد ولم ينظر بيوتاً كثيرة
بملايوانهم حصين بن ضضم
فلا هو أبداها ولم يتقدم^(٢)
عدوى بألف من ورأى ملجم^(٣)
لدى حيث ألفت رَحْلها أم قُشَم^(٤)
وبعد البيت ، والقصيدة طويلة يقول منها أيضاً:

سمنت تكاليف الحياة ومن يعيش
رأيت المنايا خبط عشواء من يُصِب
ومها تكن عند امرئ من خليفة
وشاكي السلاح وشاكه وشاكه : حديده ، والمقْدَف : الذى يقذف به
كثيراً إلى الواقع ، أو الذى رمى باللحم رمياً .
والشاهد فيه : الاستعارة التحقيقية ، فالأسد هنا مستعار للرجل الشجاع
وهو أمر متحقق حساً .

(١) الشاهد صدر بيت ، وعجزه قوله

* له لبد أظفاره لم تقلم *

- (٢) فى الأصول « على مستكنة » وفيها « ولم تتقدم » وأثبتنا ما فى
ديوان زهير ، وحكى فى شرح الديوان رواية أخرى « ولم يتجمجم »
(٣) فى الديوان « ساقضى حاجتى »
(٤) فى الديوان « فشد ولم يفرع » وحكى فى الشرح أنه يروى ولم ينظر كما هنا
(٥) فى نسخ المعلقات والديوان « ثمانين حولاً »

شاهد ادعاء
أن المشبه من
جنس المشبه به

٩٨ — قَامَتْ تُظِلُّنِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَىَّ مِنْ نَفْسِي
قَامَتْ تُظِلُّنِي وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تُظِلُّنِي مِنَ الشَّمْسِ

البيتان لابن العميد، وهما من الكامل، قالهما في غلام حسن قام على رأسه
يظله من الشمس^(١)، وقال ابن النجار في تاريخه: قرأت على إسماعيل بن سعد الله
أنبأنا بكر بن علي التاجر، قال: أنشدنا رزق الله بن عبد الوهاب التميمي أواعظ
في ولده أبي العباس، لأنه كان يقوم إذا جاءت عليه الشمس ويظله فقال:

قَامَتْ تَظِلُّنِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَىَّ مِنْ نَفْسِي
قَامَتْ تَظِلُّنِي وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تُظِلُّنِي مِنَ الشَّمْسِ
لَمَّا رَأَيْتُ الشَّمْسَ بَارِزَةً سَرْتُ عَيْنَ الشَّمْسِ بِالْخَمْسِ
ثُمَّ اسْتَعْنْتُ عَلَى الَّتِي اخْتَلَسَتْ مَنِ الْفَوَادِ بِآيَةِ الْكُرْمِ

وقال ياقوت في معجم الأدباء: كان أبو إسحاق الصابي واقفا بين يدي
عضد الدولة وعلى رأسه غلام تركي جميل، فكان إذا رأى الشمس عليه حجبا
عنه، فقال للصابي: هل قلت شيئا يا إبراهيم؟ فقال:

وَقَفْتُ لِحُجْبَتِي عَنِ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَىَّ مِنْ نَفْسِي
ظَلَّتْ تَظِلُّنِي وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تُغَيِّبُنِي عَنِ الشَّمْسِ
فُسِّرَ بِذَلِكَ.

والشاهد فيهما: أن إطلاق المشبه به على المشبه إنما يكون بعد ادعاء دخوله
في جنس المشبه به، وإذا كان كذلك فيكون استعمال الاستعارة في المشبه

(١) رواهما أبو منصور النحاشي في اليتيمة (٣-١٦٠) لابن العميد، وروى
الثاني هكذا:

فأقول: وإعجبا، ومن عجب شمس تظللني من الشمس
(٨ — معجم)

استملا فيها وضعت له، فهنا لولا أنه ادعى له معنى الشمس الحقيقي وجعله شمسا لما كان لهذا التعجب معنى، إذ لا تعجب في أن إنسانا حسنا يظلل إنسانا آخر.
 وقريب من معنى البيتين ما حكى أن سياء التركي غلام المعتصم كان أحسن تركي على وجه الأرض في وقته، وكان المعتصم لا يفارقه ولا يصير عنه محبة له ووجدوا به، فاتفق أن المعتصم دعا أخاه المأمون ذات يوم إلى داره، فأجلسه في بيت على سقفه جامات، فوقع ضوء الشمس من وراء تلك الجوامات على وجه سياء فصاح المأمون لأحمد بن محمد اليزيدي فقال: انظر وياك إلى ضوء الشمس على وجه سياء، أرايت أحسن من هذا قط؟ وقد قلت [من السريع]:
 قد طلعت شمسٌ على شمسٍ وزالت الوحشة بالأنس
 فأجز، فقال اليزيدي بعده:

قد كنتُ أشنأ الشمس من قبل ذا فصيرتُ أرتاحُ إلى الشمس^(١)
 قال: ولفظ المعتصم فعض شفتيه لأحمد، قال أحمد للمأمون: والله يا أمير المؤمنين لئن لم يعلم الأمير حقيقة الأمر منك لأقن منه فيما أكره، فدعاه المأمون فأخبره الخبر، فضحك المعتصم، فقال له المأمون: كثر الله يا أخي في غلمانك مثله.

ويقرب من هذا ما حكى أن المعتد بن عباد صاحب إشبيلية جلس يوما وبين يديه جارية تسقيه، فخطف البرق، فارتاعت منه، فقال ابن عباد في ذلك [من السريع]:

روعا البرق وفي كمها برق من اللهوة لعا
 عجبت منها وهي شمس الضحى من مثل ما تحمل ترتاع

(١) أشنا: أصله أشنأ. مهموز الآخر - فسهلت الهمزة، فصارت حرف مد من جنس حركة ما قبلها

نم أنشد الأول لعبد الجليل بن وهبون المرسى واستجازه فقال :

ولن ترى أعجب من أنسٍ من مثل ما يُنسكُ يرتاع

وابن العميد ^(١) هو: أبو الفضل محمد بن الحسين ، عين المشرق ، ولسان
الجميل ، وعماد ملك آل بويه ، وصدر وزرائهم ، قال في حقه أبو منصور الثعالبي
كان أوحداً المعصر في الكتابة ، وكان يدعى الجاحظ الآخر ، والأستاذ ورئيس ،
ويضرب به المثل في البلاغة [وينتهي إليه في الإشارة بالفصاحة والبراعة مع ^(٢)]
حسن الترسل وجزاله الألفاظ وسلاستها ، مع براعة المعاني ونفاستها ، وما أحسن
[وأصدق] ما قاله صاحب وقد سأله عن بغداد عند منصرفه عنها : بغداد في
البلاد كالأستاذ في العباد . وكان يقال : بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت
بأبن العميد . وقد أجرى ذكرهما معا ^(٣) أبو محمد [عبد الله بن أحمد] الخازن في
قصيدة مدح بها صاحب بن عباد حيث وصف بلاغته فقال [من البسيط] :

دعوا الأقاصيص والأنباء ناحيةً فإلى ظهرها غير ابن عبادٍ
والى يكان متى يُطلق أعنته يدعُ لسان إبادٍ رهنَ أقيادٍ ^(٣)
وموردٌ كلماتٍ عطّلت زهراً على رياضٍ ودرّاً فوق أجنيادٍ ^(٤)
وتاركٌ أولاً عبد الحميدٍ بها وابن العميد أخيراً في أبي جادٍ

(١) محمد لأبي الفضل بن العميد ترجمة ضافية في يتيمة الدهر للثعالبي
(٣ - ١٣٧ - ١٦٢ مصر) وفي ابن خلكان (٢ - ٤٦٣)

(٢) زيادة عن يتيمة الدهر

(٣) أشار بلسان إباد إلى قس بن ساعدة الأيادي خطيب العرب في الجاهلية
ومضرب المثل في الفصاحة

(٤) في الأصل « كلمات عطرت زهرا » وأثبتنا ما في اليتيمة

ولم يرث ابن العميد الكتابة عن كَلالة ، بل كان كما قال ذو الرمة في وصف صائد حافق [من البسيط] :

* أنى أباه بذاك الكسب يكتسب *

لأن أباه أبا عبد الله الملقب بكَله كان في الرتبة الكبرى من الكتابة ، وكان قد تقلد ديوان الرسائل للملك نوح بن نصر ، وكان يحضر ديوان الرسائل في محفة لسوء أثر النقرس في قدمه ، وفيه يقول أبو القاسم الاسكافى وكان يكتب في ديوانه إذ ذاك ويرى نفسه أحق منه برتبته ويتمنى زوال أمره ليقوم مقامه [من الكامل] :

يا ذا الذى رَكِبَ الحَفْظَ سَـةَ جامعاً فيها جهازه

أترى الإله يُعِيدُ شُئى حَتَّى يرينها جنازه^(١)

ولم تطل الأيام حتى أتت على أبى عبد الله منيته ، ووافت أبا القاسم أمينته وتولى ديوان الرسائل ، فسبق من قبله وأتعب من بعده ، ولم يزل أبو الفضل هذا في حياة أبيه وبعثاته بالرى وكورة الجبل وفارس يتدرج إلى المعالى ، ويزداد فضلا وبراعة على الأيام والليالى ، حتى بلغ ما بلغ واستقر في الذروة من وزارة ركن الدولة ورياسة الجبل وخدمة الكبراء ، وانتجعه الشعراء ، وورد عليه أبو الطيب المتنبي عند صدوره من حضرة كافور الاخشيدى فدحه بتلك القصيدة المشهورة التى منها قول [من الكامل] :

من مبلغ الأعرابِ أنىَ بعدها شاهدت رسطاليس والاسكندرا

وملت نحر عشارها فأضافنى من ينحر اليدِرَ النُّصارى لمن قرى
وسمعت بطليموس دأرسَ كُتِبِهِ مُتَمَلِّكاً متبدياً متحضراً^(٢)

(١) في الأصول « الاله يغيشنى » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما في البيتمة

(٢) في الأصل « مارس كتبه » ، وما أثبتناه موافق لما في البيتمة وديوان

المتنبي ، وثلاثة الايات ليست متصلة فى الديوان

ولقيتُ كلَّ الفاضلين كأنما رَدَّ الإلهُ نفوسهم والأعصرًا
ومنها :

نسقوا لنا نسقَ الحسابِ مقدّمًا وآتى فذلكَ إذ أتيت مؤخرًا^(١)
بأبي وأُمي ناطقٌ في لفظهِ فمن تبعهُ له القلوبُ وتشتري^(٢)
قطفَ الرجالُ القولَ قبلَ نَبَاتِهِ وقطفتَ أنتَ القولَ لما نورًا
ومدحه صاحبُ بنِ عبادٍ بقصائدهُ كثيرة استفرغ فيها جهده ، فمنها قوله
فيه^(٣) [من الخفيف] :

منْ لقلبِ يَهِيمٍ في كلِّ وادى وقتيلٌ للحبِّ من غيرِ وادى
إنما أذكُرُ الغوانيَ والمقصودُ دُ سَعْدَى تَكثُرًا للسَّوادِ
وإذا ما صدقتُ فمَنى مرامى ومُرَادَى وَرَوَضَى وَمَرَادَى^(٤)
ونَدَى ابنُ العَمدِ إلى عَمدٍ من هواها أليّةُ الأَجدادِ
لو دَرَى الدَّهرُ أَنه من بنيه لا زَدَرَى قَدَرِ سائرِ الأولادِ
أورأى الناسُ كيف يَهْتَزُّ للجو دِ لما عَدَدوه في الأطوارِ

(١) في الأصل « وأتوافدى لك » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما في الديوان
قال الواحدى : معناه جمع لنا الفضلاء في الزمان ، ومضوا متتابعين متقدمين
عليك في الوجود ، فلما أتيت بهم دهم كان فيك من الفضل ما كان فيهم ، مثل الحساب
يذكر تفاصيله أولاً ، ثم تجمل تلك التفاصيل ، فيكتب في آخر الحساب :
فذلك كذا وكذا ، فيجمع في الجملة ما يذكر في التفصيل ، كذلك أنت جمع فيك
ما تفرق فيهم من الفضائل والعلم والحكمة .

(٢) في الديوان واليتيمة « فمن تبع به القلوب »

(٣) الأبيات في اليتيمة (٣ - ١٤٠) ضمن ثلاثة عشر بيتاً

(٤) في اليتيمة « ومنأى وروضى » وما هنا أحسن

وله أيضا (١) [من الكامل] :

قالوا ربّيك قد قدّم فلك البشارة بالنعم
قلت الربيع أخو الشتا أم الربيع أخو الكرم ؟
قالوا الذي بنسواله يفتي المقل من العدم
قلت الرئيس ابن العميد إذا فقالوا لي نعم

ول بعضهم (٢) فيه عند انتقاله إلى قصر جديد قد بناه ، وهو مستبدع
[من البسيط] :

لا يعجبك حسن القصر تنزله فضيلة الشمس ليست في منازلها
لو زيدت الشمس في أبراجها مائة ما زاد ذلك شيئا في فضاءها
وهذه نبذة من محاسن نثره :

فصل من رسالة كتب بها إلى أبي العلاء السروي - كتابي ، جعلني
الله تعالى فداك ، وأنا في جد وتعب منذ فارت شعبان ، وفي جهد ونصب من
رمضان ، وفي العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر من ألم الجوع ووقع الصوم
ومرتهن بتضاعف حرّ ، لو أن اللحم يصلّي ببعضه غريضا ، أتى أصحابه وهو
منضج ، وممتحن بهواجر ، يكاد أوراها يذيب دماغ الضبّ ، ويصرف وجه
الحرياء عن التحف (٣) ، ويزويه عن التنصر ، ويقبض يده عن إمساك ساق
وإرسال ساق .

ويترك الجانب في شغل عن الحقب ويقدح النار بين الجلد والعصب

(١) أربعة الآيات في القيمة (٣ - ١٤١)

(٢) البيتان في القيمة (٣ - ١٤٢) وقد نسبها أبو منصور إلى أبي علي
مسكويه .

(٣) في القيمة « من التحق » وفيها « ويزويه عن التبصر »

و يفادر الوحش قد مالت هرا ديهـا [من الطويل] :
سجوداً لدى الأرض كأن رؤسها علاها صدادٌ أوفواقٌ يصورها
كما قال الفرزدق [من الطويل] :

ليوم أتى دون الظلال شמושـه تظل المها صوراً جاجهاً تَفْطِي (١)
وكما قال مسكين الدارمي [من الطويل] :

وهاجرةً ظلت كأن ظباءها إذا ما انتهبها بالقرون سجودٌ
تلوذ بشؤبوب من الشمس فوقها كالأذ من وخز السنان طريدٌ
وممنو بأيام تحاكي ظل الرمح طولاً ، وليال كإبهام القطاة قصراً ، ونوم كالأول
قلة ، وكحسو الطائر من الماء الثماد دقة ، وكنصيفة الطائر المسترحفة :
كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامة فلما رأها أقشعت وتجلت (٢)

وكنفر العصافير ، وهي خائفة من النواطير يانع الغنب (٣) ، وأحمد الله
تعالى على كل حال ، وأسأله أن يعرفني بركنه ، ويلقيني الخير في أيامه
ونخاتمته ، وأرغب إلى الله أن يقرب على القمر دوره ، ويقصر سيره ، ويخفف
حركته ، ويعجل نبضته ، وينقص مسافة فلكه ودائرته ، ويزيل بركة
الطول من ساعاته ، ويرد على غرة شوال ، فهي أسر سائر الغرر عندي ،
وأقرأ لعيني ، ويسمعي النعرة في قفا شهر رمضان ، ويعرض على هلاله أخني
من السر ، وأظلم من الكفر ، وأنحف من مجنون بنى عامر ، وأضئ من قيس

(١) في اليتيمة « أتت دون الظلال شמושـه » والبيت ليس في ديوان
الفرزدق ،

(٢) في اليتيمة « فلما رجوها »

(٣) هذه الجملة مأخوذة من لفظ بيت من المنسرح وهو :
نقر العصافير وهي خائفة من النواطير يانع الغنب

ابن ذريح ، وأبلى من أسير الهجر ، ويسلط عليه الحور بعد الكور ، ويرسل
على رفاقته التي ينشئ العيون ضوءها ، ويحط من الأجسام نوهها ، كلما يفرها ،
وكسواً يسترها ، ويرنيه مغمور النور ، مغمور الظهور ، قد جمعه والشمس برج
واحد ودرجة مشتركة ، وينقص من أطرافه كما تنقص النار من أطراف الزند ،
ويبعث إليه الأرض ، ويهدي إليه السوس ، ويفرى به الدود ، ويبلله بالغار ،
ويخترمه بالجراد ، ويبيده بالثل ، ويحتفه بالذر^(١) ، ويجعله من نجوم الرجم ،
ويرى به مسترق السم ، ويخلصنا من معاودته ، ويريحنا من دوره ، ويعذبنا كما
عذب عباده وخلقه ، ويفعل به فعله بالكائن^(٢) ، ويصنع به صنيعه بالألوان
ويقابله بما تقتضيه دعوة السارق إذا افتضح بضوئه ، وتبتك بطويعه ، ويرحم
الله عبداً قال آميناً ، وأستغفر الله جل وجهه مما قلته إن كرهه ، وأستغفبه من
توفيق لما يذمه ، وأسأله صفحا يفيضه ، وعفواً يسبغه ، وحالى بعد ما شكوت
صالحة ، وعلى ما تحب وهوى جارية ، والله الحمد قدست أسماؤه والشكر .

ومن فصوله القصار الجارية مجرى الأمثال ، قوله : متى خلصت للدهر حال
من اعتوار أذى ، وصفا فيه شرب من اعتراض قذى ؟ . خير القول ما أغناك
جده ، وأهلك هزله . الترتب لا تبلغ إلا بتدرج وتدرج ، ولا تدرك إلا بنجشم
كلية وتصعب . المرء أشبه شئ بزمانه ، وصفة كل زمان منتسخة من سجاجيا
سلطانه . المرء يندل ماله في إصلاح أعدائه ، فكيف^(٣) يذهل العاقل عن حفظ

(١) في الأصل « ويحتجنه » وما أثبتناه موافق لما في البيئمة

(٢) في الأصل « فعله بالكائن » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما في البيئمة
والعرب تعتقد أن ضوء البدر يبلى الكائنات وعلى هذا جاء قول الشاعر :

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر أزاره على القمر

وهو الشاهد (رقم ٩٩) من الشواهد المشرحة في هذا الكتاب فارجع إلى شرحه
(٣) في الأصل « فكيف يذهب العاقل من حفظ أوليائه » محرفاً ، وما
أثبتناه موافق لما في البيئمة .

أوليائه ؟ هل السيد إلامن بهابه إذا حضر، وتفتابه إذا أدبر . اجتنب سلطان
الموى وشيطان الميل . المرح والهزل ^(١) بابان إذا فتحا لم يفلقا إلا بعد العسر،
وغلان إذا لقحا لم ينتجا غير الشر .

وبما أخرج له من الشعر ^(٢) قوله [من الكامل] :

آخ الرجال من الأبا عدء والأقارب لا تقارب

إن الأقارب كالعقا رب بل أضر من العقارب

وكتب إلى الموى ^(٣) [من المقتضب] :

يا من تخلى وولى وصد عني وملا
وأوسع العهد نكثاً وأتبع العقد حلاً
ما كان عهدك إلا عهد الشبهة ولى
أو طائفاً من خيال ألم ثم . تولى
أو عارضاً لاح حتى إذا دنا فتسدى
ألوت به نسأت من الصبا فتجلى
أهلاً بما ترتضى في كل حال وسهلاً
ليجزىك ودى بمثل فعلك فنسلاً
إن شئت هجر أقمهراً أو شئت وصلاً فوصلاً
صبرت عني فانظري ظفرت بالصبر أم لا

(١) في البيمة « المزح والهزل » ولكل واحدة من العبارتين وجه
(٢) هذان البيتان في ابن خلدان عن أبي الفضل الميكالي في كتابه المنتحل

وفي البيمة (٣ - ٢٤ يروت)

(٣) هذه الأبيات في البيمة (٣ - ١٩ يروت)

إني إذا الخيل ولي وليته ما تولى
وكتب إلى أبي الحسن بن هندو وأرسلها إليه صبيحة عرسه [من الكامل]:

انهم أبا حسن صباحاً وازدد برؤيتك ارتياحاً
قد رضى طرفك خالياً فهل استلنت له جهاحاً
وقدحت زندق جهاداً فهل استبنت له اتقاداً
وطرقت مغلقاً فهل سن الآله انفتاحاً
قد كنت أرسلت العيو ن صباح يومك والرواحاً
وبعت مصغية تببت لديك ترتقب النجاحاً
فقدت على بجملة لم تولى إلا افتضاحاً
وشكت إلى خلاخلاً خرساً وأوشجة فصاحاً
منعت وساوسها المنا مع أن تحس لكم صباحاً

وللصاحب ابن عباد في هذا المعنى إلا أنه أقرب في التصريح [من السريع]

قلبي على الجرة يا أبا العلا فهل فتحت الموضع المقللاً
وهل فككت الخنم عن كيسه وهل كحلت الناظر الأكللاً
إن قلت يا هذا نعم صادقاً أبعث ثناراً يملأ المثللاً^(١)
وإن تجبني من حياءٍ بلا أبعث إليك القطن والميزلاً
ولابن العميد في المعنى القرشي [من الوافر]:

إذا غناني القرشي يوماً وغناني برؤيته وضربه
وددت لو أن أذني مثل عيني هناك وأن عيني مثل قلبه

(١) في البيعة • إنك إن قلت نعم صادقاً *

وللوزير المهلبى فيه أيضاً [من مجزوه الوافر] :

إِذَا غَتَانِي الْقَرْشَى دَعَوْتُ اللَّهَ بِالطَّرْشِ

وَإِنْ أَبْصَرْتُ طَلْعَتُهُ فَوَاهِنِي عَلَى الْمَشِّ

واجتمع عند ابن العميد يوما أبو محمد [بن] هندو ، وأبو القاسم بن أبي الحسين ، وأبو الحسين بن فارس ، وأبو عبد الله الطبرى ، وأبو الحسن البديعى ، فحياه بعض الزائرين بأترجة حسنة فقال لهم: تعالوا تتجاذب أهداب وصفها ، فقالوا : إن رأى سيدنا أن يبتدىء فعل ، فابتدأ وقال [من الطويل] :

* وَأُتْرَجَةٌ فِيهَا طِبَائِعُ أَرْبَعُ *

فقال أبو محمد :

* وَفِيهَا فُتُونُ اللَّهْوِ وَالشَّرْبُ أَجْمَعُ * (١)

فقال أبو القاسم :

* يُشَبِّهُهَا الرَّأْيُ سَبِيكَةَ عَسَجَةٍ *

فقال أبو القاسم بن أبي الحسين (٢) :

* عَلَى أَنَّهَا مِنْ قَارِقِ الْمِسْكِ أَضْوَعُ *

فقال أبو عبد الله :

* وَمَا أَصْفَرُ مِنْهَا اللَّوْنُ لِلْمَشْقِ وَالْهَوَى *

فقال أبو الحسن :

* وَلَكِنْ أَرَاهَا لِلْمُحِبِّينَ تَجْمَعُ *

وكان ابن العميد متفلسفاً متهماً برأى الأوائيل ، ويقال : إنه كان مع فنونه لا يدرى الشرع ، فاذا تكلم أحد بمحضته في أمر الدين شق عليه وخدس ثم

(١) في البيضة * وفيها فتون اللهو للشرب أجمع *

(٢) هكذا في أصول الكتاب ، وأظنه « فقال أبو الحسين بن فارس »

قطع على المتكلم فيه ، وكان قد ألف كتابا سماه الخلق والخلق ولم يبيضه ، ولم يكن الكتاب بذلك ، ولكن جمس الرؤساء خبيص ، وصُنّان الأغنياء ند . وتوفى في سنة ثلثمائة وستين^(١) .

ترجمة أبي الفتح
ابن ابن السيد
وقام ابنه عليّ أبو الفتح ذو الكفائتين^(٢) مقامه ، إذ هو ثمرة تلك الشجرة ، وشبل ذلك القسورة * وحقّ على ابن الصقر أن يشبه الصقرا * وما أصدق قول الشاعر [من الكامل] :

إنَّ السَّريَّ إذا سَرا فبنَفْسِهِ وابنُ السَّريِّ إذا سَرا أسَراهما
وكان نجيباً ، ذكياً لطيفاً سخياً رفيع الهمة ، كامل المروءة ، تأتق أبوه في تأديبه وتهذيبه ، وجالس به أدباء عصره وفضلاء وقته ، وخرج حسن الترشل متقدّم القدم في النظم ، آخذاً من محاسن الأدب بأوفر الحظ ، ولما قام مقام أبيه قبل الاستكمال ، وعلى مدى بعيد من الاكتهال ، وجع تدبير السيف والقلم لركن الدولة بن بويه لُقّبَ بذي الكفائتين ، وعلا شأنه ، وارتفع قدره ، وطاب ذكره ، وجرى أمره أحسن مجرى ، إلى أن توفى ركن الدولة وأفضت حال أبي الفتح إلى ما سيذكر قريباً بمشيئة الله تعالى وعونه .

ومن طرف أخباره أنّ أباه كان قد قيّض جماعة من ثقافته في السرّ يشرفون على ولده الأستاذ أبي الفتح في منزله ومكتبه ، ويشاهدون أحواله ، ويمدّون أنفاسه وأفعاله ، ويُنهون إليه جميع ما يأتيه ويذُرّه ، ويقولوه ويفعله ،

(١) ذكر ابن خلكان هذا وقولا آخر أنه توفى في سنة تسع وخمسين وثلثمائة

(٢) تجد ترجمة أبي الفتح ذي الكفائتين على بن محمد بن الصاحب بن عباد في تيسية الدهر للشعالي تالية لترجمة أبيه (٣ - ١٦٢ مصر) وقد أبي المواقف إلا أن يقرنهما هنا مع أن صلة الموضوع بأبي الفتح بعيدة

فرفع إليه بعضهم أن أبا الفتح اشتغل ليلة بما يشتغل به الأحداث المتفرون من عقد مجلس أنس وأخذ النسماء وتعاطى ما يجمع شمل اللهو في خفية شديدة واحتياط تام ، وأنه في تلك الحال كتب رقعة إلى بعض أصدقائه في استهزاء الشراب ، لحمل إليهم ما يصلح لهم من المشروب والنقل والمشوم ، ففسد أبوه إلى ذلك الإنسان من أتاه بالرقعة ، فاذا فيها بخطه : بسم الله الرحمن الرحيم ، قد اغتنمت الليلة أطال الله بقاءك ياسيدي ومولاي رقعة من عين الدهر ، وانتهزت فرصة من فُرص العمر ، وانتظمت مع أصحابي في سمط الثريا ، فان لم تحفظ علينا النظام باهداء المدام ، وعدنا كبنات نفس والسلام ، فاستطير الأستاذ فرحاً وإعجاباً بهذه الرقعة البديعة ، وقال : الآن ظهري أمر براعته ، ووقتت بحجريه في طريقي ، ونيابته مناني ، ووقع له بالنبي دينار .

وحكى أبو الحسين بن فارس قال : كنت عند الأستاذ أبي الفتح في يوم شديد الحر ، فرمت الشمس بمجمرات الهاجرة ، فقال لي : ما قول الشيخ في قلبه ؟ فلم أحر جواباً لأنني لم أفطن لما أراد ، ولما كان بعد هنيهة أقبل رسول والده الأستاذ يستدعيني إلى مجلسه ، فلما مئلت بين يديه تبسم ضاحكاً إلي ، وقال : ما قول الشيخ في قلبه ؟ فبهرت وسكت وما زلت متفكراً حتى تنهت أنه يريد الخليش وكان من يشرف على أبي الفتح من جهة أبيه أتاه بتلك اللفظة في تلك الساعة ، فأفرط اهتزازها ، وقرأت صحيفة السرور في وجهه ، ثم أخذت أحفقه بنكت نظمه ونثره ، فكان مما أعجب به واستضحك له رقعة له وردت على ، وصدرها : وصلت رقعة الشيخ أصغر من عنققة بقة ، وأقصر من أكلة نملة .

قال أبو الحسين : وجرى في بعض أيامنا ذكر أبيات استحسن الرئيس الأستاذ وزنها واستحلى رويها ، وأنشد كل من الحاضرين ما حضره على ذلك وهو قول القائل [من المقتضب] :

لئن كَفَّتْ وَإِلَّا شَقَقْتُ مِنْكَ نِيَابِي^(١)
 فأضنى الأستاذ أبو الفتح ثم أنشد في الوقت وقال :
 يا مولاً بعداي أما رحمتَ شبابي
 تركت قلبي قريباً منبأ الأسي والتصابي
 إن كنت تشكر ما بي من ذلتي واكتسابي
 فارفع قليلاً قليلاً عن العظام نيباني
 وله من نوروزية^(٢) [من الكامل] :

أُبشر بنوروزٍ أتاك مبشرا
 بأشربٍ فقد حلَّ الربيعُ نقابة
 عن منظرٍ متهللٍ بسامٍ
 ومديحٍ يبقى على الأيام
 وهديتي شعر عجيب نظمه
 فاقبله وأقبل عن من لم يستطع
 إهداء غير نتيجة الأفهام
 ومن بدائعه المشهورة قوله من قصيدة [من الكامل] :

عُودِي وماه شيبتي في عودِي
 وصليهِ مادامتْ أَصائلُ عيشِهِ
 لا تَعْمَدِي لِقَاتِلِ المعمودِ
 تُؤْوِيهِ فِي ظِلِّ لَهَا مَمْدُودِ^(٣)
 مادام من ليل الصبا في فاحيم
 رجل الذرى منهلٍ العنقودِ^(٤)
 قبل المشيب وطارقاتُ جنودِهِ
 يُبْدِلُنَّهُ يَقَقَا بِسُجْمِ سُوْدِ^(٥)
 ومن شعره [من الخفيف] :

- (١) في الأصل «لئن كففت عني وإلا» ولا شك أن كلمة «عني» مزيدة
 لاجل لها ، وهي تخل بالوزن ، وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة (٣ - ١٦٤)
 (٢) يريد من قصيدة قيلت في عيد النوروز
 (٣) في اليتيمة «تؤويه في في»
 (٤) في اليتيمة «فينان كالعنقود»
 (٥) في اليتيمة «قبل المشيب فطارقات جنوده» وما هنا أدق

أَبْنَى مِنْ يَنْبَى بِشَكَرِ الْإِلَهِ
إِذْ أَضَافَتْ خِيَالَهَا وَخِيَالِي
لَمْ يَكُنْ لِي عَلَى الزَّمَانِ اقْتِرَاحٌ
غَيْرَهَا مَنِيَّةً فِجَادٍ بِهَا لِي
وَمِنْهُ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

إِذَا أَنَا بَلَّغْتُ الَّذِي كُنْتُ أَشْتَهِي
وَأَضْعَافُهُ أَلْفًا فَيَكُونِي إِلَى الْحَرِّ
وَقُلْ لِنَدْبِي قَمِّ إِلَى الدَّهْرِ وَاقْتَرَحْ
عَلَيْهِ الَّذِي يَهْوِي وَكَلْنِي إِلَى الدَّهْرِ
يَجْعَلِي أَنَّهُ سَرِ يَوْمًا وَطَلَبَ النَّدَمَاءَ وَهَيَّا مَجْلَسًا عَظِيمًا بِأَلَاتِ الذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ
وَالْمَغَانِي وَالْفَوَاكِهَ ، وَشَرِبَ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ وَعَامَةً لَيْلَتِهِ ، ثُمَّ عَمِلَ شِعْرًا وَغَنَوْهُ بِهِ وَهُوَ هَذَا
[مِنَ الْمُتَقَارِبِ] :

دَعَوْتُ الْفَنَاءَ وَدَعَوْتُ الْمَنَى
فَلَمَّا أَجَابَا دَعَوْتُ الْقَدَحَ
إِذَا بَلَغَ الْمَرْءُ أَمَالَهُ
فَلَيْسَ لَهُ بَعْدَهَا مُقَرَّرُ

وكان ذلك بعد تدبيره على الصاحب وإبعاده عن ركن الدولة وانفراده بالديار
كما سنده كرهه ، ثم طرب بالشعر وشرب إلى أن سكره ، وقال : غطوا المجلس لأصطحب
عليه غداً ، وقال لندمائته : يا كروني ، ثم نام ، فدعاه مؤيد الدولة في السحر وقبض
عليه وأخذ ما يملكه ثم قتله ، وكان من خبر ذلك أنه لما توفي ركن الدولة وقام بعده
ولده مؤيد الدولة مقامه خليفة لأخيه عضد الدولة أقبل من أصفهان إلى الري ،
ومعه الصاحب أبو القاسم بن عباد فخلع على أبي الفتح هذا خلع الوزارة ، وألقى إليه
مقاليد المملكة والصاحب على حالته في الكتابة لمؤيد الدولة والاختصاص به
وشدة الحظوة لديه ، فكرهه أبو الفتح مكانه ، وأسأه به الظن ، فبعث الجند على أن
يشغبوا عليه ، وهما بما لم ينالوا منه ، فأمره مؤيد الدولة بمعاودة أصفهان ، وأسراً
في نفسه الموجدة على أبي الفتح ، وانضاف إلى ذلك تغير عضد الدولة واحتقاده
عليه أشياء كثيرة في أيام أبيه وبعدها ، منها مما يئله عز الدولة بختيار ، ومنها ميل
القواد إليه بل غلوم في موالاته ومحبته ، ومنها ترفعه عن التواضع له في مكاتباته ،
واجتمع رأى الأخوين على اعتقاله وأخذ أمواله ، ولما قبض عليه بدرت منه كلمات

أيضا نقلت إلى عضد الدولة فزادت في استيحاشه منه ، وأنبض من حضرته
من طالبه بالأموال وعذبه بأنواع العذاب ، ويقال : إنه سَمَلَ إحدى عينيه ،
وقطع أنفه وجز لحيته

وفي تلك الحال يقول وقد أيس من نفسه واستأذن في صلاة ركعتين ودعا
بدواة وقوطاس وكتب [من السريع] :

بَدَلْ مِنْ صُورَتِي الْمُنْظَرُ لَكِنَّهُ مَا غَيْرَ الْخَبَرُ

وَلَسْتُ ذَا حُزْنٍ عَلَى فَائِتٍ لَكِنْ عَلَى مِنْ بَاتٍ يَسْتَعْبِرُ

وَوَالِهَ الْقَلْبَ لِمَا مَسَنِي مُسْتَخْبِرٌ عَنِّي وَلَا يُخْبِرُ

وحدث أبو جعفر الكاتب ، قال : كان أبو الفتح قبل النكبة التي أتت
على نفسه قد لمج بأشاد هذين البيتين في أكثر أوقاته ولست أدرى أحماله ، أم
لغيره ، وهما [من الرمل] :

سَكَنَ الدُّنْيَا أَنَاسٌ قَبْلَنَا رَحَلُوا عَنْهَا وَخَلَّوْهَا لَنَا

وَنَزَلْنَاهَا كَمَا قَدْ نَزَلُوا وَنُخَلِّيْهَا لِقَوْمٍ بَعْدَنَا

ولما يتقن بهلاكه وأنه لا ينجونهم ببذل المال مد يده إلى جيب جبة كانت
عليه فنتقه عن رقعة فيها مكتوب ما لا يحصى من ودائعه وكنوز أبيه وذخائره
وألقاها في كانون كان بين يديه ، ثم قال للموكل به المأثور بقتله : اصْنَعْ مَا أَمَنْتَ
صَانِعُ ، فوالله لا يَصِلُ من أموال المستورة إلى صاحبك الدرهم الواحد ، فأزال
يَعْرِضُهُ عَلَى الْعَذَابِ وَيُمَثِّلُ بِهِ حَتَّى تَلْفَ .

وفيه يقول بعض الشعراء المتعصين له :

أَلِ الْعَمِيدِ وَأَلِ بَرْمَكٍ مَالِكُمْ قَلَّ الْمُعِينُ لَكُمْ وَقَلَّ التَّائِصِرُ

كَانَ الزَّمَانُ يَحْكُمُ قَبْدَالَهُ إِنَّ الزَّمَانَ هُوَ الْحَبُّ الْغَادِرُ

ورثاه كثير من الشعراء بغرر القصائد

من شواهد
ادعاء أن للشبه

من جنس
للمشبه به

٩٩ — لَا تَعْبُوا مِنْ بَنِي غِلَاظِهِ قَدْ زُرَّ أَزْرَارُهُ عَلَى الْقَمَرِ

البيت لأبي الحسن بن طباطبا العلوي، من المنسرح، وقبلة:

يا من حكى الماء فرطاً رِقَّتِهِ وقلبه في قساوة الحجر

يا ليت حظي كحظ ثوبك من جسمك يا واحداً من البشر

وبعد البيت، ورأيته بلفظ:

* قَدْ زُرَّ كِتَابُهَا عَلَى الْقَمَرِ *

ولعله أبلغ في المراد، والغِلَاظُ — بكسر الغين المعجمة — شعار يلبرس

تحت الثوب.

والشاهد فيه: ما في البيت الذي قبله، لأنه لو لم يجعله قرآ حقيقاً لما كان للنهي عن التعجب معنى، لأن الكتان إنما يُنزع إليه البلى بسبب ملازمته للقمر الحقيقي، لا بسبب ملابسة إنسان كالقمر حسناً، وردّ كون الاستعارة مجازاً عقلياً: بأن ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به لا يقتضي كونها مستعملة فيما وضعت له، للعلم الضروري بأنها مستعملة في الرجل الشجاع مثلاً، والموضوع له هو السبب الخصوص، وأما التعجب والنهي عنه في البيت والذي قبله فلبناء على تناسي التشبيه، قضاءً لحق المبالغة، ودلالة على أن المشبه بحيث لا يتميز عن المشبه به أصلاً، حتى إن كل ما يترتب على المشبه به من التعجب والنهي عنه يترتب على المشبه أيضاً.

وأبو الحسن ابن طباطبا، اسمه محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، ترجمة ابن طباطبا، بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، طباطبا العلوي:

رضي الله تعالى عنهم! وهو شاعر مفلق، وعالم محقق، مولده بأصبهان، وبها مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وله عقب كثير بأصبهان فيهم علماء،

وأدياء ، ومشاهير . وكان مذكورا بالفطنة والذكاء وصفاء القريحة وصحة اللذهن وجودة المقاصد .

وله من المصنفات كتاب « عيار الشعر » ، وكتاب « تهذيب الطبع » ، وكتاب « العروض » ، ولم يسبق إلى مثله .

ومن شعره قصيدة تسعة وثلاثون بيتا ، ليس فيها راء ولا كاف ، أولها [من الكامل] :

ياسيدا دانت له الساداتُ وتنابت في فعله الحسناتُ
يقول منها في وصف القصيدة :

ميزانها عند الخليل معكَلُ متفاعِلن متفاعِلن فَعَلَاتُ

لواصل بن عطاء الباقي لها تُلَيْتُ توهم أنها آياتُ

ومن شعره يهجو أبا علي الرستمي ويرميه بالدعوة والبرص [من الخفيف] :

أنت أعطيت من دلائل رسل الله آياتها علوت الرؤسا

جئت فردا بلا أب ، ويمينا لك يابض ، فأنت عيسى وموسى

وما أحسن قول أبي المطاع ناصر الدولة ابن حمدان في معنى البيت المستشهد

ات في معنى
ده القمر
ب. الكنان

به [من البسيط] :

ترى الثياب من الكنان يلحها نور من البدر أحيانا فيلبها

فكيف تنكر أن تبلى معاجرها والبدر في كل وقت طالع فيها

وقال منصور البستي ، المعروف بالغزال ، فيه من قصيدة ، يصف الساق

[من الكامل] :

ومشى بكنان فخلت عنكبا نسجت على الياقوت ثوب قتام

أعجب ببدن سالم كئانه وبه يحرق أنفاس الأنوام

ومثله قول الآخر [من المديد] :

كَيْفَ لَا تَبْكِي غُلَّائِلُهُ وَهُوَ بَدْرٌ وَهِيَ كَسَانُ

١٠٠ - فان تعافوا المدل والایمانا فان في ایماننا نبرانا

شاهد القرينة
اللفظة
للاستعارة

قائلة بعض العرب ، من الرجز .

والشاهد فيه : ذكر القرينة في الاستعارة ، لأنها مجاز ، ولا بد لها من قرينة مانعة من إرادة المعنى الموضوع له ، وهي : إما أمر واحد أو أكثر ، وهو هنا قوله « تعافوا » فان تعلقه بكل من العدل والایمان قرينة دالة على أن المراد بالنيران السيوف : أي سيوفاً تلعب كشمس النيران ، لدلالته على أن جواب هذا الشرط تحاربون وتلجئون إلى الطاعة بالسيوف .

١٠١ - وصاعقة من نصله تنسكني بها على أرواس الأقان حس سحائب
شاهد مجيء
للقرينة مما في
ملشمة

البيت للبحتری ، من قصيدة^(١) من الطويل ، أولها :

هَيْبِهِ لِمَنْهَلِ الدَّمْعِ السَّوَابِ وَهَبَاتِ شَوْقٍ فِي حَشَاةِ لَوَاعِبِ

وإلا فَرُدِّي نَظْرَةً فِيهِ تَعَجَّبِي لِمَا فِيهِ أَوْ لَا تَحْفَلِي بِالْعَجَائِبِ^(٢)

وهي طويلة ، والرواية فيه « وصاعقة في كفه » كما في الديوان^(٣) وبعنه :

(١) اقرأها في الديوان (١ - ٧٢)

(٢) في الديوان « أو لا تحفلي للعجائب »

(٣) في نسخة الديوان المطبوعة بمصر « وصاعقة من نصله » كما في نسخ

التلخيص

يكادُ الندى منها يفيض على المدَا لَدَى الحَرْبِ فِي ثَنِيَّ قَنَا وَقَوَّاضِبِ
والصاعقة : الموت ، وكل عذاب مهلك ، وصيحة العذاب ، والحراق الذي
يبعد الملك سائِقِ السحاب ، ولا يأتي على شيء إلا أحرقه ، أو نار تسقط من
السماء ، والانكفاء : الانقلاب ، والأرؤس : جمع رأس ، والأقران : جمع قرن ،
وهو الكفنة .

والشاهد فيه : بحىء القرينة معاني ملتزمة ، مربوطة بعضها ببعض ،
يكون الجميع قرينة ، لا كل واحد ، فهنا أراد بخمس سحائب أنامل المدوح
الحسن التي هي في الجود وعموم العطاء سحائب : أَى يَصِبُّهَا عَلَى أَ كَفَائِهِ فِي
الحرب فيهلكهم بها ، وأراد بأرؤس الأقران جمع الكثرة بقرينة المدح ، لأن
كلا من صيغة جمع القلة والكثرة يستعار للآخر ، فهنا لما استعار السحائب
لأنامل المدوح ذكر أن هناك صاعقة وَيَبِّنُ أَنَّهَا مِنْ نَصْلِ سَيْفِهِ ، ثم قال « على
أرؤس الأقران » ثم قال « خمس » ، فذكر العدد الذي هو عدد الأنامل ،
فظهر من جميع ذلك أنه أراد بالسحائب الحسن الأنامل .

١٠٢ — * وَإِذَا احْتَبَى قَرْبُوسُهُ رِعْمَانَهُ *

شاهد
الاستفارة
النرية

قائله يزيد بن مَسْلَمَةَ بن عبد الملك بن مروان ، من قصيدة من الكامل
يصف فرسالة بأنه مؤدب ، وأنه إذا نزل عنه وألقى عناناه في قَرْبُوسِ سرجه
وقف مكانه إلى أن يعود إليه ، وتماهه :

* عَلَكَ الشَّكِيمَ إِلَى أَنْصِرَافِ الزَّائِرِ *

والقربوس — بفتح الراء ، ولا تسكن إلا في ضرورة الشعر — وهو حِنُونُ
السَّرجِ ، وهما قربوسان ، والعنان — بكسر العين — سير اللجام الذي تَمْسُكُ

به الدابة ، والشكيم ، والشكيمة : الحديبة المعترضة في فم الفرس فيها الفأس ،
وأراد بالزائر نفسه بدليل ما قبله ، وهو :

عَوَّدْتُهُ فِيهَا أَزُورُ حَبَائِي إِهْمَالَهُ وَكَذَلِكَ كُلُّ مُخَاطِرٍ

والشاهد فيه : الاستعارة الخاصة ، وهي : الغريبة ، والغربة قد تكون في
نفس الشبه كما في البيت ، فانه شبه هيئة وقوع العنان في موقعه من قربوس
المرج ممتدا إلى جانبي فم الفرس بهيئة وقوع الثوب موقعه من ركة الحنجر ،
ممتدا إلى جانبي ظهره وساقيه بثوب^(١) أو غيره كوقوع العنان في قربوس المرج
لجاءت الاستعارة غريبة كغربة المشبه .

ومن الاستعارات الغريبة قول طُفَيْلُ الْغَنَوَى [من الكامل] :

وَجَعَلْتُ كُرَى فَوْقَ نَاجِيَةٍ يَقْتَاتُ شَحْمَ سَنَامِهَا الرَّحْلُ

وكذا قول الأستاذ ابن المعتز [من الرجز] :

حَتَّى إِذَا مَا عَرَفَ الصَّيْدُ أَنْصَارَ وَأَذْنَ الصَّبْحُ لَنَا بِالْأَبْصَارِ

وقول جرير [من الكامل] :

تُحْبِي الرُّومِيسُ رُبْعَهَا فَتَجِدُهُ بَعْدَ الْبَلَى وَتَمِيتُهُ الْأَمْطَارُ

وقول أبي نواس [من السريع] :

بِصَحْنٍ خَلَّيْتُ لَمْ يَفِضْ مَأْوُهُ وَلَمْ تَخْضُ أَعْيُنُ النَّاسِ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

أَيَاتُ
الاستعارات
الغريبة

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق هنا ما نصه « قوله بثوب إلى
قوله المرج ثابت في جميع النسخ ، وهو زائد بلا فائدة ، فلعل الصواب
إسقاطه » اهـ

فَإِذَا بَدَأَ افْتَأَتَتْ مَحَاسِنُهُ قَسْرًا إِلَيْهِ أَعِيْنَةُ الْحَدِيقِ

١٠٣ - * وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمِطْرِ الْأَبَاطِيحُ *

قائله كثير عزة، من قصيدة من الطويل، وصدرة :

* أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا *

وقبله (١) :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ
وَشَدَّتْ عَلَى حَذْبِ الْمَهَارَى رِحَالَنَا وَلَمْ يَنْظُرِ الْعَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحٌ

وقيل : الأبيات لابن الطثرية . وذكر الشريف الرضى في كتابه « غرر
الفرائد » قال : أنشدني ابن الأعرابي للمضرب (٢) ، وهو عقبة بن كعب بن
زهير بن أبي سلمى رحمهم الله تعالى :

وَمَا زِلْتُ أَرْجُو نَفْعَ مَسْكِيٍّ وَوُدَّهَا وَتَبَعْدُ حَتَّى أَبْيَضَ مِنْى الْمَسَائِحُ
وَحَتَّى رَأَيْتُ الشَّخْصَ يَزْدَادُ مِثْلَهُ إِلَيْهِ وَحَتَّى نَصَفُ رَأْسِي وَاضِحُ

(١) أنشد ثلاثة الأبيات أبو هلال العسكري في الصناعتين (٢) (٤٢ الآستانة)
وابن قتيبة في الشعر والشعراء (٨ أوربا) والشيخ عبد القاهر الجرجاني في أمرار
البلاغة (١٦ طبعة ثالثة) وروى أولها وثالثها أبو على القالى فى ذيل الأمالى
(١٦٦) وأبو الفتح ابن جنى فى الخصائص (١ - ٢٢٥) وروى ثلاثة الأبيات
فى ضمن ثمانية أبيات الشريف المرتضى فى أماليه (٢ - ١١٠) وهى الأبيات
التي رواها المؤلف فيها بعد ، بنفس ترتيبها هنا . ونسبها إلى المضرب عقبة بن كعب
ابن زهير بن أبي سلمى المزنى ، وأسند روايتها إلى ابن الأعرابي كما هو فى
كلام المؤلف

(٢) فى الأصل « للضرى » ونحسبه محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى أمالى
الشريف المرتضى الذى نقل عنه المؤلف

شاهد التصرف
فى الاستقامة
الغامية حتى تصير
غريبة

عَلَا حَاجِي الشَّيْبُ حَتَّى كَانَهُ
وَهَزَّةً أَطْعَانٍ عَلَيْنِ بِهِجَةٍ
ظِلَاءَ جَرَّتْ مِنْهَا سَنِيحٌ وَبَارِحٌ
طَلَبْتُ وَرَيْقَانُ الصَّبَا بِي جَاهِجٌ
فَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ
وَمَسَحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا
وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطَى الْأَبَاطِجُ
وَشَدَّتْ عَلَى حَدَبِ الْمَهَارَى رَحَالَهَا
وَلَمْ يَنْظُرِ الْغَادَى الَّذِي هُوَ رَائِحٌ
فَقَلْنَا عَلَى الْخُوصِ الْمَرَاثِيلَ وَارْتَمَتْ
بَيْنَ الصَّخَارَى وَالصَّفْحِ الصَّحَاصِحِ (١)

والأباطج : جمع أبطج ، وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى .

والمعنى : لما فرغنا من أداء مناسك الحج ، ومسحنا أركان البيت الشريف عند طواف الوداع ، وشددنا الرحال على المطايا ، وارتحلنا ولم ينظر السائرون في الغداة السائرين في الرواح للاستعجال ، أخذنا في الأحاديث وأخذت المطايا في سرعة السير .

والشاهد فيه : حصول الغرابة في الاستعارة العامة بتصرف فيها ، فانه استعار سيلان السيول الواقعة في الأباطج لسير الابل سيراً عتيقاً حثيثاً في غاية السرعة المشتعلة على لين وسلاسة ، والشبه فيها ظاهر عالمي ، لكنه تصرف فيه بما أفاد اللطف والغرابة حين أسند الفعل - وهو سالت - إلى الأباطج ، دون المطى أو أعناقها ، حتى أفاد أنه امتلأت الأباطج من الابل ، وأدخل الأعناق في السير لأن السرعة والبطء في سير الابل يظهران غالباً في الأعناق ، ويتبين أمرهما في الهوادي ، وسائر الأجزاء يستند إليها في الحركة ويتبعها في الثقل والخفة . ومثل هذه الاستعارة في الحسن وعلو الطبقة في هذه اللفظة بعينها قول ابن المعتز رحمه الله تعالى حيث يقول [من البسيط] :

سَالَتْ عَلَيْهِ شِمَابُ الْحَيِّ خِينِ دَعَا أَنْصَارُهُ
بُوجُوهُ كَالِدَانَا نِيرِ

(١) في الأصل « والسناح الصحاصح » محرفاً وما أثبتناه موافق لما في أمالي الشريف المرتضى

أراد أنه مطّاع في الحى ، وأنهم يسرعون إلى نصرته كالسيل ، وكان إدخال الأعتاق في السير أ كدكلا من الرقة والغرابة في الأول أ كده هنا تعديّة الفعل إلى ضمير الممدوح يعلى لأنه يؤكد مقصوده من كونه مطّاعاً في الحى .

ترجمة
كثير عزة

وكثير عزة^(١) هو [كثير بن] ^(٢) عبد الرحمن بن أبي جمعة الأسود بن عامر ابن عويمر ، أبو صخر ، الخزاعى الشاعر المشهور ، أحد عشاق العرب ، وإنما صفوه لأنه كان شديد القصر . حدث الواقصى ^(٣) قال : رأيت كثيراً يطوف بالبيت فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فلا تصدقه ، وكان إذا دخل على عبد الملك ابن مروان أو أخيه عبد العزيز رحمهما الله تعالى يقول له : طأطأ رأسك لثلاثي يصبه السقف ، وكان يلقب زب الذباب .

وعن أبي عبيدة قال : كان الحزین الكنانى قد ضرب على كل رجل من قریش درهمين فى كل شهر ، منهم ابن أبى عتيق ، فجاءه لأخذ درهميه على حماره أعجف ، قال : وكثير مع ابن أبى عتيق ، فأمر ابن أبى عتيق للحزین بدرهمين فقال الحزین لابن أبى عتيق : من هذا الذى معك ؟ قال : أبو صخر كثير بن أبى جمعة ، قال : وكان قصيراً دميماً ، فقال له الحزین : أتأذن لى أن أهجوه ببيت من الشعر ؟ قال . لعمرى لا آذن لك أن تهجو جليسى ، ولكنى أشتري عرضه منك بدرهمين ، ودعا له بهما ، فأخذهما وقال : لا بد لى من هجائه ببيت ، قال : وأشتري ذلك منك بدرهمين آخرين ، فدعا له بهما ، فأخذهما أيضاً ، وقال : ما أنا بتاركه حتى أهجوه ، قال : وأشتري ذلك منك بدرهمين أيضاً ، فقال له كثير :

(١) نحمد لكثير عزة ترجمة فى الأغاني (٨ - ٢٧ و ١١ - ٤٦) وفى الشعر والشعراء (٣١٦) وفى تزيين الاسواق (١ - ٤٧) وفى ابن خلكان (٢ - ١٨٩) وفى خزانة الأدب للبغدادى (٢ - ٣٧٦)

(٢) زيادة لا بد منها ، وهى ثابتة فى جميع المراجع ، وعبد الرحمن اسم أبیه ، وامم جده الأسود ، وأبو جمعة كنية الأسود
(٣) كذا ، ولم أعثر له على تعريف ، ولعله محرف .

ايذن له ، وما عسى أن يقول في بيت واحد ، قال : فأذن له ابن عتيق ، فقال
[من الطويل] :

قَصِيرُ الْقَمِيصِ فَاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ يَمُضُّ الْقَرَادُ بِاسْتِهِ وَهُوَ قَائِمٌ

قال : فوثب إليه كثير ، فلكزه فسقط عن الحمار ، فخلص ابن أبي عتيق
بينهما ، وقال لكثير : قبحك الله ! أتأذن له وتسفه عليه ؟ فقال كثير : وأنا
ما ظننت أن يبلغ بي في بيت واحد هذا كله .

وكان كثير يقول بتناسخ الأرواح ، وكان يدخل على عمه له يزورها فشكرمه
وتطرح له وسادة يجلس عليها ، فقال لها يوما : لا والله ما تعرفيني ولا تكرميني
حق كرامتي ، قالت : بلى والله إني لأعرفك ، قال : فمن أنا ؟ قالت : فلان ابن فلان
وابن فلانة ، وجعلت تمدح أباه وأمه ، فقال : قد علمت أنك لا تعرفيني ، قالت :
فمن أنت ؟ قال : أنا يونس بن متى ، وكان يقرأ ^(١) (في أي صورة ماشاء ركبك)
وكان يؤمن بالرجعة ، ودخل عليه عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنهم يعود في مرضه الذي مات فيه ، فقال له كثير : أبشر فكأنك بي
بعد أربعين ليلة قد طلعت عليك على فرس عتيق ، فقال له عبد الله بن حسن
رضي الله عنه : مالك ؟ عليك لعنة الله ! فوالله لئن مت لا أشهدك ! ووالله لا
أعودك ولا أكلك أبدا . وكان شيعيا غاليا في التشيع ، وكان يأتي ولد حسن بن
حسن رضي الله عنهم إذا أخذ العطاء فيهب لهم الدراهم ، ويقول : بأبي الأنبياء

(١) عبارة الاغانى أوضح حيث يقول « وكان كثير شيعيا غاليا ، وكان
يزعم أن الأرواح تتناسخ ويحتج بقول الله تعالى : (في أي صورة ماشاء
ركبك) ويقول : ألا ترى أنه حوله من صورة في صورة .

الصغار (١).

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : إني لأعرف صالح بن هاشم من فاسدهم بحب كثير ، مَنْ أحبه منهم فهو فاسد ، ومن أبغضه فهو صالح ، لأنه كان خشيباً يؤمن بالرجعة .

وحدث رجل من مُرَيْنة قال : ضِفْتُ كثيراً ليلةً وبثُّ عنده ، ثم تحدثنا وثننا ، فلما طلع الفجر تضور ، ثم قت فتوضأت وعليت وكثير نائم في لحافه ، فلما طلع قرن الشمس تضور ثم قال : يا جارية اسجري (١) لي ماء ، أرى سحني ، قال : فقلت : تباً لك سأثر اليوم وبعده ، وركبت راحلتي وتركته .

وكان كثير عاقلاً لآبيه ، وكان أبوه قد أصابته قرحة في أصبع من أصابع يديه فقال له كثير : أتدري لم أصابتك القرحة في أصبعك ؟ قال : لا أدري ، قال : مما ترفعها إلى الله في عين كاذبة .

وعن طلحة بن عبيد الله قال : مارأيت أحق من كثير ، دخلت عليه في نفر من قريش وكنا كثيراً مانبرأ به وكان يتشيع تشيعاً قبيحاً ، فقلت له : كيف تجدك يا أباصخر ؟ وهو مريض ، فقال : أجدي ذاهباً ، فقلت : كلا ، فقال : هل سمعتم الناس يقولون شيئاً ؟ قلت : نعم يتحدثون بأنك الدجال ، قال : أما إذ قلت ذاك فاني لأجد في عيني هذه ضعفاً منذ أيام .

(١) في الأصل « ويقول أنا نبي الأنبياء الصغار » محرفاً عما أثبتناه ، وعبرة الأغاني تؤيد هذا التصحيح ونصها « نظر كثير إلى بني حسن بن حسن وهم صغار ، فقال : يا بابي أنتم هؤلاء الأنبياء الصغار » وفي رواية أخرى « كان شيعياً وكان يأتي ولد حسن بن حسن إذا أخذ عطاءه فيهب لهم الدراهم ويقول : وا ، بابي الأنبياء الصغار »

(٢) في الأصل « أنجزى » محرفاً وما أثبتناه موافق لما في الأغاني ، ويؤيده التفسير

وعن عبدالعزيز بن عمر رحمهما الله أن أناسا من أهل المدينة المنورة كانوا يهزأون بكثير فيقولون وهو يسمع : إن كثيرا لا يلتفت من تيهه ، فكان الرجل يأتيه من ورائه فيأخذ رداءه فلا يلتفت من الكبر ، وبعض في قبيص .
وكان عبد الملك بن مروان معجبا بشعره ، قال له يوما : كيف ترى شعري يا أمير المؤمنين ؟ قال : أراه يسبق السحر ، ويغلب الشعر .

وقال عبد الملك له يوما : مَنْ أشعر الناس يا أبا صخر ؟ قال : مَنْ يروى أمير المؤمنين شعره ، فقال له عبد الملك : إنك لمنهم .

وحدث كثير قال : ما قلت الشعر حتى قُوتته ، قيل له : وكيف ذاك ؟ قال : بينا أنا نصف النهار أسيرُ على بعيرٍ لى بالنعيم ، أو بقاع حران ، إذ راكب قد دنا إلىَّ حتى صار إلى جنبي ، فتأملتُه فإذا هو من صفر وهو يجر نفسه في الأرض جراً ، فقال لى : قل الشعر ، وألقاه على ، قلت : من أنت ؟ قال : قرينك من الجن ، فقلت الشعر .

وكان أول أمره مع عزة التي يتعشقها أنه مر بنسوة من بنى ضمرة ومعه جلب غنم فأرسلن إليه عزة وهي صغيرة فقالت له : يقلن لك النسوة بعنا كبشاً من هذه الغنم وأنسئنا بشمنه إلى أن ترجع ، فأعطاها كبشاً ، وأعجبته ، فلما رجع جاءته امرأة منهن بدراهمه ، فقال : وأين الصبية التي أخذت منى الكبش ؟ قالت : وما تصنع بها ؟ هذه درايمك ، قال : لا آخذ درايمي إلا ممن دفعت (١) إليه ، وولى وهو يقول [من الطويل] :

قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوْقَ غَرِيْمِهِ
وَعَزَّةٌ مَمْطُولٌ مُعْنَى غَرِيْمَهَا
فَقُلْنَ لَهُ : أَيْتَ إِلَّا عَزَّةَ ، وَأَبْرَزْنَاهَا لَهُ وَهِيَ كَارِهَةٌ ، ثُمَّ إِنِّهَا أَحْبَبَتْهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَشَدَّ مِنْ حُبِّهِ لَهَا .

(١) عبارة الأغاني « لا آخذ درايمي إلا ممن دفعت الكبش إليها »

وعن الهيثم بن عدى أن عبد الملك سأل كثيرا عن أعجب خبر له مع عزة
 فقال : حججت سنة من السنين وحج زوج عزة بها ، ولم يعلم أحدهما بصاحبه ، فلما
 كنا ببعض الطريق أمرها زوجها باتباع سمن يصلح به طعاما لأجل رفقته ،
 فجعلت تدور الخيام خيمة خيمة حتى دخلت إلى وهي لا تعلم أنها خيمتي ، وكنت
 أبرى سهما لي ، فلما رأيتهما جعلت أبرى وأنظر إليهما ولا أعلم حتى برت ذراعي
 وأنا لا أشعر به ، والدم يجري ، فلما تبينت ذلك دخلت إلى فأمسكت بيدي ،
 وجعلت تمسح الدم بثوبها ، وكان عندي نحي من سمن : فخلعت لتأخذته ،
 فقامت به إلى زوجها ، فلما رأى الدم سألهما عن خبره ، قال : فكلامته ، حتى
 حلف عليها لتصدقته ، فلما أخبرته ضربها وحلف للتشمتي في وجهي ، فوقفت
 على وهو معها ، فقالت لي : يا ابن الزانية ، وهي تبكي ، ثم انصرفا ، فذلك
 حيث أقول [من الطويل] :

أَسِينِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لِأَمَلُومَةٍ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٍ إِنْ تَقَلَّتْ
 هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَائٍ مَخَامِرٍ لَعَزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ
 ومنه قوله فيها أيضا [من الطويل] :

وَدَدْتُ وَحَقَّ اللَّهُ أَنْتَ بَكْرَةٌ وَأَنْتِ هَجَانٌ مُصْعَبٌ نَمَّ مَرْبٌ
 كَلَانَا بِهِ عَرٌّ فَنَ يَرْنَا يَقُلْ عَلَى حَسَنِهَا جِرَاءُ تُعْدِي وَأَجْرَبُ
 نَكُونُ لَدَى مَالٍ كَثِيرٍ مَقْفَلٍ فَلَا هَوَ يَرَعَانَا وَلَا نَحْنُ نَطْلُبُ
 إِذَا مَا وَرَدْنَا مِنْهَا صَاحَ أَهْلُهُ عَلَيْنَا فَمَا نَنْفَكُ نَرْمِي وَنُضْرَبُ

يحكى أن عزة لما بلغها ذلك وحضر إليها أنشدته الأبيات وقالت له : ويحك !
 لقد أردت لي الشقاء ، أما وجدت أمنية أوطأ من هذه ، فخرج من عندها خجلا
 وأسوأ من هذه الأمانة أمنية الفزاري^(١) حيث قال [من البسيط] :

(١) في هامش مطبوعة بولاق - تعليقا على هذه الكلمة - ما نصه .

قوله الفزاري كذا في نسخة وفي أخرى العذري

مَنْ جَبَّهَا أَمَتَى أَنْ يُلَاقِيَنِي مَنْ نَحَوْ بِلَدْنَهَا نَاعٍ فَيَنْفَعَهَا
 كَمَا أَقُولُ فِرَاقٌ لَا لِقَاءَ لَهُ وَتَضْمَرُ النَّفْسُ يَأْسًا ثُمَّ تَسْلَاهَا
 وَلَكِنَّهُ اسْتَدْرَكَ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ :
 وَلَوْ تَمَوْتُ وَرَأَعْنِي لَقَلْتُ لَهَا : يَا بُوْسُ لِلْمَوْتِ لَيْتَ الدَّهْرُ أَبْقَاهَا
 وَقَالَ الْآخَرُ [مَنْ الطَّوِيلُ] :

تَمَنَيْتُ مِنْ حَبِيٍّ بَثِينَةً أَنَا وَوَدَدْنَا جَمِيعًا ثُمَّ نَحْيَا وَلَا أَحِبَّا
 فَتَرَجَعَ دُنْيَاهَا عَلَيْهَا وَإِنِّي بِسَاعَةِ ضَمَمَهَا رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا
 وَكُلِّ امْرِئٍ أَمَانِيهِ تَلِيْقُ بِعَالِيهِ ، قِيلَ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
 عَلَيْهِ : مَا تَمَنَّى ؟ قَالَ : سِنْدًا عَالِيًا وَبَيْتًا خَالِيًا ، وَقِيلَ لِبَعْضِ الْوَرَاقِينَ : مَا تَمَنَّى ؟
 قَالَ : قَلْبًا مَشَاقًا ، وَحَبْرًا بَرَّاقًا ، وَجُلُودًا وَأَوْرَاقًا ، وَقِيلَ لِبَعْضِ الصُّوفِيَةِ :

مَا تَمَنَّى ؟ قَالَ : دَقْنَا^(١) وَدَقْنَا ، وَلَا أُرِيدُ رِزْقًا ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ [مَنْ مَخْلَعُ الْبَسِيطِ] : آيَاتُ فِي أَنْوَاعٍ
 مِنْ الْأَمَانِيِّ
 لَوْ قَالَ لِي خَالِقِي تَمَنَّى قُلْتُ لَهُ سَائِلًا بِصِدْقٍ
 أُرِيدُ فِي صُبْحِ كُلِّ يَوْمٍ فُتُوحَ خَيْرٍ يَأْتِي بِرِزْقٍ
 كَفِّ حَشِيشٍ وَرِطْلٍ لَحْمٍ وَمَنْ خَبِرَ وَنَيْكَ عِلْقٍ
 وَقَوْلُ الْآخَرِ [مَنْ الْبَسِيطُ] :

لَوْ قِيلَ مَا تَمَنَّى قُلْتُ فِي عَجَلٍ أَخَا صَدُوقًا أَمِينًا غَيْرَ خَوَانٍ
 إِذَا فَعَلْتَ جَمِيلًا ظَلَّ يَشْكُرُنِي وَإِنْ أَسَأْتُ تَلَقَّانِي بِغَفْرَانٍ
 وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ سَارَةَ فِي الْأَمَانِيِّ [مَنْ الطَّوِيلُ] :

أَمَانِي مِنْ لَيْلِي حِسَانٍ كَأَنَّمَا سَقَّنِي بِهَا لَيْلِي عَلَى ظَمَأٍ بَرْدًا

(١) كَتَبَ مُصَحِّحُ مَطْبُوعَةِ بُولَاقٍ مَا نَصَهُ : قَوْلُهُ دَقْنَا كَذِبًا فِي النُّسخِ
 وَلَعَلَّهُ دَقْنَا

مَنْ إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمَنَى وَإِلَّا فَقَدْ عَشِنَا بِهَا زَمَنًا رَعْدًا

وبديع قول الوزير مؤيد الدين الطغراني رحمه الله تعالى [من البسيط]:
أَعْلَلَّ النَّفْسَ بِالْأَمَالِ أَرْقَبَهَا مَا أَضَيَّقَ الْمَيْشَ لَوْلَا فَسْحَةُ الْأَمَلِ
وقد أخذه الهاد الكاتب فقال [من الطويل]:

وَمَا هُذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا صَحَائِفٌ نَوَّرَخَ فِيهَا نَمٌّ يُنْمَعَى وَتُغْمَقُ
وَلَمْ أَرْعِشًا مِثْلَ دَائِرَةِ الْمَنَى تَوَسَّعَ بِهَا الْأَمَالُ وَالْعِيشُ صَبِيقُ

وقال العفيف إسحاق بن خليل كاتب الانشاء للناصر داود [من البسيط]:
لَوْلَا مَوَاعِيدُ أَمَالٍ أَعِيشُ بِهَا لَمْتُ يَا أَهْلَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ زَمَنِ
وَأِنَّمَا طَرْفُ أَمَالٍ بِهِ مَرَحٌ يَجْرِي بِوَعْدِ الْأَمَانِ مَطْلَقُ الرَّسَنِ
وقال آخر [من الخفيف]:

فِي الْمَنَى رَاحَةٌ وَإِنْ عَلَتْنَا مِنْ هَوَاهَا يَمِضُ مَا لَا يَكُونُ
وقال أبو الوليد بن زيدون أيضاً [من الكامل]:

أَمَّا مَنْ قَلْبِي فَأَنْتَ جَمِيعُهُ يَا لَيْتَنِي أَصْبَحْتُ بُعْضَ مَنْكَ
يُدْنِي مَزَارِكَ حِينَ شَطَبِهِ النَّوَى وَهُمْ أَكَادُ بِهِ أَقْبَلُ فَالْكِ

ومن هنا أخذ الحاجري قوله [من الطويل]

يَمْدُكَ الشَّوْقُ الشَّدِيدُ لِنَاطِرِي فَاطْرُقْ إِجْلَالًا كَأَنَّكَ حَاضِرُ
وقال ابن رزین من شعراء الذخيرة [من مجزوء الكامل]:

لَأَسْرَحَنَّ نَوَاطِرِي فِي ذَلِكَ الرُّوضِ النَّضِيرِ
وَلَا كَلَّتْكَ بِالْمَنَى وَلَأَسْرَحَنَّكَ بِالضَّمِيرِ

وقال علم الدين أیدمر الحوی [من مجزوء الخفيف]:

كَمْ لَدَيْنَا أُمَانِيًّا قَدْ حَوَتْ مُحْكَمَ الْعَمَلِ
فَارْغَاتٍ مِنَ الدُّنَا نِيرٍ مَلَأَى مِنَ الْأَمَلِ

وهو عكس قول الآخر [من الطويل] :

وإن رجاء كامنًا في نواله لكالمال في الأكياس تحت الخواتم
وقال أبو الحسين الجزار [من الخفيف] :

ليت شعري ما العذر لولا قضاء الله في رزقي وفي حرمانه
ولقد كنت أن أهيّم بحمل الهم لولا تملئي بالأمان

وله أيضا [من الكامل] :

حسب الفتى حسن الأمان إنه لا يعتره مدى الزمان زوال
وقال أبو البركات محمد بن الحسن الحاملي [من الخفيف] :

لي حبيب لو قيل: ما تمنى ما تعدّيته ولو بالنسب
أشبهني أن أحلّ في كل طرفٍ فأراه يلحظ كُلّ الميوس

وقال غيره [من الوافر] :

أعلل بالمتى قلبي لأنّي أفرج بالأمان الهم عنّي
وأعلم أن وصلك لا يرجئ ولكن لأقل من التمني

وقال الآخر وهو أصرح مما قبله [من الوافر] :

إذا ما عنّ ذكرك في ضميري وقابلني محيّاك الجليل
أصير لفرط أشواق أيورا لعلني أن نيكلك مستحيل

وهو يشبه قول الصفي الحلبي أيضا [من الوافر] :

إذا صدّ الحبيب لغير ذنب وقاطعتي وأعرض عن وصالي
أمثله وأنكسح عند صلحي بأثير الفكر في ثقب الخيال

وقد سد ابن المعتز باب المتى بقوله [من البسيط] :

لا تأسفن من الدنيا على أمل فليس باقيه إلا مثل ماضيه
وتابعه الخالدي فقال [من السريع] :

ولا تكن عبد المتى فالتى رهوس أمسوال المغاليس
وقال الآخر [من السريع] :

من قال من دنياه أمنيّة أسقطت الأيام منها الألف

وقال شرف الدين القيروانى أيضا [من الكامل] :

غلف تمنوا فى البيوت أمانياً وجميع أعمار الشلام أمانى

وقال الآخر [من الوافر] :

ألا يافسُ إن ترَضَى بقوتِ فانت عزيزة أبداً غنيّة
دعى عنك المطامع والأمانى فكم أمنيّة جلبت منيّة

وقال أبو الحسين الجزار [من الخفيف] :

أنا فى راحة من الآمال أين من همى بلوغُ المال
لى عجز أراح قلبى من الهم ومن طول فكرتى فى الحال
ما لباس الحرير مما أرجيه فبرجى ولا ركوب البغال
راحة السر فى التخلف عن كل محلّ أضحى بعيد المنال

وقال بعضهم [من الطويل] :

وأكثر ما تلقى الأمانى كواذبا فإن صدقت جازت بصاحبها القدرا

وقال آخر [من الطويل] :

ولى من غمى النفس دُنيا عريضة ومستفتح يفتدو علىّ ويطرُق
فقدت المتى إلا النفس تلهو عن المتى لتجربة منها ولا هى تصدق

وقال الصلاح الصفدى [من الطويل] :

ألا فاطرُح عنك التنى ولا تبنت بكاساته نشوان غير مُفنيق
فان كان مما لا غنى عنه فليكن وفاة عدوٍ أو حياة صديق

وقد أكثرنا في طول الأمل وضده فلنرجع إلى أخبار كثير عزة .
يحكى أنه خرج في الحج بجمل يبيعه ، فمر بسكنية بنت الحسين رضى الله عنهما ،
ومعها عزة وهو لا يعرفها ، فقالت لها سكنية : هذا كثير سومي بالجل ، فسأته ،
فأستم بمائتي درهم ، فقالت : ضع عنا كذا وكذا ، لشيء قليل ، فأبى ، فدعت
له بتمر وزبد فأكل ، فقالت له : ضع عنا كذا وكذا ، لشيء قليل ، فأبى أيضا ،
فقالنا له : قد أكلت بأكثر مما نألك ، فقال : ما أنا بواضع شيئا ، فقالت
سكنية : اكشفوا ، فكشفوا عنها وعن عزة ، فلما رآها استحيا وانصرف وهو
يقول : هو لكم ، هو لكم

وحدث محمد بن سلام قال : كان كثير يتقول ، ولم يكن عاشقا ، وكان جميل
صادق الصبابة والعشق ، وقال أبو عبدة : كان جميل يصدق في حبه ، وكان كثير
يكنب في حبه

ويروى أنه نظر ذات يوم إلى عزة وهي تيمس في مشيتها ، فلم يعرفها ،
فاتبعها وقال لها : يا سيدتى ، قفى لى أكلك فأبى لم أر مثلك قط ، فمن أنت ؟
قالت : ويحك ! وهل تركت عزة فيك بقية لأحد ؟ فقال : بأبى أنت ! لو أن
عزة أمة لوهبتها لك ، قالت : فهل لك في المخالة ؟ قال : وكيف لبذلك ؟
قالت : وكيف بما قلته في عزة ؟ قال : أقلبه كله وأحوله إليك ، فكتشفت عن
وجهها وقالت : أغدرا يا فاسق ، وإنك لمكذبا ؟ فأبلس ولم ينطق وبهت ، فلما
مضت أنشأ يقول [من الطويل] :

ألا ليتنى قبل الذى قلت شيب لى من السم جرعات بماء الذرارح
فتى ولم تعلم على خيانة وكم طالب للريح ليس برايح
أبوه بذنبى إننى قد ظلمتها وإنى يباقي سرها غير بائح

وكان كثير بمصر وعزة بالمدينة المنورة ، فاشتاق إليها فسافر ليلقاها ، فصادفها
في الطريق وهي متوجهة إلى مصر ، فجرى بينهما كلام طويل الشرح ، ثم إنها
(١٠ — مامد ٢)

انفصلت عنه وقدمت مصر ، ثم عاد كثير إلى مصر فوافهاها توفيت والناس
منصرفون عن جنازتها ، فأقى قبرها وأناخ راحلته ومكث ساعة ثم رحل وهو
يقول أيتها منها قوله [من الطويل] :

أقول ونضوى واقف عند قبرها عليك سلام الله والعين تسفح
وقد كنت أبكي من فراقك حية فأنت لم تدرى الآن أناى وأنزع
وقال له عبد الملك بن مروان يوما : بحق على بن أبي طالب هل رأيت أحدا
أعشق منك ؟ قال : يأمر المؤمنين ، لو أشدتنى ^(١) بحبك لأخبرتكم ، بينا أنا أسير
فى بعض الفلوات إذ أنا برجل قد نصب جبالته ، فقلت له : ما حبسك هاهنا ؟
فقال : أهلكتى وأهلى الجوع فنصبت جبالتي هنا لأصيب لهم شيئا يكفيني
ويعصمنا يومنا هذا ، قلت : أرأيت إن أقمت معك فأضبت صيدا تجعل لى جزءا
منه ؟ قال : نعم ، فبينما نحن كذلك وقعت ظبية فى الجبال فجرجنا نبتد فبدرنى
إليها فغلها وأطلقها ، فقلت : ما حملك على هذا ؟ قال : دخلتنى لها رقة لشبهها
بلى وأنا أنشأ يقول [من الطويل] :

أيا شبه ليل لا تراعى فأننى لك اليوم من وحشية لصديق
أقول وقد أطلقتها من وفاقها فأنت لليل ما حيث طليق
وحدث عبد الرحمن بن عبد الله الزهرى قال : بكى بعض آل كثير عليه
حين نزل به الموت ، فقال له كثير : لا تيك فكأنى بك بعد أربعين يوما تسمع
خشفة نعلى من تلك الشعبة راجعا إليك

وحدث يزيد بن عروة رحمهم الله تعالى قال : مات كثير وعكرمة رحمه الله
تعالى فى يوم واحد ، فقيل : مات اليوم أعلم الناس وأشعر الناس ، ولم تخلف
امراة ولا رجل عن جنازتهما ، وغلب النساء على جنازة كثير بيكته ، يذكرن
عزة فى نديهن ، فقال أبو جعفر محمد بن على : افرجوا لى عن جنازة كثير لأرفعها

(١) كذا والمحفوظ أن هذا الفعل ثلاثى ، فلهزمة أوله لا محل لها

قال : فجعلنا ندفع عنها النساء ، وجعل محمد بن علي رضي الله عنهما يضربهن بكفه ويقول : تَنَحَّينِ يا صويحبات يوسف ، فانتدبت له امرأة منهن فقالت : يا ابن رسول الله لقد صدقت ، إننا لصويحياتاه ، وقد كنا خيراً منكم له ، فقال أبو جعفر لبعض مواليه : احتفظ بها حتى تحيئني بها إذا انصرفنا ، فلما انصرف أتى بتلك المرأة كأنها شرر النار ، فقال لها : إيه أنت القائلة : إنك لن يوسف خير منا ؟ قالت : نعم ، تؤمنني غضبك يا ابن رسول الله ، قال : أنت آمنة من غضبي فأبيني ، قالت : نحن يا ابن رسول الله دعونا إلى اللذات من المطعم والمشرب والمتنع والمتنع ، وأنتم معاشر الرجال ألقيتموه في الحب وبعتموه بأبخس الأثمان وحبستموه في السجن ، فأينا كان عليه أحن وبه أرفأ ؟ فقال لها محمد : الله درك لن تغالب امرأة إلا غلبت ، ثم قال : ألك بعل ؟ فقالت : لى من الرجال من أنا بعله ، فقال لها : ما أصدقك مثلك من تملك زوجها ولا يملكها ، فلما انصرفت قال رجل من القوم : هذه ربيبة فلانة بنت معقب الأنصارية وكانت وفاة كثير سنة خمس ومائة ، في ولاية يزيد بن عبد الملك ، رحمهم الله تعالى !

* * *

مدار الاستمارة
التبعية على
المعلم

١٠٤ - * قَتَلَ الْبُخْلَ وَأَحْيَا السَّامِحَا *

هو لابن المعتز من قصيدته السابقة في التشبيه (١) وصدره :

* جُمِعَ الْحَقُّ لَنَا فِي إِمَامٍ *

وبعده قوله :

إِنْ عَفَا لَمْ يُلْفَرْ لِلَّهِ حَقًّا أَوْ سَطَا لَمْ يُخْشَ مِنْهُ جَنَاحَا

(١) ارجع إلى شرح الشاهد رقم (٧٩ في ص ٣٤ من هذا الجزء) .

ألف الهيجاء طفلاً وكهلاً
بحسب السيف عليه وشاحا
والشاهد فيه: مدار قرينة الاستعارة التبعية على المفعول فإن القتل والإحياء
الحقيقيين لا يتعلقان بالبخل والجود

١٠٥ - نَقَرِيهِمْ لَهُمْ مَيَاتٍ

مدار التبعة
على للنسول

قائله القطامي ، ولفظه :

نقريهمُ لهنميات نقذُ بها ما كانَ خاطِ عليهم كلُّ زَرَادٍ
وهو من قصيدة (١) من البسيط يمدح بها زفر بن الحارث الكلابي أولها:
ما اعتادَ حُبَّ سُلَيْمَى غير مُعتادٍ ولا تقضى بوافى دينها الطَّادِي (٢)
بيضاء مخطوطةُ المتنين بِهَكَنَّة رِيًّا الرِّوَادِفِ لم تَمَلْ بأولادِ (٣)
ما للكواعبِ ودُّ عن الحياة كما ودَّ عني وأُخَذَنَ الشَّيْبَ مِعَادِي
أبصارهُنَّ إلى الشبانِ مائلَةٌ وقد أراهنَّ عني غيرَ صُدَادٍ
إذ باطلي لم تَشْعُجْ جاهليَّتُهُ عني ولم يتركِ الخِلَانُ تقوادي
كَنِيَّةٍ الحى مِنْ ذِي اليَقْظَةِ احتملوا مُستَحْقِينَ فَوَادًا ما له فادى (٤)

(١) اقرأها في ديوان القطامي (٧ أوربا)

(٢) في الديوان « حين معتاد » وفي الأصل * ولا تقضى بوافى دينها
الصادى * محرفا ، وما أثبتناه موافق لما في الديوان . والطاوى : الثابت
القديم .

(٣) في الأصل « مخطوطة » محرفا . ومخطوطة المتنين : لطيفتهما . ولم
تَمَلْ : من قولهم « أمغلت الشاة » إذا ولدت في السنة مرتين .
(٤) في نسخة من الديوان « من ذى الغضبة » وفي نسخة أخرى كما هنا
وثمة روايات أخرى ، وفي الديوان « مستحقين أسيرا » وعنى به فواده

بأنوا وكانت حَيَاتِي فِي اجْتِنَاعِهِمْ وَفِي تَقَرُّقِهِمْ قَسْلِي وَإِقْصَادِي
يَقْتُلُنَا بِحَدِيثِ لَيْسَ يَمْلُهُ مِنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكْنُونُهُ بِإِدِي (١)
فَهُنْ يَنْتِزِعَنَّ مِنْ قَوْلِي يَصْبَنَ بِي مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي
وهي طويلة .

واللهزم : القاطع من الأسنة ، وأراد بلهنيات طعنات منسوبة إلى
الأسنة القاطعة ، أو أراد نفس الأسنة ، والتشبيه للبالغة ، والتد : القطع ،
والزاد : صانع الدروع

والشاهد فيه : أن مدار قرينة الاستعارة التبعية في الفعل وما يشتق منه
على الفاعل أو المفعول كما هنا ، فإن المفعول الثاني — وهو اللهنيات — قرينة
على أن « تزييم » استعارة .

وقد تقدم ذكر القطامي (٢) في شواهد القلب ، والله أعلم .

١٠٦ — * غُرُّ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا *

هو من الكامل ، وعامه :

* غَلِغَتْ لَضَحِكَتِهِ رَقَابُ الْمَالِ *

وهو من قصبة لكثير عزة ، وأراد بنمر الرداء كثير العطاء
والشاهد فيه : الاستعارة المجردة ، وهي ما قرنت بلام المتعارله ، فانه
استعار الرداء للعطاء ، لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقي عليه ،
ثم وصفه بالنمر الذي يلام العطاء دون الرداء تجريدا للاستعارة ، والقرينة سياق

(١) في نسخة من الديوان و« لا مكتومه بادي » .

(٢) ارجع إلى ترجمة القطامي في شرح الشاهد (رقم ٣٢ في ج ١ ص ٧٩١
من هذه المطبوعة) .

الكلام ، وهو قوله « إذا تبسم ضاحكاً » أى شارعاً فى الضحك آخذاً فيه ، غلقت لضحكته رقاب المال ، يقال « غلق الرهن فى يد المرتهن » إذا لم يقدر على انفسكاكه ، وهو يريد فى البيت أن ممدوحه إذا تبسم غلقت رقاب أمواله فى أيدي السائلين

ومن استعارة الرداء قوله [من الوافر] :

يُنْزَعْنِي رِدَائِي عَبْدُ عَمْرِو زُوَيْدُكَ يَا أَخَا عَمْرِو بْنِ بَكْرِ
لِي الشَّطْرُ الَّذِي مَلَكَتْ يَمِينِي فَدُونِكَ فَاغْتَجِرْ مِنْهُ بِشَطْرٍ

فانه استعار الرداء لل سيف ، وأثبت له الاعتجار وهو من صفة الرداء .

وما أحسن استعارة الرداء فى قول أبى الوليد بن الجنان الشاطبي وهو [من مجزوه الرمل] :

فَوْقَ خَدِّ الْوَرْدِ دَمْعٌ مِنْ عَيُونِ السَّحْبِ يَذْرَفُ
بِرْدَاءِ الشَّمْسِ أَضْحَى بَعْدَ مَا سَالَ يُجْفَفُ

وفى معنى عجز البيت قول امرئ القيس [من الطويل] :

غَلَقَنْ بَرَهْنَ مِنْ حَبِيبٍ بِهَادَعَتْ سُلَيْمِي فَأَضْحَى حَبْلُهَا قَدْ تَبَرَّأَ
وَقَوْلِ زَهيرٍ [من البسيط] :

وَفَارَقْنَاكَ بَرَهْنَ لَا فَسْكَكَ لَهُ يَوْمَ الْوَدَاعِ فَأَمْسَى الرُّهْنُ قَدْ غَلِقَا
وَقَوْلِ الْوَلِيدِ [من الطويل] :

* وَمِنْ يَكُ رَهْنًا لِلْحَوَادِثِ يَغْلِقِي *

وقول عمر بن أبى ربيعة [من الطويل] :

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لَا يُبَايَهُ بِهِ دَمٌ وَمِنْ غَلَقِ رَهْنٍ إِذَا ضَمَهُ مَبْنِي^(١)

وقول أبى جعفر بن مسامة بن وضاح مخاطب ساجع حمام من أبيات [من السريع] :

وَهَاجَ مَبْنِكَكَ بِيُسْتَانَ إِسْرَاهِيمَ لِلنَّجْدِيِّ ذَكَرَ الْقَطِينِ

(١) كذا ، ولم اجد له فى ديوان عمر

فَرَجَ فَعَايِدُنِي عَلَى لَوْعَتِي فَأَنْ رَهْنِي غَلَقْتُ فِي الرُّهُونِ
وَقَوْلِ أَبِي نَصْرٍ السَّاجِي [مَنْ الرِّجْزُ] :
تَشْكُو إِلَيْكَ بُحْلَتِي مَا نَالَهَا فَيَالَهَا إِنْ صَيَّرْتَ وَيَالَهَا
لَأَنهَا مَرْهُونَةٌ بِحُبِّكُمْ طَوْبًا لَهَا إِنْ غَلَقْتَ طَوْبًا لَهَا
وَمَا أَلْظَفَ قَوْلُ الصَّلَاحِ الصَّفْدَى مَعَ زِيَادَةِ إِيْهِامٍ وَإِيْهِامِ الطَّبَاقِ [مَنْ
الْمُجْتَثُ] :

سَهَامُ لِحَفْظِكَ أَصْنَتُ قَلْبِي وَلَمْ تَرَفُقْ
مَا تَفْتَحُ الْجَفْنَ إِلَّا وَرَهْنُ قَلْبِي يَفْلُقُ

لدى أسدٍ شاكٍ السلاح مُنْذَفٍ لَهُ لَبْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تَقُلْ
تقدم قريياً^(١) أن قائله زهير بن أبي سلمى ، من قصيدة من الطويل
واللبد بالكسر^(٢) شَعْرُ زَبْرَةِ الْأَسَدِ ، وَكُنَيْتُهُ أَبُو لَبْدٍ ، وَالتَّعْلِيمُ : مِبَالِقَةُ
القلم وهو قطع الأظفار

والشاهد فيه : اجتماع التجريد والترشيح في الاستعارة ، فالتجريد قد عرف
قبله ، والترشيح هو : ما قرن بعلامته المستعار منه ، فقوله هنا « لدى أسد شاكٍ
السلاح » تجريد ، لأنه وصف يلائم المستعار له وهو الرجل الشجاع ، وباقي
البيت ترشيح لأنه وصف يلائم المستعار منه ، وهو الأسد الحقيقي
ومعنى البيت أخذه زهير من قول أوس بن حجر^(٣) حيث قال [من الطويل]

(١) هو الشاهد رقم (٩٧) الذي مضى شرحه في (ص ١١٢ من هذا الجزء)

(٢) يزيد بكسر أوله ، وأما ثانيه ففتوح .

(٣) انظر حديث هذا الأخذ عن الأصمعي في الشعر والشعراء (١٠١ أوروبا)

لَمَرُّكَ إِنَّا وَالْأَحَالِفَ هَوْلًا لِنِي حَقِيَّةٍ أَظْفَارُهَا لَمْ تَقْلَمِ (١)
أى : نحن فى حرب ، وكذلك أخذه النابغة حيث قال أيضا [من السكامل]:
وَبَنُو قَعَيْنٍ لَا مَحَالَةَ إِنَّهُمْ أَتَوْكَ غَيْرَ مُقْلَى الْأَظْفَارِ

* * *

١٠٧- وَيَصْغُدُّ حَتَّى يَظُنُّ الْجَبُولُ بِأَنْ لَهُ حَاجَةً فِي السَّمَاءِ

مبنى الترشيع
على تناسي
التشبيه

البيت لأبى تمام الطائي ، من قصيدة (٢) من المتقارب يرى بها خالد بن يزيد
الشيثاني ويدكر أباه ، وأولها :

نَعَاءٌ إِلَى كُلِّ حَيٍّ نَعَاءٌ فَنَى الْعَرَبِ اخْتِطَرُ بَعِ الْفَنَاءِ
أَصْبِنَا جَمِيعًا بِسَهْمِ النَّصَالِ فَهَلَا أَصْبِنَا بِسَهْمِ الْغَلَاءِ (٣)
أَلَا أَيُّهَا الْمَوْتُ جُعْتُنَا بِمَاءِ الْحَيَاةِ وَمَاءِ الْحِيَاءِ
فَإِذَا حَيَّوْتَ بِهِ حَاضِرًا وَمَاذَا خَبَّاتَ لِأَهْلِ الْخِلْيَاءِ (٤)
نَعَاءٌ نَعَاءٌ شَقِيقَ النَّدَى إِلَيْهِ نَعِيًّا قَلِيلَ الْجَدَاءِ
وَكَاثَرًا مَانًا شَرِيكَ عِنَانٍ رَضِيعِي لِبَانٍ خَلِيلِي صَفَاءِ (٥)
إلى أن قال يخاطب ولده :

- (١) فى الأصل « لى جعبة » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الشعراء .
(٢) أقرأها فى ديوان أبى تمام (٣٤٧ يروت) وقد أثبتت هذه الأبيات
المروية هنا وكانت مبنية على الألف اللينة ، بدون همزة فى رويها وهو خطأ
(٣) فى الأصل « بسهم النصال » وفيه « بسهم العلاء » وكلاهما تحريف ، وما
أثبتناه موافق لما فى الديوان ، والغلاء : مجاوزة الحد .
(٤) فى الأصل « وماذا حضرت به حاضرا »
(٥) فى الديوان « وكاثرا جميعا » .

أَبَاجَمَرُ لِيُؤَرِّكَ الزُّمَّا نُؤَزَّ وَيَكُفَّ طُولَ الْبَقَاءِ (١)
 فَمَا مَرُّكَ الْمُرْتَجَى بِالْجَهَامِ وَلَا رِيحُنَا مِنْكَ بِالْجَرِيَاءِ (٢)
 فَلَا رَجَعْتَ فِيكَ تِلْكَ الظُّنُونِ حَيَارَى وَلَا أَسْدُ شَيْبِ الرَّجَاءِ
 وَقَدْ نَكِسَ الثُّغْرَ فَاغْبَثْ لَهُ صُدُورَ الْقَنَاقِ ابْتِشَاءَ الشُّغَاءِ
 فَقَدْ مَاتَ جَدُّكَ جَدَ الْمُلُوكِ وَنَجْمُ أَيْكَ حَدِيثُ الضِّيَاءِ
 وَلَمْ يَرْضَ قَبْضَتُهُ لِلْحَسَامِ وَلَا حَمَلُ عَاتِقِهِ لِلْوَاءِ
 فَمَا زَالَ يَقْرَعُ نَلَّكَ الْعَلَا مَعَ النِّجْمِ مَرْتَدِيًّا بِالْعَمَاءِ (٣)

وبعد البيت ، وهى قصيدة طويلة ، وهذا البيت فى مدح أبيه وذكر علوه
 والشاهد فيه : أن مبنى الترشيح على تناسى التشبيه ، حتى إن المرشح يبنى
 على علو القدر الذى يستعار له علو المكان ما يبنى على علو المكان والارتقاء إلى
 السماء ، فلو أن قصده أن يتناسى التشبيه ويُعبر على إنكاره فيجعله صاعداً فى
 السماء من حيث المسافة المكانية لما كان لهذا الكلام وجه

ومثله قول بشار [من مجزوء الوافر] :

أَتَنَنِي الشَّمْسُ زَائِرَةً وَلَمْ تَكُ تُبْرِحُ الْفَلَكَ

وقول ابن الرومى يمدح به بنى نوبخت [من المنسرح] :

شَافَهُمُ الْبَدْرَ بِالسُّؤَالِ عَنْ أَمْرِ إِلَى أَنْ بَلَغْتُمْ رَحْلًا

وقول أبى الطيب المتنبي أيضاً [من الكامل] :

كَبُرَتْ حَوْلَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ مِنْهَا الشُّمُوسُ وَلَيْسَ فِيهَا الْمَشْرِقُ

(١) فى الديوان « ليعرك الزمان * عزاء ».

(٢) المزن : السحاب ، والجهام : الذى لا ماء فيه ، والجرياء : بريح الشمال

(٣) العماء : السحاب المرتفع .

وقول الآخر [من الطويل] :

ولم أَرِ قَبْلَ مَنْ مَشَى الْبَدْرُ نَحْوَهُ وَلَا رَجُلًا قَامَتْ مُعَاتِقُهُ الْأَسَدُ
وقد اتفق علماء البديع على تقديم الاستعارة المرشحة على غيرها في هذا
الباب ، وأنه ليس فوق رتبته رتبة ، ولذا ذكر نبذة منها ومن غيرها ، فمن
محاسن ما ورد فيها قول أبي جعفر الشقري [من السريع] :

يَهْلُ تَرَى أَظْرَفَ مَنْ يَوْمَنَا قَلْدَ حَيْدِ الْأَفْقِ يَلُوقُ الْعَقِيقُ
وَأَنْقَ الْوَرَقَ بِعِيدَانِهِ مَرْقَصَةَ كُلِّ قَضِيبٍ وَرِيقُ
وَالشَّمْسُ لَا تَشْرَبُ خِرَالِنْدَى فِي الرُّوضِ إِلَّا بِكُؤُوسِ الشَّقِيقِ
ومثله في الرشاقة قول ابن رشيقي [من السريع] :

بَاكِرٌ إِلَى اللَّذَاتِ وَارَكِبٌ لَهَا سَوَابِقُ اللَّهِوِ ذَوَاتِ الْمَزَاحِ
مَنْ قَبْلُ أَنْ تَرُشِفَ شَمْسُ الضُّحَى رِيقُ الْغَوَادِي مِنْ تُغُورِ الْأَقَاحِ
ولطيف قول بعضهم أيضاً [من السريع] :

شَرًّا بِنَا الرِّيقُ وَكَسَاتُنَا شَفَاهُنَا وَالْقُبْلُ النُّقْلُ

ويقرب من البيت الأول ، من قول ابن رشيقي ، قول ابن المعتز ،

[من الوافر] :

وَقَدَّرَ كَهْزَتُ بِنَاخِيلِ الْمَلَاهِي وَقَدْ طَرَّنا بِأَجْنَحَةِ الشُّرُورِ

وبديع أيضاً قول ابن وكيع [من الرمل] :

غَرَدَ الطَّيْرُ فَنَبَّهَ مِنْ نَفْسٍ وَأَذَرِ كَأْسُكَ فَالْعَيْشُ خُلْسُ
مُلَّ سَيْفُ الْفَجْرِ مِنْ غَيْدِ الدَّجَى وَتَمَرَّتِ الصَّبِيحُ مِنْ ثَوْبِ الْغُلَسِ
وَانْجَلَى عَنْ حَلَلٍ فَضِيَّةٍ فَالَهَا مِنْ ظُلَمِ اللَّيْلِ دَنْسُ

وقول أبي نُوَاسٍ [من السريع] :

بصحنٍ خَدَيْ لَمْ يَفْضْ مَاؤُهُ وَلَمْ تَخْضُهُ أَعْيُنُ النَّاسِ
وقوله أيضاً [من الكامل] :

فَأَذَابِدَا اقْتَادَتْ مُحَاسِنُهُ قَسَرَّا إِلَيْهِ أَعْنَةَ الْحَدَقِ
وقوله أيضاً ، وهو عجيب هنا [من البسيط] :

مَا زِلْتُ أُسْتَلُّ رُوحَ الزُّقِّ فِي لَطْفٍ وَأُسْتَقَى دَمُهُ مِنْ جَفَنِ مَجْرُوحِ
حتى اثنتيت ولي روحان في جسدي وَالزُّقُّ مُنْطَرِحٌ جِسْمٌ بِلَا رُوحِ

وقول البدر الذهبي ، وأجاد [من مغلغ البسيط] :

مَا نَظَرْتُ مُقْلَتِي عَجِيغًا كَاللُّوزِ لَمَّا بَدَا نَوَارُهُ
اشتعل الرأسُ منه شيبًا وَاخْضَرَّ مِنْ بَعْدِهَا عَذَارُهُ

وقول ابن خفاجة الأندلسي [من الطويل] :

وَقَدْ جَالَ مِنْ حَوْلِ الْغَمَامَةِ أَذْهُمٌ لَهُ الْبَرْقُ سَوِطُهُ وَالشَّمَالُ عِنَانُ
وَضَمِخَ دَرْعُ الشَّمْسِ نَحْرَ حَدِيقَةٍ عَلَيْهِ مِنَ الطَّلِّ السَّقِيطُ جُحَانُ
وَنَمَتْ بِأَسْرَارِ الرِّيَاضِ خَيْلَةٌ لَهَا النُّورُ نَفْسُهُ وَالنَّسِيمُ لِسَانُ

وقول ابن قناص [من الخفيف] :

قَدْ أَتَيْنَا الرِّيَاضَ حِينَ تَجَلَّتْ وَتَحَلَّتْ مِنَ النَّدَى بِجُمَانِ
وَرَأَيْنَا خَوَاتِمَ الزَّهْرِ لَمَّا سَقَطَتْ مِنْ أَنْامِلِ الْأَغْصَانِ

و بديع أيضاً قول ابن بُنَاتَةَ السعدي [من الطويل] :

خَرَقْنَا بِأَطْرَافِ الْقَنَا لَظْهُورَهُمْ عَيُونًا لَهَا وَقَعُ السُّيُوفِ حَوَاجِبُ
لَقَوْا نَبْلًا نَمَزَدَ الْعَوَارِضَ وَانْثَنَوْا لِأَوْجُهُمْ مِنْهَا لَحَى وَشَوَارِبُ

وقول الشريف أبي الحسن العقيلي [من المتقارب] :

وفرق تيجانَ نَوَارِهِ فلم ينسَ من غُصْنٍ مَفْرِقًا
 وقوله أيضاً [من الوافر] :
 إذا أبدى مُؤامِرَةَ التجنى أفتُ لَهُ وُجوهُ الاحْتِمَالِ
 وقوله أيضاً [من الكامل] :
 خَلَصَ بِجَاهِ الوصلِ قلبَ متَيِّمٍ غَمَزَ الصَّدُودُ عليه أعوانَ الضئِ
 وقوله أيضاً [من الخفيف] :
 كلما لَاحَ وَجْهُهُ بِمِكانٍ كثرت زحمةُ العيونِ عليه
 وقوله أيضاً [من المتقارب] :
 فلما تبدى لنا وجهُهُ تَهَيَّنَا مُحاسنُهُ بالعيونِ
 وقول السرى الرقاء في يوم بارد من أبيات [من مجزوء الكامل] :
 متلون يبدى لنا طرقاتَ بأطرافِ النهارِ
 فهوهُ من كسبِ الرذا وغيمُهُ جافٍ إلا زارِ
 يبكي فيجمدُ دمعُهُ والبرقُ يكحله بنارِ
 وقول أبي القاسم الدينورى [من مجزوء الرمل] :
 من عَدِيرِي من بديعِ الـ حسنَ ذِي قَدَرٍ رَشِيقِ
 أنبتتَ في فَمِهِ اللؤلؤ لؤلؤ أرضٍ من عقيقِ
 وما أظفَ قول أبي زكرياء المغربي من قصيدة أولها [من الرمل] :
 نامَ طِفْلُ النَّبتِ في حجرِ النعامِ لاهتزازِ الطلِّ في مهدِ الخُرْأَجِي
 يقول فيها :
 كَحَلِّ الفجرِ لهم جفنَ الدجى وغداً في وجنة الصبحِ لثامًا
 تحسبُ البدرَ مُحيًّا ثَمَلِ قد سقته راحةُ الفجرِ مدامًا
 وقول السلاوى ، وهو بديع [من البسيط] :
 والكاسُ للسُّكْرِ التَّهْرِى صائغةُ والماءُ للحَبِّبِ الدَرى نَظَامُ

بِقَنَانِكَ كَفُّ بِالْكَسَاةِ أَدْمَعُنَا كَأَنَّا فِي حَجَرٍ الرُّوضِ أَيْتُمٌ
وما أبدع قوله أيضاً [من الوافر] :

تَبَسُّطُنَا عَلَى الْآثَامِ لَمَّا رَأَيْنَا الْعَفْوَ مِنْ ثَمَرِ الدُّنُوبِ
قيل : كان الصاحب بن عباد يستحسن هذا البيت ، وكان يستشهد به
كثيراً ، ويقول : مادري فأنله أى ذرة رعى بها ، وأى غرة سيرها وخلدها .
وقول التنوخي وهو من غريب الاستعارات [من الخفيف] :

وَرَبَاضٍ حَاكَتْ لَهْنَ التُّرَيَّا حُلَلًا كَانَ غَزَلُهَا لِلرُّعُودِ
نَثَرَ الْفَيْثُ دُرَّ دَمْعٍ عَلَيَهَا فَتَحَلَّتْ بِمِثْلِ دُرِّ الْعُقُودِ
أَقْحَوَانُ مُعَانِقُ لَشَقِيْقٍ كَشْفُورٍ تَعَصَّ وَرَدَ الْخُدُودِ
وعيونٌ من نرجسي تترأى كميونٍ موصولة التسبيد
وكان الشقيق حين تبدى ظلمة الصدغ في حدود الفيد
وكان الندى عليها دموعٌ في عيونٍ مفعوجة بفقيد
وقول السيد أبي الحسن علي بن أبي طالب البلخي ، من أبيات
[من الطويل] :

وَكَمْ قَدَمَضَى لَيْلٌ عَلَى أُبْرُقِ الْحَمَى مُضَى وَيَوْمٌ بِالْمَشْرِقِ مُشْرِقُ
تَسَرَّعْتُ فِيهِ اللَّهُوَ أَمْلَسُ نَاعِمًا وَأَطِيبُ أَنْسَ الْمَرْءَ مَا يَتَسَرَّعُ
وَيَا حَسَنَ طَيْفٍ قَدِ تَعَرَّضَ مَوْهَبًا وَقَلْبُ الدُّجَى مِنْ صَوْلَةِ الصَّبْحِ يَخْفَى

وقول ابن الساعى [من الطويل]

وَلَوْلَا وَشَاةٌ بَلْ رُؤَاةٌ تَخَرَّصُوا أَحَادِيثَ لَيْسَتْ فِي سَمَاعٍ وَلَا قَلَرِ
لَثَمْتُ ثَمُورَ النَّوْرِ فِي شَنْبِ النَّدَى خِلَالَ جَبِينِ النَّهْرِ فِي طَرَرِ الظَّلِّ

وقول القاضي كمال الدين بن النبيه [من الطويل] :

تَبَسَّمَ نَعْرُ الرُّوضِ عَنْ شَنْبِ الْقَطْرِ وَدَبَّ عِنْدَارُ الظَّلْفِ فِي وَجْنَةِ النَّهْرِ
وقوله أيضاً [من الكامل] :

وَالنَّهْرُ خَدٌّ بِالشَّمَاعِ مُورَدٌ قَدْ دَبَّ فِيهِ عِنْدَارُ ظِلِّ الْبَانِ
وَالْمَاءُ فِي سُرُوقِ النُّصُونِ خَلَاخُلٌ مِنْ فُضَّةٍ وَالزَّهْرُ كَالْتِيْجَانِ
وقول ابن قرقاص أيضاً [من الوافر] :

لَقَدْ عَقَدَ الرَّبِيعُ نُطَاقَ زَهْرٍ يَضُمُّ بِفُضْنِهِ خَصْرًا نَحِيلًا
وَدَبَّ مَعَ الْعَشَى عِنْدَارُ ظِلٍّ عَلَى نَهْرٍ حَكِي خَدًّا أُسِيلًا
وكلهم قد أخذوا الوجه والعنار من ابن خناجة ، حيث قال
[من الطويل] :

وَإِنِّي وَإِنْ جِثْتُ الْمَشِيبَ لَمَوْلَعٌ بِطَرَّةٍ ظِلٌّ فَوْقَ وَجْهِ غَدِيرٍ
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الشَّهَابِ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقِ [من البسيط] :
إِذَا الْكَرَى ذَرَّ فِي أَجَانَتِنَا سِنَّةً مِنَ النَّعَاسِ نَفْضُنَاهَا عَنْ الْمُدْبِرِ
وقول ابن نباتة المصري أيضاً [من الطويل] :

وَلَمَّا جَنَى طَرَفِي رِيَاضَ جَمَالِكُمْ جَعَلْتُ سُهَادِي فِي عَقُوبَةِ مَنْ جَنَى
أَحْبَابِنَا إِنْ عَقَمَ السَّفْحَ مَنْزِلًا وَأَخْلَيْتُمْ مِنْ جَانِبِ الْجَنَنِ مَوْطِنًا
فَقَدْ حَزَنْتُ دُمْعِي عَقِيقًا وَمُهْجَتِي غَضَى وَسَكَنَتْكُمْ مِنْ ضُلُوعِي مُنَحْنِي
وقوله أيضاً [من الكامل] :

هَذِي الْحَنَامُ فِي مَنَابِرِ أَيْكَا تُمَلِّى الْفَنَاءَ وَالظَّلْأَ يَكْتَسِبُ فِي الْوَرَقِ
وَالْقَضْبُ تَخْفُضُ السَّلَامَ رُؤُوسَهَا وَالزَّهْرُ يَرْفَعُ زَانِرِيهِ عَلَى الْحَدَقِ
وهو أحسن من قول الأمير مجير الدين بن تميم [من الكامل] :
إِنِّي لِأَشْهَدُ لِلْحَيَى بِفُضِيلَةٍ مِنْ أَجْلِهَا أَصْبَحْتُ مِنْ عَشَائِهِ

ما زاره أليم نرجسه فتى إلا وأجلسه على أحداقه
وقول مجد الدين الأربلى [من الكامل] :

أصنّى إلى قول العذول بجملى مستغماً عنكم بغير ملال
لتلقطى زهرات ورد حديثكم من بين شوك ملامه العذال
وقول مائى الموسوس [من المتقارب] :

دعنى إلى وصلها جهرة ولم تدركنى لما أعشقت
فقتت والسكر من مفرق إلى قدمى السن تنطق

وما أجود قول أبى طاهر البغدادى فى نار القرى [من الكامل] :
خطرت فكاد الورق تسجع فوقها إن الحمام ملوئ بالبان
من معشر تشرؤا على تاج الرّيا للطارقين ذوائب النيران
وهو مأخوذ من قول الأول [من الطويل] :

يبستون فى المشى خاصاً وعندهم من الزاد فضلات تعد لمن يقرى
إذا ضلّ عنهم طارق رفعوا له من النار فى الظلماء أوية حمرا
وقول صرد فيها [من الكامل] :

قوم إذا حيا الضيوف جفائهم ردّت عليهم السن النيران
ومنه قول النهاى [من الكامل] :

نادته نارك وهى غير فصيحة وهنّا بحقق ذوائب النيران
وقد بالغ مهبّار الديلمى فى قوله [من الكامل] :

ضربوا بمدرجة الطريق قبائهم يتقارعون على قرى الضيفان
ويكاد موقدهم يجود بنفسه حب القرى طرباً على النيران

وما أحسن قول ابن سُكْرَةَ ، وهو صاحب البيتين الجامعين لكافلت الشناء
[من مجزؤه الرمل] :

قِيلَ بِمَا أَعْدَدْتَ لِلْبَرِّ دِ قَدْ جَاءَ بِشِدَّةٍ
قَلْتُ دُرَّاعَةً عَرُيًّا نَحْمُهَا جَبَّةً رَعْدَةً

وما ألطف قول ابن عمار [من الكامل] :

أُدرِ الزَّجَاجَةَ فَالنَّسِيمُ قَدْ انْبَرَى وَالنَّجْمُ قَدْ صَرَفَ الْوَيْكَانَ عَنِ السُّرَى
وَالصَّبْحُ قَدْ أَهْدَى لَنَا كَلْفُورَهُ لَمَّا اسْتَرَدَّ اللَّيْلُ مِنَّا الْعُنْبُرَا
وَمِنْ بَدِيعِ الْاسْتِمَادَةِ - عَلَى سَخْفِهِ وَبُجُونِهِ - قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ سَنَاءِ الْمَلِكِ ،
[من مجزئه الكامل] :

يَا هِنْدَ لَا تَسْتَحْيِ مِنِّي قَدْ انْكَشَفَ الْمُغْطَى
إِنْ كَانَ كُكُّكَ قَدْ تَنَاءَى عَبَّ إِنِّ ابْرَى قَدْ تَمَطَّى

فاستعارة الثناؤب والتعطى هنا من أحسن الاستعارات . قال ابن جبارة :
أنشدني هذا ابنُ سناء الملك ، وزاد في الإعجاب به ، فلما عُتِدَ إلى البيت
أُخِنَتْ جزءاً من البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ، فوجدت فيه أن
بفسادية قالت لأخرى : خرجت اليوم إلى العيد ؟ قالت : إى وحياتك ،
قالت لها : فما رأيت ؟ قالت : أحرأاً تتشاب وأيوراً تتمطى ، فلما اجتمعت
به قلت له : قد عرفتُ وعثرت على الكثر الذى انتهيت ، وحكيت له الحكاية
قال : سيدنا يفتش عن أمرى .

ومن ظريف الاستعارات قول الأمير مجير الدين بن تميم [من الكامل] :
كَيْفَ السَّبِيلُ لَأَنَّ أَقْبَلَ خَدَّ مَنْ أَهْوَى وَقَدْ نَامَتْ عَيُونُ الْحَرَسِ
وَأَصَابِعُ الْمُنْشُورِ تُؤَمِّمُ نَحْوَنَا حَسْبًا وَتَفْمِزُهَا عَيُونُ النَّجَسِ
وبديع قول السلاوى أيضاً فى وصف الحرب [من الكامل] :

والنقع نوبٌ بالنسور مطرورٌ والأرض قرشٌ بالجياذ مخيلٌ
وسطورٌ خيلك إني ألفتها سمرٌ تنقط بالدماء وتشكلُ
وأجاد البدر بن يوسف الذهبي بقوله [من السريع] :

هلم يا صاح إلى روضةٍ يجلبها العاني صداً حمه
نسيمها يعثر في ذيله وزهرها يضحك في كفه

ومن ظريف الاستعارة أيضاً قول ابن الفويرة [من مجزوء الكامل] :

عاينتُ حبةً خاله في روضةٍ من جُلنارٍ
ففسداً فؤادي طائراً فاصطاده شركُ الدِّارِ

وما أبدع أيضاً قول الشريف الرضي الموسوي [من البسيط] :

أرسي النسيمُ بواديكم ولا يريحتُ حواملُ المزنِ في أجداكم تضعُ
ولا يزالُ جنينُ التبتِ ترُضُهُ على قبوركُمُ الراضةُ المغمُ

وقد أخذه ابن أسيود الموصلي ، فقال من قصيدة ، يتشوق فيها إلى دمشق

[من البسيط] :

سقى دمشقَ وأياماً مضتُ فيها حواملُ السحبِ باديها وعاديها
ولا يزالُ جنينُ التبتِ ترُضُهُ حواملُ المزنِ في أحشائها أراضيا

ومحاسن هذا الباب كثيرة ، والاقتصار على هذه النبتة أولى .

١٠٨ — هي الشَّهْسُ مَسْكَنُهَا فِي السَّمَاءِ فَمَزُ الْفؤَادِ عَزَاءُ جَبِيلَا
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ التَّزْوِلَا

البيتان للعباس بن الأحنف ، من المتقارب

(١١ — معاهد ٢)

والشاهد فيهما: جواز البناء على الفرع - وهو المشبه به - مع جحد الأصل وهو المشبه، لأنه هنا طوى ذكر الأصل، وجعل الكلام خلوا منه، ويسى هذا الجاز المفرد، ومنه قول الفرزدق [من الطويل]:

أبي أحمدُ الغنَّينِ صمَّعةُ الذي متى تبخلَ الجوزاءُ والدَّلْوُ يُعْطِرُ
وقول عدى بن الرقاع يصف حمارين وحشين [من الكامل] :
يتماورَانِ من الغبارِ مَلَأَةً بيضاءَ حَكَمَةً إذا نسجَاهَا
تُطَوَّى إذا وَرَدَا مَكَانًا حَزَنًا وإذا السنا بكُ أسهلتُ نشرَاهَا
وقول سعيد السكاكيب التصرى النصراني [من مجزوه الخفيف] :

قلتُ زورِي فأرسلتُ أنا آتِيكَ سَحْرَةً
قلتُ فالليلُ كانَ أخْفَى وأدنى مَسْرَةً
فأجابتُ بحجةٍ زَادَتِ القلبَ حِمْرَةً
أنا شمسٌ وإِني تَطْلُعُ الشَّمْسُ بِكِرَةٍ
وله في معناه أيضاً [من الخفيف] :

وعدَّ البدرُ بالزيارةَ لَيْلًا فاذا ما وُقِيَتْ نَدْوِي
قلتُ يا سِيدِي فَلَمْ تُؤْثِرِ اللَّيْلَ على بِهْجَةِ النَّهَارِ الْمُنِيرِ
قال لي لأحِبُّ تَغْيِيرَ رَسْمِي هَكَذَا الرَّسْمُ فِي طُلُوعِ الْبَدْوِ
وقال في معناه أيضاً [من الخفيف] :

قلتُ للبدرِ حينَ أَعْتَبَ زُرِّي واشتَمَّ الوصلَ بالقللِ والتجاني
قالَ إني معَ العشاءِ سَاتِي فانتظِرْني ولا تُخَفْ من خِلافِ
قلتُ يا سِيدِي فزُرْني نَهَارًا فهو أدنى لِقَرَبَةٍ الْإِيْلَافِ
قالَ لا أَسْتَطِيعُ تَغْيِيرَ رَسْمِي إِنَّمَا الْبَدْرُ فِي الظُّلَامِ يَوَافِي

وقد جمع أبو العلاء المعرى المعنيين في قوله [من الخفيف] :

هي قالت لما رأته شيب رأسي وأرادت تنسكراً وازوراراً
أنا بدر وقد بدا الصبح من شيبك والصبح يطرد الأقاراراً
قلت لابل أراك في الحسن شمساً لا تروى في الدجى وتبهو نهاراً



١٠٩ - وإذا النية أنشبت أظفارها ألقيت كل نعمة لا تنفع
شاهد الاستعارة بالكنية

البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، من قصيدة ^(١) من الكامل ، قالها وقد هلك
له خمس بنين في عام واحد ، وكانوا فيمن هاجر إلى مصر ، فقام بهم هذه
القصيدة ، وأولها :

أمن المنون وزيتها تنسجع والدر ليس بمغيب من يجزع
قالت أمامة ما لجسمك شاحباً منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
أم ما لجسمك لا يلائم مضجعه إلا أقص عليك ذاك المضجع ^(٢)
فأجبتها أما لجسمي إنه أودى بئي من البلاد فودعوا ^(٣)
أودى بئي فأعقبوني حسرة عند الرقاد وعبرة لا تقلع
فالعين بعدهم كأن حداقها كحبات بشوك فهي عور تسمع ^(٤)

- (١) انظرها في ديوان أبي ذؤيب في مجموعة شعر الهذليين (١ - ١ طبع دار الكتب المصرية) وانظرها أيضاً في المفضليات ، ولم يراع المؤلف ترتيبهما
(٢) في المفضليات « أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا » وكذلك في الديوان
(٣) في الأصل « فأجبتها أرني لجسمي » وأثبتنا ما في المفضليات والديوان
(٤) في المفضليات « سمعت بشوك » وكذلك في الديوان

فَهَرَّتْ بِمَدْمُ بَيْشٍ نَاصِبٍ وَإِخَالُ أَيْ لَاحِقُ مُسْتَنِبِ
سَبَقُوا هَوًى وَأَهْنَقُوا لَهْوَامُ فَتُخَرَّتُوا وَاسْكَلَ جَنْبُ قَرْعُ
وَقَدْ حَرَصْتُ بَانَ أَدَامَ عَنْهُمْ فَإِذَا الْمُدَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفَعُ
وَبَعْدَ الْبَيْتِ ، وَبَعْدَ :

وَنَجْلِدِي لِلشَّامَتَيْنِ أَرْبَعُ أَيْ لَرِيبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَمُّعُ
حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ حَرُوءُ بِصِفَا الْمَشْرِقِ كُلِّ يَوْمٍ تَقْرَعُ
وَالْمَهْرُ لَا يَسْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ جَوْنُ السَّرَاقِ لَهُ جَدَائِدُ أَرْبَعُ

يروى أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما استأذن على معاوية في مرض موته ليعوده ، فأتته واكتحل ، وأمر أن يقدم ويسند ، وقال : ائذنوا له ، وليسلم قائما ولينصرف ، فلما سلم عليه وولى ، أنشد معاوية قول المذنب في هذه القصيدة • ونجلدى للشامتين ... البيت • فأجابه ابن عباس على الفور : • وإِذَا النِّبْيَةُ أَتَيْتُ أَنْشَبْتُ ... البيت • ثم ما خرج من داره حتى سمع النعابة عليه .

والشاهد فيه : الاستعارة بالكناية ، والاستعارة التخيلية ، فهو هنا شبه في نفسه النية بالسبع في اغتياله النفوس بالقهر والقلبة من غير تفرقة بين نفع وضرر ولا رقة لرحوم ، فأثبت لها الأظفار التي لا يكمل الاغتيال في السبع بدونها تحقيقا للبالغة في التشبيه ، فتشبيه النية بالسبع استعارة بالكناية ، وإِثْبَاتُ الْأَظْفَارِ لَهَا استعارة تخيلية .

(١) في الأصل «جون السحاب» محرفا عما أُثبتناه موافقا لما في المفضليات والديوان والأغاني وخزانة الأدب - وأراد بجون المرأة حاراً وحشياً ، والمرأة - بفتح السين - أعلى الظهر ، والجدايد : الآن اللواتي خفت ألبانهن واحدهن جدود .

تم هذا العمل
الحمد لله

وهو يقول : من الكامل :

قُبُضَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فَمَيُونَنَا تَذَرِي الدُّمُوعَ عَلَيْهِ بِالتَّسْنِيمِ

قال أبو ذؤيب : فوئبت من نومي فزعا ، فنظرت إلى السماء ، فلم أر إلا سعد الذابح ، ففعلت به ذبيحا يقع في العرب ، وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قبض ، فركبت ناقتي وسرت ، فلما أصبحت طلبت شيئا أزجر به ، ففعلت كسبيهم — يعني القمذ — قد قبض على صل — يعني الحية — فهي تلتوي عليه ، والشيم يقضها حتى أكلمها ، فزجرت ذلك ، وقلت : شيم شيء مهم والنواء الصل : النواء الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أولت أكل الشيم إياها غلبة القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمر ، فحثت ناقتي ، حتى إذا كنت بالفسابة زجرت الطائر ، فأخبرني بوفاته ، ونصب غراب سانح ، فنطق بمثل ذلك ، فتموت بالله من شرماعن

(١٧٩-٥) وخزانة الادب (١-٢٠٣) والشعراء لابن قتيبة

وهو تحريف وما هنا موافق لما في الخزانة ومطلع ديوانه

لى فى طريقى ، وقدمت المدينة المنورة ، ولها ضجيج بالبكاء ، كهضجيج الحجيج
إذا انطوى بالإحرام ، قلت : مه ؟ قالوا : قبض رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فجنّت إلى المسجد ، فوجدته خاليا ، فأتيت بيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فأصبت بابه مُرتجاً ، وقيل : هو مُسجى ، وقد خلا به أهله ، قلت :
أين الناس ؟ فقيل : فى سقيفة بنى ساعدة صاروا إلى الأنصار ، فجنّت إلى
السقيفة ، فوجدت أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح وسالمًا وجماعة من
قريش ، ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عباد ، وفيهم شعراؤهم : حسان
ابن ثابت ، وكعب بن مالك ، وملا منهم ، فأويت إلى قريش ، وتكلمت
الأنصار ، فأطالوا الخطاب وأكثروا الصواب ، وتكلم أبو بكر ، فله درة
من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع فصل الخصام ، والله لقد تكلم بكلام
لا يسمعه سامع إلا مال إليه واتقاده ، ثم تكلم عمر بعده بكلام دون كلامه ،
ومدة يده ، فباليه وبأبيوه . ورجع أبو بكر ورجعت معه ، فشهدت الصلاة على
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وشهدت مدفنه صلى الله عليه وسلم . ثم أنشأ
أبو ذؤيب يبكى النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) [من الكامل] :

لما رأيتُ الناس فى عسلانهم	ما بين ملحودٍ له ومُضَرَّحٍ
متناذبين لشرجهم بأكنهم	نص الرقاب لفقْد أبيض أدرج
فهنالك صرتُ إلى الهموم ومن بيت	جار الهموم ببيت غير مروح ^(٢)

(١) لا توجد هذه الأبيات فى ديوان أبى ذؤيب المطبوع فى ديوان
الهذليين بدار الكتب المصرية ، وتوجد ماعدا ثانيها فى تاريخ دمشق باختلاف
يسير فى الفاظها

(٢) فى تاريخ دمشق « بيت غير مروح » محرفا

كفت لمصرعه النجوم و بدرها وتضعضت آطامُ بطن الأبطح^(١)
 وتزعزعت أجبال يثرب كلها ونخيلها لخلول خطب مدفع^(٢)
 ولقد زجرت الطير قبل وفاته بمصابه وزجرت سعد الأذبح
 وزجرت أن نعب المشحج سائحاً متفائلاً فيه بقال أقبح^(٣)
 ثم انصرف أبو ذؤيب رحمه الله تعالى إلى باديته ، فأقام بها .
 وقال عبد بن سلام : كان أبو ذؤيب شاعراً فحلاً لا غيرة فيه ولا وهق .
 وسئل حسان بن ثابت : من أشعر الناس ؟ قال : أحياً أم رجلاً . قالوا : حياه
 قال : أشعر الناس حياه هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . وقال
 عبد بن معاذ العمري : في التوراة مكتوب أبو ذؤيب مؤلف زوراء ، وكان اسم
 الشاعر بالعبيرانية مؤلف زوراء ، فأخبرت بذلك بعض أصحاب العبيرانية ،
 — وهو كثير بن إسحاق — فحجب منه ، وقال : قد بلغني ذلك .
 وكان أبو ذؤيب يروى امرأة ، يقال لها : أم عمرو ، وكان يرسل إليها خالد
 ابن زهير ، فخانه فيها ، وكذلك كان أبو ذؤيب فعل برجل ، يقال له : عويمر
 ابن مالك بن عويمر ، وكان رسوله إليها ، فلما علم أبو ذؤيب بما فعل خالد صرّمها
 فأرسلت ترضاه ، فلم يفعل ، وقال فيها^(٤) [من الطويل] :
 تُريدن كما تجمعي وخالداً وهل يُجمع السيفان ويحك في غمدٍ ؟
 أخلد ما راعيت من ذى قرابة فتحفظني بالغيب أو بعض ماتبدى
 دعاك إليها مقلناها وجيدها قلت كما مال الحب على عمد

(١) في تاريخ دمشق « وتزعزعت آطام »

(٢) وفيه * وتحركت آكام يثرب كلها *

(٣) وفيه * وزجرت إذ نعب . . . *

(٤) انظرها في الديوان (١٥٩) والأغاني (٦ - ٦٢)

وكنت كرقاق المراب إذا جرى لقوم وقد بات المطى بهم تخدي (١)

فأليت لا أنفك أأخذو قصيدة تكون وإياها لها مثلاً بقدي (٢)

وقال أبو زيد عمرو بن شيبة : تقدم أبو ذؤيب جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية ، يعنى قصيدته المثبتة قريباً .

وعن ابن عياش — بالياء التحتية والشين المعجمة — قال : لما مات جعفر الأكبر بن المنصور مشى في جنازته من المدينة إلى مقابر قرش ، ومشى الناس أجمعون معه حتى دفنه ، ثم انصرف إلى قصره ، فأقبل على الربيع ، فقال : يا ربيع ، انظر من في أهلى ينشدنى :

• أمن المتون ورأيها يتوجع •

حتى أنسلنى عن مصيبتى ، قال الربيع : فخرجت إلى بنى هاشم ، وهم بأجمعهم حضور ، فسألهم عنها ، فلم يكن فيهم أحد يحفظها ، فرجعت فأخبرته ، فقال : والله لمصيبتى بأهل بيتى ألا يكون فيهم أحد يحفظ هذه القصيدة لقلة رغبتهم فى الأدب أعظم ، وأشد على من مصيبتى بابنى ، ثم قال : انظر هل فى القواد والعوام من يعرفها ؟ فأنى أحب أن أسمعها من إنسان ينشدها ، فخرجت فاعترضت الناس ، فلم أجد أحداً ينشدها إلا شيخاً مؤدباً قد انصرف من تأديبه ، فسألته : هل يحفظ شيئاً من الشعر ، قال : نعم ، شعر أبى ذؤيب ، فقلت : أنشدنى ،

(١) فى الأصل (تحدى) وفى الأغاني (يحدى) كلاهما بالخاء مهملة ، وأثبتنا الصواب عن الديوان

(٢) فى الأصل «لا أنفك أأخذو» وكذا فى الأغاني ، بالدال مهملة ، وهى رواية ، وممناتها أغنى بها ، وأثبتنا أوثق الروايتين ، وممنى «أأخذو» بالدال مهملة — أقول

فابتدأ بهذه القصيدة العينية ، فقلت : أنت بغيى ، فأوصلته إلى المنصور ، فأنشده
إياها ، فلما قال :

* والدَّهْرُ ليسَ بِمَتَّبٍ مَنْ يَجْزَعُ *

قال : صدق والله ، فأنشدني هذا البيت مائة مرة لتردد هذا المصراع على ، فأنشده ،
ثم مر فيها فلما انتهى إلى قوله :

* والدَّهْرُ لا يَبْقَى على حَدَثَانِهِ إلخ *

قال : سلا أبو ذؤيب عند هذا القول ، ثم أمر الشيخ بالانصراف ، فاتبته
فقلت : أمر لك أمير المؤمنين بشيء ؟ قال : نعم ، وأراني صرة في يده فيها
مائة درهم

وعن الزبير بن بكار قال : حدثني عمي قال : كان أبو ذؤيب الهذلي خرج
في جند عبد الله بن سعد بن أبي سرح أحد بني عامر بن لؤي إلى إفريقية سنة
ست وعشرين غازيا في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وبعث معه نفرا منهم
أبو ذؤيب ، ففى عبد الله يقول [من المتقارب] :

وصاحبِ صدقٍ كسيدِ الضُّرِّ ۝ ينهضُ في الغزوِ نهضا نجيحاً^(١)

في قصيدة له^(٢) ، فلما قدموا إلى مصر مات أبو ذؤيب بها

وعن أبي عمرو عبد الله بن الحارث الهذلي من أهل المدينة المنورة قال :
خرج أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخ له يقال له^(٣) أبو عبيد حتى قسموا على عمر

(١) في الأصل « كسيد الفضا » وأثبت ما في الديوان . والضراء - بفتح
الضاد - ما وراك من الشجر

(٢) انظرها في الديوان (١٢٩ - ١٣٦)

(٣) في الأغاني « يقال له أبو عقيل » وسماه بعد ذلك في كل موضع جرى
فيه اسمه من هذه القصة أبا عبيد ، وفي تاريخ دمشق كما هنا

ابن الخطيب رضى الله عنه ، فقال : أى العمل أفضل يا أمير المؤمنين ؟ قال :
 الايمان بالله ورسوله ، قال : قد فعلت فأيه أفضل بعده ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ،
 قال : ذلك كان على ولا أرجو جنة ولا أخاف ناراً ، ثم خرج ففزا أرض الروم مع
 المسلمين ، فلما قتلوا أخذه الموت ، فأراد ابنه وابن أخيه أن يتخلفا عليه جميعاً
 فننهما صاحب الساقة وقال : ليتخلف عليه أحدهما وليعلم أنه مقتول ، فكللها
 أراد أن يتخلف عليه ، فقال لهما أبو ذؤيب : اقترعا ، فطارت القرعة لأبى عبيد
 فتخلف عليه ومضى ابنه مع الناس ، فكان أبو عبيد يحدث قال : قال لى أبو
 ذؤيب ، يا أبا عبيد ، احفر ذلك الجرف برمحك ثم اعصد من الشجر بسيفك ، ثم
 اجررنى إلى هذا النهر فانك لاتفرغ حتى أفرغ ، فاعسلنى وكفى بكفى ثم اجعلنى
 فى حفرتى ، واثل على الجرف برمحك ، وألق على الفصون والحجارة ، ثم اتبع
 الناس فان لهم رهبة تراها فى الأفق إذا أمسيت كأنها جهنمة ، قال : فإخطأ
 مما قال شيئاً ، ولولا نعتى لم أهتد لأثر الجيش ، وقال وهو يجود بنفسه [من الرجز] :
 أبا عبيد رَفَعُ الْكِتَابُ واقْتَرَبَ المَوْعِدُ وَالْحَسَابُ^(١)
 وعندَ رِجْلِ جَلٍّ نَحَابُ أَحْمَرُ فى حَارِكِهِ انْصِبَابُ
 ثم مضيت حتى لحقت بالناس ، فكان يقال : إن أهل الاسلام أبعدا
 الأثر فى بلاد الروم ، فما كان وراء قبر أبى ذؤيب قبر يعلم لأحد من المسلمين ،
 وهذا يخالف رواية الزبير بن بكار السابقة ، والله أعلم أى ذلك كان

° ° °

١١٠ - ولئن نطقْتُ بِشكْرِ بَرِّكَ مُفَضِّحاً فلَسَانُ حَالِي بِالشُّكَايَةِ انْطَقُ
 من شواهد
 الاستفارة
 بالكناية
 البيت من الكامل ، ولا أعرف قائله

والشاهد فيه : مافى البيت قبلة ، فانه شبه الحال بلذنان متكلم فى الدلالة على المقصود ، وهذا هو الاستعارة بالكناية ، فأثبت لها اللسان الذى به قوام الدلالة فى الانسان المتكلم ، وهذه الاستعارة التخيلية وقريب من معناه قول ابن الخيى [من السكامل] :

أبدًا أحنُّ إلى محيَّاك الذى يُصِى البعيد إليه نورٌ مشرقٌ
وأرومٌ شكوى موجعات الحب لا استَحْظا بها لكن لملك تشقُّ
فأرى لسانى بالصبا به أخرسًا ولسانُ حالى بالشكابة ينطقُ
وأفوه باسمك والمسافة بيننا قصوى فيضى الجو طيباً يعبقُ

١١١ - صحاح القلب عن سلى وأقصر باطله وعزى أفراس الصبا ورواحله
البيت زهير بن أبى سلى ، وهو أول قصيدة (١) من الطويل ، وبعده :
وأقصرت عما تعلمين وسددت على سبى قصد السبيل معادله
إلى أن يقول فيها :

قلنا له أبصر وسدد طريقه وما هو فيه عن وصانى شاغله (٢)
وقلت تعلم أن فى الصيد غرة وإن لا تضعه فانك قاتله (٣)
فأتبع آثار الشيا ولیدنا كشوبوب غيث يحفش الأكم وأبله (٤)

(١) انظرها فى ديوان زهير (١٢٤ طبع دار الكتب المصرية)
(٢) فى رواية الأعمى الشنمى « فقلت له ، وفى الديوان « سدود أبصر طريقه »

(٣) فى الديوان وشرح شواهد النحو « تعلم أن للصيد غرة » والقرة - بكسر القين المعجمة - الغفلة ، ووقع فى الأصل « عزه » محرفا عما أثبتناه
(٤) الشوبوب : الدفعة من المطر ، ويحشى : يسيل ويخرج ، يقال : حفش فلان لك الود ، إذا أخرج كل ما عنده ، والمراد يكثر السيل حتى يحشى ما فى الآكم

نظرت إليه نظرة فرأيت على كل حال مرة وهو حامله
وهي طويلة .

يقال : أقصر عن الشيء ، بمعنى انتهى أو عجز عنه
والشاهد فيه : ما في البيت قبله أيضاً ، فانه أراد أن يبين أنه ترك
ما كان يرتكبه من الحجة زمن الجبل والقي ، وأعرض عن معاودته فبطلت آلامه ،
فشبه في نفسه الصبا بجهة من جهات المسير كالبحج والتجارة قضى منها الوطر
فأهملت آلامها .

ووجه الشبه : الاشتغال التام به وركوب المهامه والمسالك الصعبة غير مبال
بمهلكة ولا متحيز عن معركة .

وهذا التشبيه المضمّر في النفس استعارة بالكناية أثبت له بعض ما يختص
بتلك الجهة - وهي الأفراس والرواحل التي بها قوام السير والسفر - فائبات
الأفراس والرواحل استعارة تخييلية ، والصبا على هذا من الصبوة بمعنى الميل
إلى الجبل والفتوة ، ويحتمل أنه أراد بالأفراس والرواحل دواعي النفس
وشهواتها والقوى الحاصلة لها في استيفاء اللذات ، أو أراد بها الأسباب التي قلما
تمتد في اتباع النى إلا أو أن الصبا وعنفوان الشباب فتكون استعارة الأفراس
والرواحل تحقيقية لتحقق معناها عقلاً إذا أريد بها الدواعي وحساً إذا أريد بها
اتباع أسباب النى

١١٢ - * والطاعنين مجامع الأضغان *

هو من الكامل ، ولا أعرف (١) قائله ، وصدره :

ن شواهد
الكتابة

(١) نسبه في الموازنة (٢٨٢ بتحقيقنا) إلى عمرو بن معديكرب
الزبيدي ، ولم أجده في ديوان عمرو ولا في زياداته

• الضاربين بكل أبيض مخدّم •

والمخدّم - بالذال المعجمة - السيف ، والأضغان : جمع ضغن ، وهو الحقد والشاهد فيه : القسم الأول من أقسام الكناية ، وهو : أن يكون المطلوب بها غير صفة ولا نسبة ، وتكون لمعنى واحد كما هنا ، وتكون لمجموع معان ، قوله : « بمجامع الأضغان » معنى واحد كناية عن القلوب ونحوه قول البحترى [من الطويل] :

فأنتبهاً أخرى فأضللتُ نصلها بحيث يكون اللب والرغب والحقدُ

١١٣ - إن الساحة المروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج من شواهد الكناية البيت لزياد الأعجم ، من أبيات (١) من الكامل ، قالها في عبد الله بن الحشرج ، وكان قد وفد عليه ، وهو أمير على نيسابور فأمر بأنزاله وأطعمه وبعث إليه بما يحتاجه ، ففدا إليه فأنشده البيت ، وبعده :

ملك أغر متوج ذو نائل للمعتفين بمنه لم تشج
ياخير من صعد المنابر بالتقى بعد النبي المصطفى المتحرج
لما أتيتك راجياً لنوالكم ألفت باب نوالكم لم يرتج

فأمر له بعشرة آلاف درهم
والمروءة : كمال الرجولية .

والشاهد فيه : القسم الثالث من أقسام الكناية ، وهو أن يكون المطلوب بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه ، فهو هنا أراد أن يثبت اختصاص ممدوحه بهذه الصفات ، وترك التصريح باختصاصه بها إلى الكناية بأن جعلها في قبة ضربت

عليه ، تنبيهاً على أن محلها ذوقية ، وهي تكون فوق الخيمة يتخذها الرؤساء ، قال أبو تمام [من الكامل] :

لولا بنو جشمَ بن بكر فيكم كانت خيامكم بغير قبابٍ
وإنما احتاج في هذا البيت إلى هذا لوجود ذوى قباب في الدنيا كثيرين ، فأُثبت إثبات الصفات المذكورة له ، لأنه إذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبت له

وفي معنى البيت قول زياد أيضاً في مريثة المغيرة بن المهلب [من الكامل] :

إن الساحة والمروة ضُمَّنا قبرا بحرَ وعلى الطريق الواضح

وقريب منه قول ابن خلاد يمدح ابن العميد [من الوافر]
لقد شهدتُ عقولُ الخلق طرّاً وحسبك بالبصائر من شهود
بأن محاسن الدنيا جميعاً بأفنية الرئيس ابن العميد
وقول الآخر يمدحه [من الكامل] :

والمجد يدعو أن يدوم بمجيدِه عقد مساعي ابن العميد نظامه

وابن الحشر الممدوح : اسمه عبد الله ، وكان سيداً من سادات قيس ،
وأُميراً من أُمرائها ، ولحقه كثيرون من أعمال خراسان ، ومن أعمال فارس وكرمان^(١) ،
وكان جواداً ممدوحاً ، وفيه يقول زياد أيضاً [من الطويل] :

إذا كنت مرتاد الساحة والندى فسائل تُخبر عن ديار الأشاهب

وكان عبد الله كثير المعطاء ، أعطى بخراسان حتى أعطى فراشه ولحافه ، فقالت
له امرأته : لشد ما تلاعب بك الشيطان وصرت من إخوانه مبذراً كما قال الله

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هامش النسخة ما نصه « فنوله

وكرمان ، في نسخة هذان بدل كرممان » اهـ

تعالى (إن المبشرين كانوا إخوان الشياطين) فقال عبد الله بن الحشرج لوطاعة
ابن درى النهدي وكان أخاه وصديقا : ألا تسمع ما تقول هذه التوكي وما تتكلم
به ؟ فقال له لوطاعة : صدقت والله وبرئت وإنك لمبشر ، وإن المبشرين لا إخوان
الشياطين ، فقال ابن الحشرج في ذلك [من الطويل] :

مكارم ما تعي بأموالنا التلذذ	مكى يأتنا الغيث المغيث تجد لنا
رجال وضنت في الرخاء وفي الجهد ^(١)	مكارم قد جئنا بها إذ تمنعت
خلاف الذي يأتي خيار بني نهد	أردنا بما جئنا به من تلادنا
ويستعها نهد بن زيد على الزهد	تلوم على إتلاف المال خلتي
علي ولا منكم غواني ولا رشدي	أنهد بن زيد لست منكم فتشفقوا
وكلا وحتى تبصروني في اللحد ^(٢)	أتيت صغيرا ناشئا ما أردتم
لعقبني وما أجنى به عمر الخلد	سأبدل مالي ، إن مالي ذخيرة
ير على الأزواد كالأسد الوزر	ولست بمبكا على الزاد باسل
لما كلفت كفاي في الزمن الجلهد	ولكنني سمح بما حزت باذل
أبوه بأن أعطى وأوفى بالمهد	بنلك أوصاني الرقاد وقبله

والرقاد : كان أحد عمومه ، وكان سيدا جوادا .

(١) في الأصل « مكارم ماجدنا بها » وظاهر أنه محرف عما أبتناه
(٢) كذا ، ولعله

• أتيت صغيرا ناشئا ما كرهتم •

أو نحو ذلك

شواهد الفن الثالث، وهو علم البديع

شاهد طباق
التدريج

١١٤ - زردى ثياب الموتِ خجراً فما أتى لها الليلُ إلا وهى من سندسٍ خضرُ

البيت لأبى تمام الطائى ، من قصيدة من الطويل^(١) ، يرثى بها أبا نهشل
محمد بن محمد حين استشهد ، وأولها :

كنا فليجل الخطبُ وليفدح الأمرُ وليس لعينٍ لم يفض ماؤها عنذر^(٢)
توفيت الآمالُ بعد محمد فأصبح فى شغلٍ عن السفرِ السفرُ^(٣)
وما كان إلا مالٌ من قلٍّ ماله وذُخراً لمن أمسى وليس له ذُخْرُ
وما كان يدرى من بلاٍ يُسرَّ كفو إذا ما استهلَّتْ أنه خلق العسر^(٤)

يقول فيها :

غداً غدوةً والحمدُ نسجُ ردائه فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجرُ
وبعد البيت ، وبعده :

كانَ بنى نبهان يومَ وفاته نجومُ مساءٍ خرمَ من بينها البدرُ
يعزُّونَ عن ثاوٍ تعزَّى به العلاءُ ويبكى عليه البأس والجود والنصر^(٥)
وأنتَ لهم صبرٌ عليه وقد مضى إلى الموتِ حتى استشهدَ أهو والصبرُ

ومعنى البيت أنه ارتدى الثياب المملوطة بالدم ، فلم ينقض يومٌ قتله ، ولم

(١) اقرأها فى الديوان (٣٦٨) وهى فى رثاء بنى حميد الطوسى محمد
وفحطبة وأبى نصر

(٢) فى الديوان « فليس لعين »

(٣) فى الديوان « وأصبح فى شغل »

(٤) فى الديوان

• وما كان يدرى مجتد جود كفه •

(٥) فى الديوان « والشعر » مكان « والنصر »

يجل في ليلته إلا وقد صارت الثياب خضراً من تنفس الجدة .
أقول : ولو قال أبو تمام :

تردى ثياب الموت حمراً فما اختفى عن العين إلا وهي من تنفس خضر
لكان أبلغ في القصد وأجوع ، فانه جفل غايةً تبدلها بالسندس دخوله في
الليل ، وهذا ليس بعلوم ، فان الميت إذا غُيب بالدفن عن الأعين تبدلت
أحواله إلى خير أو شر ، والميلاد بالله تعالى . ويشهد قهقك ماورد أن الميت
يعجز ستره عن الأعين يأتيه ملكا السؤال .

وفي معنى بيت أبي تمام قول القاضي الفاضل عبد الرحيم ، رحمه الله ،
[من مجزوه الكامل] :

لمنى لقتول الألقه عيون البيض شراً
متضرراً بدم رائحة الحووي الجنات عطر
متكفراً بملاهي حراء وهي تعود خضراً
يروى أنه ماورد نبي هذا المرنى غس أبو تمام طرف رده في مداد ،
ثم ضرب به كفيه وصدره ، وأنشد هذه القصيدة .
وإلى ذلك أشار ابن زنجي الكاتب المغربي في قوله يرثي الشيخ أبا على
ابن خلدون [من الكامل] :

لولا الحياه وأن أجي بفضله
نفى على بها ضيوف ملاهم
وأكون متبعاً لأشنع سنة
قد سنها قبلي أبو تمام
لبست لبس الثكلاث وكنت في
سود الوجوه كائن من حام
والشاهد في البيت : الطباق المسمى بالتدبيح ، وهو : أن يذكر الشاعر
أو الناثر في معنى من المدح أو غيره ألواناً لقصد الكتابة أو التورية ، ويسمى

تدبيح الكناية أيضاً ، فانه هنا ذكر لون الحمرة والخضرة ، والمراد من الاول الكناية عن القتل ، ومن الثاني الكناية عن دخول الجنة .

ومن طباق التدبيح قول عمرو بن كلثوم [من الوافر] :
بأنّا نوردُ الراياتِ بيضاً ونُصدِرُهُنَّ حمراً قد روينَا
ولو اتفق له أن يقول :

من الأسل الظمَاء يردنَ بيضاً ونُصدِرُهُنَّ حمراً قد روينَا
لكان أبعد بيت للعرب في الطباق ، لانه يكون قد طباق بين الابراد والاصدار ، والبياض والحمرة ، والظمأ والرى ، وقد تمّ لأبي الشيص ، قال [من الطويل] :

فأوردَها بيضاً ظمَاءَ صدورُها وأصدرَها بالرى ألوانُها حمراً
فصار أخذُه مفقوراً بكامل معناه ، ومما أحسن قول ابن حيوس [من الكامل] :
وتملكِ العلياءَ بالسعي الذي أغناكَ عن متاعِ الأنسابِ
ببياضِ عِرْضٍ واحمرارِ صوارمٍ وسوادِ نَقَعٍ واخضرارِ رحابِ
وافخر بعمِّ عمِّ جودٍ نواله وأبِ لأفعالِ الدنيةِ آفِي
وقوله أيضاً [من الخفيف] :

إنْ تردَّ عِلْمُ حالهم عن يقينٍ فالتَّهَمُ في مكارمٍ أو نزالِ
تلقَ بيضُ الأعراضِ سمرَ مثارِ النقعِ خضرَ الأكنافِ حمراً النصالِ
وقد أخذَه ابن التَّيْبَةِ فقصر عنه في قوله [من السريع] :
لهمُ بنانٌ طافحٌ بالندى فهنَّ إما ديمٌ أو يحارُ
بيضُ الأيادي خضرُ روضِ الرُّبا حمَرُ المواضي في العجاجِ المُثارِ
وقول بعضهم [من الكامل] :

النفسُ فوقَ الماءِ تحتَ شقائقِ مثلُ الأسنةِ خُضِبَتْ بِمَاءِ
 كالصُّمْدَةِ السَّمَاءِ نَحْتَ الرَايَةِ ۖ حِمْرَاءُ فَوْقَ الْأَلَمَةِ الْخَضِرَاءُ
 وَرَقِيبٌ مِنْ لَفْظِهِ قَوْلُ الصَّلَاحِ الصَّفْدَى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى [مِنْ الْكَامِلِ] :
 مَا أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ أَحْسَنَ مَنْظَرًا فَيَا يُرَى مِنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ
 كَالشَّامَةِ الْخَضِرَاءِ فَوْقَ الْوَجْنَةِ ۖ حِمْرَاءُ نَحْتَ الْمُقَلَّةِ السُّودَاءِ
 وَلَا بِنِ النَّبِيِّ [مِنْ الْمُتَقَارِبِ] :

دَعِ النَّوْحَ خَلْفَ حُدُوجِ الرَّاكِبِ ۖ وَسَلْ فَوَادِكَ عَنْ كُلِّ ذَاهِبٍ
 بِيضِ السَّوَالِفِ حَمْرُ الْمَرَاشِفِ صَفَرُ التَّرَائِبِ سَوَادُ الْقَوَائِبِ
 فَا الْعَيْشُ إِلَّا إِذَا مَا نَظَمْتَ ۖ ثَغْرِ الْحَبَابِ ثَنِيَا الْحَبَابِ
 وَلَا بِنِ السَّاعَاتِي [مِنْ الْكَامِلِ] :

مِنْ مَعْشَرٍ وَيَجِلُّ قَدْرُ عِلَاتِهِ ۖ عَنْ أَنْ يُقَالَ لَمْلَهُ مِنْ مَعْشَرٍ
 بِيضُ الْوَجْهِ كَأَنَّ زُرْقَ رَمَاحِهِمْ ۖ سَرَّ يَجِلُّ سَوَادُ قَلْبِ الْمَسْكِرِ
 وَلَا بِنِ دِبَوْعَاءِ الْعِمَادِ مِنْ أَيْيَاتِ [مِنْ الْمُتَقَارِبِ] :

أَرَى الْقَدَرَ فِي ثَغْرِهِ مُحْكَمًا ۖ يَرِينَا الصُّحَاغُ مِنَ الْجَوْهَرِ
 وَتَسْكَمَةُ الْحَسَنِ إِضَاحُهَا ۖ رَوِينَاهُ عَنْ وَجْهِكَ الْأَزْهَرِ
 وَمِنْثُورُ دَمِي غَدَاً أَحْمَرًا ۖ عَلَى آسٍ عَارِضَكَ الْأَخْضَرِ
 وَبَعْتُ رَشَادِي بَنِي الْهَوَى ۖ لِأَجْلِكَ يَا طَلْعَةَ الْمَشْتَرَى

وَلَا بِنِ الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَنْوَعِ مِنْ أَيْيَاتِ [مِنْ الطَّوِيلِ] :
 وَيَخْتَرِمُ الْأَرَوَاحَ وَالْمَوْتَ أَحْمَرُ ۖ بِأَبْيَضَ يَتْلُوهُ لَدَى الطَّلَنِ أَزْرَقُ
 وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَتْ بَعْدَهُ :

وَيُجَرِّى عَنَاقَ الْخَلِيلِ قُبًّا شَوَازِبًا ۖ تَبَارَى هُبُوبَ الرِّيحِ بِلْ هِيَ أَسْبَقُ

إِذَا حُفِرَتْ مَنِيًّا الْجَوَافِرُ فِي الصَّفَا عَكَرِيْبَ ظَلَمْتِ بِالْتَجِيعِ نَحْلًا
وَلَا يَبِي الْفَرْجَ الْيَمِينَا فِي قَرِيبٍ مِنْ مَمْتَلِ [مِنْ الْكَامِلِ] :
وَكَاثِمَا نَقَشَتِ خَوْلَاوُ خَيْلُو لِلنَّاعُوَيْنِ أَهْلَةً فِي الْجَمْدِ
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَهُ بِمَنْه :

وَكَاثِمَا طَرَفَ الْيَمِينِ مَطْرُوفُهُ وَقِيدُ جَمَلِ الْغَيْلِ لَهُ مَكَانُ الْإِثْمِ
وَلَا يَبِي سَعِيدَ الرِّسْمِ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

مِنْ لِلْفَرِّ الْعَالَيْنِ فِي السَّيْمِ وَالْوَعْيِ وَأَهْلِي الْمَعَالِي وَالْعَوَالِي وَالْهَيَا
إِذَا نَزَلُوا أَخْضَرَ الثَّرَمِ مِنْ نَزْوِهَا وَإِنْ نَازَلُوا أَحْمَرَ الْقَنَا مِنْ نَزْوِهَا
وَلَا يَبْنِ جَابِرُ الْإِنْدَلِ [مِنْ الْخَفِيفِ] :

تَشْتَكِي الصَّفْرُ مِنْ يَدَيْهِ وَتَرْضَى السَّيْمُ مِنْ رَاحَتَيْهِ عِنْدَ الْحُرُوبِ
أَحْمَرُ السَّيْفِ أَخْضَرُ السَّيْبِ حَيْثُ الْأَرْضُ غَبْرَاهُ مِنْ سَوَادِ الْخَطُوبِ
وَلَا يَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَلِي الطُّبَرِيِّ مِنْ قَصِيدَةٍ [مِنْ الْمَرِيعِ] :
حَمْرِي دِي الْكَأْسِ طَارُوضُ مَخْضَرُ الرُّبَا قَبْلَ اصْفَرَارِ الْبَنَانِ
وَلَا يَبِي بَكْرُ الْخَالِدِي [مِنْ الْكَامِلِ] :

وَمَدَامَةُ صَفْرَاءُ فِي قَارُورَةٍ زَرْقَاءُ تَحْمِلُهَا يَدُهُ بِيضِيَاهُ
فَارَاحُ شَمْسِهِ وَالْحَيَابُ كَوَاهِبُ وَالْكَفُّ قُطْبُ وَالْإِنَانَةُ سَاهُ
وَلَنَجْمِ الدِّينِ الْبَارِزِيِّ فِي وَصْفِ قَلَمٍ [مِنْ الْكَامِلِ] :

وَمَنْقَطُ الْخَطِّ يَحْكِي فَعْلَ مَعْرِ الْخَطِّ إِلَّا أَنْ هَذَا أَصْغَرُ
فِي رَأْسِهِ الْمَسُودُ إِنْ أَجْرُوهُ فِي الْمَبِيزِ لِلْأَعْدَاءِ مَوْتُ أَحْمَرُ

وَمِنْ الْمَضْحَكِ فِيهِ قَوْلُ ابْنِ لَنْكَكِ الْبَصْرِيِّ يَهْجُو أَبَا رِيَّاشَ ، وَكَانَ نَهْمَا
شَرَّهَا عَلَى الطُّغْلَامِ [مِنْ الْوَافِرِ] :

يَطِيرُ إِلَى الطَّعَامِ أَبُو رِيَّاشٍ مُبَادِرَةٌ وَلَوْ وَلَوْاهُ قَبِيرُ
أَصَابَهُ مِنْ انْطِلَاقِهِ صَغُرُ وَلَكِنْ الْأَخَادِعَ مِنْهُ حُمُرُ

وكان أبو رياش هذا باقمة في حفظ أليم العرب وأنسابها وأشعارها، غاية بل
آية في هذا دواوينها وسرد أخبارها، مع فصاحتها وبيان، وإعراب وإتقان، ولكنه
كان عديم المروءة، وسخ اللبسة، كثير النقشف، قليل التنظيف، وفيه يقول
أبو عثمان الخالدي [من الرجز]:

كَأَنَّمَا قُلْتُ أَبِي رِيَّاشٍ مَا بَيْنَ صَيْفَيْنِ قَتَاهُ الْغَنَاشُ
وَذَا وَذَا قَدْ لَجَّ فِي انْتِفَاشٍ شَهِدَانِجٌ يُجْرِي فِي خَشْمِ غَاشٍ

وفيه يقول ابن لنسكك وقدولى عملا بالبصرة [من الكامل]:

قُلْ لِلْوَضِيعِ أَبِي رِيَّاشٍ لَا تَبْلُ يَمُوتُ كُلُّ تَبْهِكٍ بِالْوَلَايَةِ وَالْعَمَلِ
مَا أَزْدَدَتْ حَبْنٌ وَلَيْتَ إِلَّا خِصَّةً كَالْكَلْبِ أَتَجَبُّ مَا يَكُونُ إِذَا اغْتَمَلِ
وَلَهُ فِيهِ أَيْضًا [من الكامل]:

نُبِّئْتُ أَنَّ أَبَا رِيَّاشٍ قَدْ حَوَّيَ عِلْمَ اللُّغَاتِ وَفَاقَ فِيهَا يَدْعَى
مَنْ تُخْبِرُ عَنْهُ فَاقِي سَائِلُ مَنْ كَانَ حُكْمُهُ بِأَبْرَ الْأَهْمَى

وله فيه أوفى غيره من الأدباء [من الكامل]:

يَا مَنْ تَطَيَّبَ وَهُوَ مِنْ خَرَقِ اسْتِهِ قَلِقْتُ يَكْبِدُ كُلُّ دَاءٍ مُضْطَلِ
فَشَلَّ الصِّيَالُ وَمَا عَهْدُنَا دِيرَهُ مَذْكَانٌ يَفْشَلُ عَنْ صِيَالِ الْفَيْشَلِ
وَأَرَاهُ فِي الْكُتُبِ الْجَلِيلَةِ زَاهِدًا لَا يَسْتَجِدُّ سِوَى كِتَابِ الْمُسْخَلِ
قَبْلَتُهُ وَلَمَتُّ فَاهُ مُسْلَمًا تَمَّ الصَّدِيقُ فَمِ الصَّدِيقِ الْمَجْمَلِ^(١)

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق بهامش النسخة هـ في نسخة: الصديق
المقبل

فَدَنَا إِلَى عَلَى الْمَكَانِ وَقَالَ لِي أَفْذَبِكَ مِنْ مَتَشَقِّ مَنَزَلٍ
إِنْ كُنْتَ تَلْمِزْنِي بَوْدٍ فَاشْفِنِي بِلِسَانِ بَطْنِكَ فِي فَمِي مِنْ أَسْفَلِ
وَقَدْ زَاغَ الْقَلَمُ وَطَاشَ ، بِحَرِيرَةِ أَبِي رِيَّاشَ ، وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ ذَلِكَ .

* * *

١١٥ - لَا تَعْجَبِي يَا سَلَمَ مِنْ رَجُلٍ ضَحَكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَ

شاهد إيهام
التضاد

البيت للدعبل من قصيدة (١) من الكامل أولها :

أَيْنَ الشَّبَابُ وَأَيُّهُ سَلَكَا لَأَيْنَ يَطْلُبُ فَضْلٌ ، بَلْ هَلَكَا

وبعد البيت ، وبعده :

يَا سَلَمَ مَا بِالشَّيْبِ مَنَقَصَةٌ لَا سَوْفَةً يَبْقَى وَلَا مِلْكََا

قَصَرَ الْغَوَايَةَ عَنْ هَوَى قَرِيرٍ أَجْدُ السَّبِيلِ إِلَيْهِ مُشْتَرَكَا

يَا لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ نَوْمَكَا يَا صَاحِبِي إِذَا دُمِيَ سَفْكَا

لَا تَأْخُذَا بِظُلَامَتِي أَحَدَا قَلْبِي وَطَرَفِي فِي دُمِي اشْتَرَكَا

حدث أبو هفان قال : قال مسلم بن الوليد [من السريع] :

مُسْتَهْبِرٌ يَبْكِي عَلَى دِمْنَةٍ وَرَأْسُهُ يَضْحَكُ فِيهِ الْمَشِيبُ

فسرقه دعبل فقال ، وأنشأ البيت ، فجاء به أجود من قول مسلم ، فصار

أحق به منه .

وحدث أبو المنثري قال : كنا في مجلس الأصمعي فأنشده رجل للدعبل « لا

تعجبي يا سلم ... البيت » فاستحسنه ، فقال الأصمعي : إنما سرقه من قول الحسين

(١) اقرأ أكثر هذه الآيات في الأغاني (١٨ - ٣٢ وما بعدها)

ابن مطير الأسدي [من الخفيف] :

أَيْنَ أَهْلِ الْقِيَابِ بِالْهَنَاءِ أَيْنَ جِيرَانِنَا عَلَى الْأَحْسَاءِ
فَارْقُونَا وَالْأَرْضُ مُلْبَسَةٌ نَوًى رَ الْأَفَاحِي تُجَادُ بِالْأَنْوَاءِ
كُلَّ يَوْمٍ بِأَفْحَوَانٍ جَدِيدٍ تَضْحَكُ الْأَرْضُ مِنْ بَكَاءِ السَّمَاءِ

وروى عن أبي العباس المبرد أنه قال : أخذ ابن مطير قوله « تضحك الأرض من بكاء السماء » من قول دكين الراجز [من الرجز] :

جُنُ النَّبَاتِ فِي دُرَاهَا وَرَكَاتَا وَضَحِكُ الْمَرْزُوبِ بِهِ حَتَّى يَبْكِي

وقال أبو هفان : أنشدت يوماً بعض البصريين الحقاء قول دعبل « ضحك المشيب برأسه فبكى » فجاءني بعد أيام فقال : قد قلت أحسن من البيت الذي قاله دعبل ، قلت : يا هذا وأى شيء قلت ؟ فتمنع ساعة ثم قال [من الرجز] :

* قَهَّهَ فِي رَأْسِهِ الْقَتِيرُ *

وقد تداول الشعراء معنى بيت دعبل ، فنه قول الرازي القرطبي [من مجزوء الكامل] :

ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى بِأَعْيُنِ كَأْسِهِ
رَجُلٌ تَحَوَّنَهُ الزَّمَا نُ يَبُوسُهُ وَيَبْأُسُهُ
فَجَرَى عَلَى غُلَوَائِهِ طَلَّقَ الْجُوحُ بِفَأْسِهِ
أَخَذْنَا بِأَوْفَرِ حَظِّهِ لِرَجَائِهِ مِنْ يَأْسِهِ

ومنه أيضاً قول ابن نباتة المصري رحمه الله تعالى [من السريع] :

تَبَسُّمُ الشَّيْبِ بِذَقْنِ الْفَتَى يَوْجِبُ سَحَّ الدَّمْعِ مِنْ جَفَنِهِ
حَسْبُ الْفَتَى بَعْدَ الصَّبَاذَلَّةِ أَنْ يَضْحَكُ الشَّيْبُ عَلَى ذَقْنِهِ

ولولفه رحمه الله تعالى أيضاً في هذا المعنى [من مجزوء الرمل] :

ضحك الشيب برأسي فبكت عيني الشبابة
ومن البكاء على الشباب ، وهو أبكى بيت قيل في فقهه ، وينسب لأبي
الفصن الأسدي [من الوافر] :
آيات في البكاء على الشباب

أتأملُ رجمةَ الدنيا سفاهاً وقد سار الشبابُ إلى الذهابِ
فلَيْتَ الدنيا كياتٍ بكلِّ أرضٍ جُعمَ لنا فنحنُ على الشبابِ
وما أحسن قول أبي العلاء المعري فيه أيضاً [من البسيط] :
وقد تَمَوَّضْتُ عن كلِّ عَمَشٍ به
فما وجدتُ لأيام الصبِّ عوضاً
وقول الآخر [من الكامل] :

شيان لو بكت الدماءُ عليهما عينيَّ حتى تؤذنا بذهابِ
لم تبلُغا المشار من حقيهما فقد الشبابُ وفرقةَ الأحبابِ
ولأبي بكر بن مجير [من الكامل] :

رَحَلَ الشبابُ وما سمعتُ بعيرةَ تجري لمثلِ فراقِ ذاكِ الرَّاحِلِ
فدكنتُ أزهي بالشبابِ ولم أخلُ أن الشَّيبةَ كالخِصَابِ الناصِلِ
ظلُّ صفائي ثم زالَ بسرعةٍ يا ويحَ مُغرِّ بِظُلِّ زائلِ
ولأبنِ حديس في قريب من معناه [من الطويل] :

ولم أَرَ كالذي أخزونا لصاحبٍ ولا كصابي بالشبابِ مضاباً
فقدتُ الصبَّ فأبيضُ مُسَوِّدُلتِي كأنَّ الصبَّ للشيب كان خضاباً
ولأبي الفتح البستي فيه [من الخفيف] :

دعْ دعوى تَسيلُ سَيْلاً بداراً وضلوعي يَصْلَمِينَ بالوَجْدِ نارا
قد أَعَادَ الأَمْسَ نهارِي لَيْلاً منذ أَعَادَ المشيبُ ليلي نهاراً
ولعلَّ بن محمد الكوفي في البكاء من المشيب والبكاء عليه [من الوافر] :

بكى للشباب ثم بكى عليه فكان أعز من فقد الشباب
فقل للشيب لا تهرح حميداً إذا نادى شيباف بالذهاب

ومثله قول مسلم بن الوليد [من البسيط]:

الشيب كرهه وكرهه أن يفارقني فاعجبني شيء على البغضه مؤذود
بعض الشباب وقدياً في له خيف والشيب يذهب مفقوداً بمفقود

وقد أعاد مسلم بن الوليد هذا المعنى فقال [من البسيط]:

لا يرحل الشيب عن دار أظلمها حتى يرحل عنها صاحب الدار
ويقال: إن مسلماً أخذ هذا المعنى من قول بعض الأعراب [من الرجز]:

أستغفر الله وأستقبله ما أنا من شيبه يهوله

• أعظم من حوله رحيله •

ومثل قول مسلم قول للمحتزى [من الوافر]:

يعنيب الغافيات على شبي ومن لي أن أمتع بالشيب
ووجدني بالشباب وإن تقضى حمداً دون وجدي بالشيب

ومما أحسن قول كشاجم النكائب [من الطويل]:

تفكرت في شيب الفتى وشبابه فأيقنت أن الحق للشيب واجب
يفصاحني شرح الشباب في قضى وشيبي إلى حين المات مصاحب

وبديع قول الغزالي [من الكامل]:

ذهب الشباب ذهب سهم مارق لا يستطاع مع الناسف رده
وأتى المشيب بقضه وقضيضه وأشد من وجدان ذلك فقد
أنافى السرى والسركا لطفل الذي يجد السكون إذا تحررك مهده
من يقعد زندياً بكف مالها زندي فكيف تراه يقدر زنده

وَبَدِيعَ أَيْضًا قَوْلَ حَسَنِ بْنِ الْقَتِيبِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى [مِنْ الْكُلِّ] :
لَا تَأْسَفَنَّ عَلَى الشَّيْبِ وَقَدْ هَدَى قَلْبَ الشَّيْبِ وَقَدْ هَدَى تَأْسَفَ
هَذَا كَيْفَ يَخْفَى سِوَاهُ إِذَا أَهْضَى وَمَضَى، وَهَذَا إِنْ مَضَى لَا يَخْلَفُ
وَقَوْلُهُ أَيْضًا [مِنْ الْمُسْرَحِ] :

عَجِبْتُ لِلشَّيْبِ كَيْفَ أَكْرَمَهُ طَبِيعَ الْقَلْبِ وَهُوَ عَاشِقُهُ (١)
وَكَيْفَ لَا أَشْتَهِي أَرَاهُ وَقَدْ أَصْبَحْتُ لَا أَشْتَهِي أَفْلَرَهُ
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الصَّفِيِّ الْخَلِيِّ [مِنْ الْخَفِيفِ] :

لَوْ تَقَيَّنْتُ أَنَّ شَيْبَنَ يَبَاضُ لِلشَّيْبِ يَبْقَى لَمَا كَرِهْتُ اللَّيْلَ نَا
غَيْرَ أَنِّي عَلِمْتُ مِنْ ذَلِكَ أَلَّا يَرُمَا يَتَقَضَى وَمَا يَتَقَاضَى
وَلَا بِي الْفَتْحَ الْبَسِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ [مِنْ الْكُلِّ] :

يَا شَيْبَتِي دَوِي وَلَا تَرَحَّلِي وَتَيَقَّنِي أَنِّي بِرُؤُوسِكَ مُوَامِعُ
فَدَكْتُ أَجْرَ مَنْ حُلَّكَ مَرَّةً وَالْآنَ مِنْ خَوْفِكَ أَنْجِزْ
وَلَا بِي الْيَمِينَ الْكُنْزِي فِيهِ أَيْضًا [مِنْ الطَّوِيلِ] :

عَدَا اللَّهُ عَمَّا جَرَّهُ الْهَوُّ وَالْعَبَا وَمَا مَرُّ مِنْ قَالِ الشَّيْبِ وَقِيلَ
زَمَلْتُ صَحْبَتَهُ بِأَرْغَدِ عَيْشَةٍ إِلَى أَنْ مَضَى مُتَكْرِهًا لِيَدِهِ
وَأَعْتَبْنَا مِنْ صَدْرِ غَيْرِ مُشْتَهَى مَشِيًّا قِي عَنَّا الْكَرَى بِحُلُولِهِ
لَنْ عَظَمْتَ أَجْرَ أَنَا بِمُدْمِي فَأَعْظَمُ مِنْهَا خَوْفُنَا مِنْ رَجُلِهِ
وَقَدْ خَالَفَ ابْنُ الرُّومِيِّ حَيْثُ يَقُولُ [مِنْ الْمُسْرَحِ] :

(١) فِي الْأَصُولِ كَلْبًا

• عَجِبْتُ لِلشَّيْبِ كَيْفَ أَكْرَمَهُ •

كَبَرُ الظَّنِّ أَنَّهُ مَحْرُوفٌ عَمَّا أَتَمَّتَهُ

من كان يكي الشلب من أسفر قلت أبكي عليه من أسفر
كيف وشرخ الشلب عرضي يوم جاني لوقت التفر
لا صوجبت ثيرة الشلب ولا عيبت ما في المنيب من خفر
ومنه قول بعضهم [من الخفيف]:

لم أقل للشلب في دعة الله ولا حفظه غداة استقل
زار زارنا أقلم قليلا سرود الصفح بقيوب وولي
ومن الجيد أيضا قول العلوي [من الوافر]:

لعمرك للمشيب على ما قننت من الشرب أجل قوتا
تمكنت الشلب فصار شيئا ومليت المشيب فصار موتا
وما أحسن أيضا قول الآخر [من البسيط]:

والمرء إن حل شيب في مقلوه فما جلوه أو يرطلن صا
وما أحسن قول المعري في ملح الشيب [من الخفيف]:

خيرني ماذا كرهت من الشيب فلا علم لي بذنب المشيب
أضيء النهار أم وضح القو لو أم كونه كثر الحبيب
أخبرني فضل الشلب وماذا فيه من منظر يسر وطيب
غنوه بلخليل أم جهه لسنى أم كونه كيش الأديب
وبالجهة فما أحسن قول الخافظ بن سهل بن غاثم الأصماني وأصدق [من غلط
لبسيط]:

من شاب قد مات وهو حي يمشي على الأرض متو هالك
فوكذ عمر الفتى حيا لكاذ في شيبه فلك

والشاهد في البيت: الجمع بين معنيين غير متقابلين عبرتهما بالخطين متقابل
صنعهما الحقيقيان، فانه هنا لا تقابل بين البكاه وظهور الشيب، لكنه عبر

عن ظهوره بالضعك الذي يكون معناه الحقيقي مضاداً بمعنى البكاء، ويسمى إبهام التضاد، لأن المعنيين المذكورين وإن لم يكونا متقابلين حتى يكون التضاد حقيقياً، لكنهما قد ذكرا بلفظين يوهمان التضاد، نظراً إلى الظاهر والحلل على الحقيقة.

ومن الشواهد على إبهام التضاد قول أبي تمام الطائي [من الكامل] :

وَتَنْظَرِي حَبَّ الرُّكَّابِ يَنْصُهَا مُحْبِي الْقَرِيضِ إِلَى مَعِيتِ الْمَالِ

فليس بين محي وميت هنا تضاد بالمعنى، إلا بما يتوهم من اللفظ، لأن محي القريض هنا كناية عن مجيئه، ويعنى به نفسه، وميت المال كناية عن مفاته في السكرم، وليس بينهما تضاد.

ومنه قول الشاعر [من الكامل] :

يَبْدَى وَشَاحاً أَيْضاً مِنْ سَيْفِهِ وَالْجَوُّ قَدْ لَبَسَ الرِّدَاءَ الْأَغْبَرَ

فإن الأبيض ليس بضد الأغبر، وإنما يؤهم بلفظه أنه ضده.

ودعبل^(١) : هو ابن علي بن رزبن بن سليمان بن تميم الخزاعي، ويكنى أبا علي. وهو شاعر مطبوع متقدم هجاء خبيث اللسان، لم يسلم منه أحد من الخلفاء، ولا من وزراءهم، ولا من أولادهم، ولا ذو نباهة : أحسن إليه، أو لم يحسن، ولا أفلت منه كبير أحد.

ترجمة دعبل
الخزاعي

وحدث أبو وهفان قال : قال لي دعبل : قال لي أبو زيد الأنصاري : رمت اشتق دعبل ؟ قلت : لا أدري، قال : الدعبل الناقة التي معها أولادها.

وحدث محمد بن أيوب، قال : دعبل اسمه محمد، وكنيته أبو جعفر، ودعبل لقب لقب به.

وعن أبي عمرو الشيباني قال : الدعبل البعير المسنن .

وحدث دعبل قال : كنت جالسا مع بعض أصعابنا ذآت يوم ، فجلسا
فأت سأل رجل لم يعرفني أصحاحاً عني ، فقالوا : هذا دعبل ، قال : قولوا في
جليسكم خيراً ، كأنه ظن اللقب شتماً
وقال دعبل : صُرع مجنون مرّة ، فصحت في أذنه : « دعبل » ثلاث
مرات ، فافاق .

وكان سبب خروجه من الكوفة أنه كان يتشطر ، ويصحب الشطار ،
فخرج هو ورجل من أشجع فيما بين المشاء والعممة ، فجلسا على طريق رجل
من الصيارفة ، كان يروح كل ليلة بكيسه إلى منزله ، فلما طلع مقبلا عليهما وثبا
عليه وجرحاه وأخذ ما في كيسه ، فاذا هي ثلاث رمانات في خرقه ولم يكن كيسه
معه ليلتذ ، ومات الرجل في مكانه ، واسترد دعبل وصاحبه ، وجد أولياء
الرجل في طلبهما ، وجد السلطان أيضا في ذلك ، فطال على دعبل الاستتار ،
فاضطر إلى أن يهرب من الكوفة ، فسادخلها حتى كتب إليه أهله أنه لم يبق
من أولياء الرجل أحد .

وحدث أحمد بن أبي كامل قال : كان دعبل يخرج فيغييب سنين يعمور
الدنيا كلها ويرجع ، وقد أفاد وأثرى ، وكانت الشراة ^(١) والصعاليك يلقونه
فلا يؤذونه ، ويؤاكلونه ويشاربونه ويبرونه ، وكان إذا لقيهم وضع طعامه
وشرا به ودعاهم إليه ، ودعا بغلاميهم فننف وشنف ^(٢) — وكانا مغنيين — فأقصدهما
يفنيان ، وسقام وشرب معهم ، وأنشدهم ، فكانوا قد عرفوه وألفوه لكثرة

(١) في الأصل « السراة » بالسين مهملة محرفا عما أثبتناه موافقا لما
في الأغاني والشراة في الأصل جمع شارب ، ثم أطلق على قومهم الخوارج
(٢) في الأغاني « ودعا بغلاميهم نفيف وشنف »

أسفاره ، وكانوا يواصلونه ويصلونه . قال : وأنشدني دعبل لنفسه في
بعد أسفاره [من الطويل] :

حلتُ محلاً يَقْصُرُ البرقُ دونهُ ويمعز عنه الطيفُ أن يتجسَّأ
وحدث محمد بن عمر الجرجاني قال: دخل دعبلُ الرى في أيام الربيع ، فجاهم
بلج لم ير مثله في الشتاء ، فجاه شاعر من شعرائهم ، فقال شعراً ، وكتبه في رقعة
وهو [من الخفيف]

جاءنا دِعْبِلٌ بِلَجٍّ من الشعر فجات سماؤنا بالثلوج
نزل الرى بعد ما سكن البر دُ وقد أينعت رياضُ المروج
فكسانا ببرده لا كساه الله ثوباً من كرسفٍ مخلوج
وألقي الرقعة في دهليز دعبل ، فلما قرأها ارتحل عن الرى .

وحدث أحمد بن خالد ، قال : كنا يوماً عند دار رجل ، يقال له صالح
[ابن علي]^(١) ابن عبد القيس ببغداد ، ومعنا جماعة من أصحابنا ، فسقط على كنيصة
في سطحها ديك طار من بيت دعبل ، فلما رأيته قلنا هذا صيد ، فأخذناه ، فقال
صالح : ما نضع به ؟ قلنا : ندبحه ، فذبحناه وشويناه يومنا ، وخرج دعبل فسأل عن
الديك ، فعرف أنه سقط في دار صالح ، فطلبه منا فوجدناه ، وشربنا يومنا ،
فلما كان من الغد خرج دعبل ، فصرى الغداة ، ثم جلس على باب المسجد ،
وكان ذلك المسجد مجمع الناس ، يجتمع فيه جماعة من العلماء ، ونبهاء الناس ،
فجلس دعبل على باب المسجد ، وقال [من الكامل] :

أَسَرَ الْمُؤَذِّنَ صَالِحٌ وَضِيؤُهُ أَسَرَ السَّكِيَّ هُفَا خِلَالِ الْمَاقِطِ

(١) زيادة عن الأغاني (١٨ - ٣٣) وقال في رواية أخرى لهذا الخبر :
وهو صالح بن بشر بن صالح بن الجارود العبدى

بَعُثُوا عَلَيْهِ بَنَاتِهِمْ وَبَنِيهِمْ
يَتَنَازَعُونَ كَأَنَّهُمْ قَدْ أَوْتَقُوا
مَائِينَ نَاتِقَةٍ وَآخِرَ سَامِطٍ
خَافَانَ أَوهَزَمُوا كَتَاتِبَ نَاعِطٍ
نَهْشَوْهَ فَاثْتَرَعَتْ لَهُ أَسْنَانُهُمْ
وَنَهَشَتْ أَفْأَازِمَهُ بِالْحَائِطِ

قال : فكتبها الناس عنه ومضوا ، فقال لى أبى ، وقد رجع إلى البيت :
ويحك ! ضاقت عليكم المأكل ، فلم نجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دعبل
ثم أنشدنا الشعر ، وقال لى : لا تدع ديكاً ولا دجاجة تقدر عليها إلا اشتريت
ذلك لدعبل وبعثت به إليه ، وإلا أوقعتنا فى لسانه ، ففعلت ذلك .

قال : وناعط : قبيلة من همدان ، وأصله جبل نزلوا به ففسبوا إليه .

وقال دعبل : كنا يوماً عند سهل بن هارون الكاتب البليغ ، وكان :
شديد البخل ، فأطلقنا الحديث واضطره الجوع إلى أن دعا بقَدَأَه ، فأتى
بقصة فيها ديك جاسر هريم ، لا تخرقه سكين ولا يؤثر فيه خرس ، فأخذ كسرة
خبز ، فخاض بها مرقته وقلب جميع ما فى القصة ففقد الرأس ، فبقى مطرقاً ساعة
ثم رفع رأسه ، وقال للطباخ : أين الرأس ؟ فقال : رميت به ، فقال : ولم ؟ قال :
ظننتك لا تأكله ، قال : بئس ما ظننت ! والله إنى لَأَمُتُ من يرمى برجليه ،
فكيف من يرمى برأسه ، والرأس رئيس ، وفيه الحواس الأربع ، ومنه يصيح
ولولا صوته لما فضل ، وفيه فرقة الذى يتبرك به ، وفيه عيناه اللتان يضرب
بهما المثل ، فيقال : شرابُ كعين الديك ، ودماغه عجب لوجع السكيتين ،
ولم ير عظم قط أهدس من عظم رأسه ، أو ما علمت أنه خير من طرف الجناح ، ومن
الساق ، ومن العنق ، فإن كان قد بلغ من نبلك أنك لا تأكله [فأنا تأكله] (١) ،
فانظر أين هو ؟ قال : لا أدرى والله أين هو ، رميت به ، قال : لكنى أدرى أين
هو ، رميت به فى بطنك فوالله حَسْبُكَ .

وحدث إبراهيم بن المدبر ، قال : لقيت دعبل بن على ، فقلت له : أنت

(١) زيادة لا بد منها .

أخبر الناس عندي وأقدمهم حيث تقول ، يعنى فى حق المأمون [من الكامل] :
 إني من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
 رفعوا تحلك بعد طول حمله واستنقذك من الخضيض الأوهدي
 فقال لى : يا أبا إسحاق ، أنا أحمل خشبتي منذ أربعين سنة ، فلا أجد من
 يصلبني عليها بعد .

وبات دعبل ليلة عند صديق له من أهل الشام ، وبات عندهم رجل من
 أهل بيت لحيان ، يقال له حوى بن عمرو السكسكى ، وكان جميل الوجه ، فذب
 إليه صاحب البيت ، وكان شيخاً كبيراً فانياً قد أتى عليه حين ، فقال فيه
 دعبل [من السريع] :

لولا حوى لبيت لحيان ما قام أيرُ العزب الفاني
 له دَواةٌ في سراويله يليقها التارحُ والداني

وشاع هذان البيتان ، فهرب حوى من ذلك البلد ، وكان الشيخ إذا رأى
 دعبلا سبه ، وقال : فضحتني أخراك الله !! .

وحدث محمد بن الأشعث قال : سمعت دعبلا يقول : ما كانت لأحد عندي
 منة قط إلا تمنيت موته .

وكان دعبل قد مدح محمد بن عبد الملك الزيات ، فأنشده ماقاله فيه ، وهو
 جالس وفي يده طومار قد جعله على فيه كاللسكة [عليه] ^(١) وهو جالس ، فلما
 فلما فرغ أمره به بشيء قليل لم يرضه ، فقال [من البسيط] :

يا من يقبل طوماراً ويلشهُ ماذا بقلبك من حب الطوامير
 فيه مشأبه من شيء تُسرُّ به طولاً بطولٍ وتدويراً بتدوير

لو كنت تجمع أموالاً كجمعهما إذا جمعت بيتاً من دنائير

وقال دعبيل في الفضل بن مروان [من الطويل] :

نصحتُ فأخلصتُ النصيحة في الفضل وقلتُ فسيرتُ المقالة في الفضل
ألا إن في الفضل بن سهل لعمرة إذا اعتبر الفضل بن مروان بالفضل
والفضل في الفضل بن يحيى مواظ إذا فكر الفضل بن مروان في الفضل
فأبقى جيلاً من حديث تفر به ولا تدع الاحسان والأخذ بالفضل
فإنك قد أصبحت للحلك قياً وصبرت مكان الفضل والفضل والفضل
ولم أر أحياناً من الشعر قبلها جميع قوافيها على الفضل والفضل
وليس لها عيب إذا هي أنشدت سوى أن نصح الفضل كان من الفضل
فبعث إليه الفضل بدنانير ، وقال له : قد قبلت نصحك ، فاكفى

خيرك وشرك

وحدث محمد بن حاتم المؤدب ، قال : قيل للمأمون : إن دعبيلاً قد هجاك ،
فقال : وأى عجب في هذا ؟ هو يهجو أبا عباد فلا يهجونى أنا ، ومن أقدم على
جنون أبى عباد أقدم على حلمي ، ثم قال لجلسائه : من كان فيكم يحفظ شعره
في أبى عباد فلينشده ، فأنشده بعضهم [من الكامل] :

أولى الأمور بضيمة وفساد أمرٌ يدبره أبو عباد
خرق على جلسائه فكأنهم حضروا الملحمة ويوم جلاذ
يسطو على كتابه بدواته فضمخ بدم ونضح مداد
وكأنه من دير هرقل منلت حرّث بجر سلاسل الأقياد
فاشد أمير المؤمنين وثاقه فأصح منه بقية الحداد

قال : وكان بقية هذا مجنوناً في المارستان ؛ فضحك المأمون ، وكان إذا

نظر إلى أبي عباد يضحك ، ويقول لمن يقرب منه : والله ما كذب دعبيلُ
في قوله .

وحدث أبو ناجية ، قال : كان المعتصم يبغض دعبلا لطول لسانه ،
وبلغ دعبلا أنه يريد اغتياله وقتله ، فهرب إلى الجبل ، وقال ينجوه ،
[من الطويل] :

وفاضَ بفرط الدمع من عينه غُربُ	بكي لشتات الدين مكتئبُ صبُ
فليسَ له دينٌ وليسَ له لبُ	وقامَ إمامٌ لم يكنْ ذا هدايةٍ
يملكُ يوماً أو تدينُ له العربُ	وما كانت الأنبياء تأتي بمثلِهِ
من السلف الماضي إذا عظم الخطبُ	ولكن كما قال الذين تابَعُوا
ولم تاتسأ عن ثامنٍ لهم كُتبُ	ملوكُ بني العباس في الكتبِ سبعةُ
خيارٌ إذا عُدُّوا ، وثامنهم كلبُ	كنك أهل الكهف في المدسبةُ
لأنك ذو ذنبٍ وليسَ له ذنبُ	وإني لأعْلِي كلهم عنكَ رفةُ
وصيفٌ وأشناسٌ وقد عظم الكربُ ^(١)	لقد ضاع ملكُ الناسِ إذ ساسَ ملكهمُ
يظلُّ لها الاسلامُ ليسَ له شعبُ ^(٢)	وفضلُ بنُ مروانٍ سينلُمُ ثلثةُ

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هامشي النسخة هنا ما نصه « قوله
وأشناس ، كذا في النسخ ، وفي نسخة وأشناف ، ولعل الصواب وأصناف »
اه . وما ظنّه صواباً أبعد ما يكون عن الصواب . ووصيف وأشناس غلامان
من غلمان الأتراك الذين جلبهم المعتصم ليستعين بهم على الفرس والعرب ، فكانوا
علة العال في ضياع سلطان الخلافة ، وقد وصل كل واحد منهما إلى رتبة
القائد في عهد المعتصم

(٢) في الأصل « يظل له الاسلام » وما أثبتناه موافق لما في
الآغا (١٨ : ٤٠) .

ولما مات المعتصم قال ابن الزَيْلِثِ يرثيه [من المنسرح] :

قد قلتُ إذ غيبوهُ وانصرفوا في خيرٍ قبرٍ خيرٍ مدفونٍ
لنَّ يجبرَ الله أمةً فقدتْ مثلكَ إلا بمثلِ هرونٍ
فقال دعبل يعارضه [من المنسرح] :

قد قلتُ إذ غيبوهُ وانصرفوا في شرٍّ قبرٍ لشرٍّ مدفونٍ
أذهبُ إلى النارِ والمذابِ فثأ خلتكُ إلا من الشياطينِ
مازلتُ حتى عَدَدْتُ بَيْعَةً مِنْ أَضَرَ بالمسلمينِ والدينِ
وحدث محمد بن جرير ، قالَ : أنشدني عبد الله بن يعقوب
هذا البيت وحده لدعبل ، يمجوه به المتوكل ، وما سمعت له غيره فيه ،
[من الوافر] :

ولستُ بقاتلٍ بدعا ولكن لآمرٍ ما تَعَبَّدَكَ المبيدُ
قال : يرميه في هذا البيت بالأنفة .

وحدث محمد بن جرير قال : كنت مع دعبل بالصيمرة ، وقد جاءنا نعي
المعتصم ، وقيام الواقع ، فقال لي دعبل : أملك ما تكتب فيه ؟ قلت : نعم ،
فأخرجت قرطاسا ، فأملئ على يديها [من البسيط] :

الحمد لله لا صبرٌ ولا جلدٌ ولا عزاءٌ إذا أهلُ البلا رقدُوا
خليفة مات لم يحزن له أحدٌ وآخر قام لم يفرح به أحدٌ
وكان المأمون قد تطلب دعبلا ، وجدَّ في ذلك وهو طائر على وجهه ، حتى
دسَّ إليه قوله [من الكامل] :

علم ونحكيْمٌ وشيب مَفَارِقُ تَطْمِيسُ رِيحانِ الشلبِ الرائِقِ
وإمارةٌ في دولةٍ ميمونةٍ كانت على اللذاتِ أشغَبَ عائقِ

نَمَوْا ابن شكَّةَ بالعراقِ وأهلِهِ فَهَمَّا إِلَيْهِ كُلُّ أُخْرَقٍ مَائِيٍّ (١)
 أَنَّى يَكُونُ وَلَا يَكُونُ وَلَمْ يَكُنْ يَرِثُ الْخِلَافَةَ فَاسِقٌ عَنْ فَاسِقٍ (٢)
 إِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمَ مُضْطَلَمًا بِهَا فَلْتَصْلُحَنَّ مِنْ بَعْدِهِ لِمُخَارِقِ
 ولما قرأها المأمون ضحك ، وقال : قد صفت عن كل ما هجانا به إذ
 قرن إبراهيم بمخارق في الخلافة وولاه عهده ، ثم إنه كتب إلى دعبل أمانا ،
 فلما دخل وسلم عليه تبسم في وجهه ، وقال أنشدني :
 * مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ *

فجزع ، فقال له : لك الأمان ، فلا تخف ، وقد رويتها ، ولكنني أحب سماعها
 من فيك ، فأثبده إياها إلى آخرها والمأمون يبكي ، حتى اخضلت لحيته
 بدمعه ، ثم إنه أحسن إليه وانسرب به ، حتى كان أول داخل إليه ، وآخر
 خارج من عنده ، ثم عاد إلى خباته ، وشاعت له أبيات بعدها أيضا ، بهجو
 بها المأمون . .

وحدث دعبل قال : دخلت على علي بن موسى الرضى ، فقال : أنشدني
 مما أحدثت ، فأثبته [من الطويل] :

مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزِلُ وَخِي مُقْفَرُ الْعَرَاصَاتِ

(١) فى الأصل «ابن شكَّة» محرفا عما أثبتناه ، والبيت ساقط من الأغاني
 وابن شكَّة : إبراهيم بن المهدي عم المأمون ، وكان قد خرج عليه وطلب
 الخلافة لنفسه ، وكان يحسن الغناء ويجيده . ثم أخذه المأمون وعفا عنه ،
 ومخارق : مغم معروف

(٢) فى الأغاني

« أَنَّى يَكُونُ وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَأَنَّ * »

حتى انتهيت إلى قولي فيها :

إِذَا وَرَوْا مَدُّوا إِلَى وَارِثِهِمْ أَكْثَرًا مِنَ الْأَوْتَارِ مُنْقِصَاتٍ

قال : فبكي عنده حتى أغشى عليه ، فأومأ إلى خادم كان على رأسه أن أسكت فسكت ، فمكث ساعة ثم قال لي : أعد ، فأعدت حتى انتهيت إلى هذا البيت فأصابه مثل الذي أصابه في المرة الأولى ، وأومأ الخادم أيضاً إلى أن أسكت ، فسكت ، ثم مكث ساعة أخرى ثم قال لي : أعد ، فأعدت حتى انتهيت إلى آخرها ، فقال : أحسنت أحسنت ، ثلاث مرات ، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم مما ضرب باسمه ، ولم تكن دفعت إلى أحد بعد ، وأمر لي من في منزله بحلي كثير أخرجه إلى الخادم فقدمت العراق فبعت كل درهم منها بعشرة ، اشتراها مني الشيعة ، فحصل لي مائة ألف درهم ، فكان أول مال اعتقدته .

ثم إن دعيلاً استوهب من علي بن موسى الرضى رضى الله عنهما ثوباً قد لبسه ليجمعه في أكفائه ، فخلع جبة كانت عليه فأعطاه إياها وبلغ أهل قم خبرها فسألوه أن يبيعهم إياها بثلاثين ألف درهم ، فلم يفعل ، فخرجوا عليه في طريقه فأخذوها غصبا ، وقالوا له : إن شئت أن تأخذ المال فافعل ، وإلا فأنت أعلم ، فقال لهم : إني والله لا أعطيكم إياها طوعا ، ولا تنفعكم غصباً ، وأشكركم إلى الرضى ، فصالحوه على أن أعطوه ثلاثين ألف درهم وفردكم من بطانتها ، فرضى بذلك .

وحدث دعييل قال : لما هربت من الخليفة بت ليلة بنيسابور وحدي ، وعزمت على أن أعمل قصيدة في عبد الله بن طاهر في تلك الليلة ، فاني لفي ذلك إذ سمعت والباب مردود على قائلاً يقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أألج برحمتك الله ؟ فأقشعر بدني من ذلك ، ونالني أمر عظيم ، فقال لي : لا ترع فاني رجل من إخوانك من الجن من ساكني اليمن طراً عليتنا طاري ، من أهل العراق فأشدنا قصيدتك * مدارس آيات . . إلى آخرها * فأجبت أن أسمعها منك ،

قال : نشت يه ، فيكي حتى خرته قل : يرحمك الله ! لا أهدمك بمحدث ق
 يتك . ميتك على التمسك بمنحك ؟ قت : بلى ، قل : مكنت حيناً نسمع
 بيجري بن محمد رجب . لله تعالى ، فصررت إلى المدينة المنورة فسمعت يقول : حدثني
 أبي عن أبيه عن جده رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قل
 « على وشيتهم القاريون » ثم ودعني لينصرف قلت : يرحمك الله ! لئن رأيت
 أن تجبرني بأهلك ففعل ، قل : أنا ضيق بن عمر .

وحدث إسحاق بن إبراهيم الموصلي قل : يولي إبراهيم بن أنهمى يبنماد
 وقد قل المال عنده ، وكان قبطاً إلى أعراب من أعراب السواد وغيرهم من
 أولس الناس وأوغدهم ، فاحتسب عليهم العطاء ، فبطل إبراهيم يرفهم وهم لا يرون
 لوعده حقيقة ، بل أن خرج رسوله إليهم يوماً قد اجتمعوا وضجوا فصرح إليهم
 بأنه لا مال عنده ، قال قوم من غوغاه أهل بغداد : أخرجوا إلينا خيلتنا ليقى
 أهل هنا الجانب ثلاثة أصوات تكون عطائم ولاهل هنا الجانب مثلها ، قل
 إسحاق : فانشقني دعبل بعد أيلم [من السريح] :

يَمْشُرُ الْأَجْنَادُ لَا تَقْطُرُوا وَارْمُوا بِمَا كُنْ وَلَا تَنْخَطُرُوا ١١
 فَتَوْفَ تَنْطَوْنَ حَتِيَّةً يَلْتَذُّهَا الْأَمْرُذُ وَالْأَشْمُطُ
 وَالْمَبْدِيَّةُ لِقَوَادِكُمْ لَا تَدْخُلُ الْكَيْسَ وَلَا تَرْبُطُ
 وَهَكَذَا يَرْزُقُ قَوَادَهُ خَلِيقَةً مُصَحَّهَ الْبِرْطُ
 ودخل عبادة بن طاهر على المأمون فقال له : أى شيء تحفظ يا عبادة
 فدعبل ؟ قال : أحفظ أبنائنا في أهل بيت أمير المؤمنين ، قل : هاتها ، فأنتهده
 عبادة قوله [من البسيط] :

(١) في الأصل « ألا مشر الأجناد » ولا يستقيم به وزن البيت ، وما
 أثبتناه موافق لما في الأغاني (١٨ - ٤٣)

فَمَا وَرَعِيًّا لَا يَمُومُ الصَّبَابِ أَيْمٌ تَوَقَّلُ فِي أَثَوَابِ قَدَائِ
 بِهِ غَضَى رَضِيًّا مِنْ لِيَانِهِ أَصْبُرُ إِلَى غَيْرِ جِلَازَةٍ وَكَتَلَةٍ
 دَعَا عَنْكَ ذِكْرُ زَمَنِ فَكَتَّ مَطْلَبَهُ وَأَقْفِيفُ بَرَجِكَ عَزَمَتْ الْجِبَالُ لَا تِ
 وَفَضِيًّا بِكُلِّ مَدِيحٍ أَنْتَ قَائِمٌ نَحْوُ الْمَدَائِقِ بَنَى هَيْتَ الْكَرَامَتِ
 قَالِ الْمَأْمُونُ : إِيَّاهُ وَجَدَ وَافَقَهُ مَقَالًا قَالِ ، وَتَالِ يَمِيدَ ذِكْرِهِ مَلَاحِيَهُ فِي
 وَصْفِ غَيْرِهِ ، ثُمَّ تَالِ الْمَأْمُونُ : لَقَدْ أَحْسَنَ فِي وَصْفِ سَفَرِ سَفَرِهِ قَالِ ذَلِكَ
 سَفَرِ عَلَيْهِ قَالِ فِيهِ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

أَنَّهُ يَنْزِلُ لِقَاءَ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا إِلَى وَطَنِ قَبْلَ الْمَوْتِ رُجُوعُ
 هَمَّتْ وَلَمْ أَمْلِكْ سِوَايَ عِبْرَةٍ فَطَقَنْ بِمَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُ
 تَبَيَّنَ فَكَمْ دَارَ تَمَرَّقَ تَحْتَلُّهَا وَتَحْمِلُ شَتِيَّةَ عَدُوٍّ وَهُوَ جَمِيعُ
 كَذَلِكَ أَقْبَالِي مَرْفُوعُ كَمَا تَرَى لِكُلِّ أَنَارِسٍ جَذْبَةٌ وَرَيْعٌ (١)
 ثُمَّ قَالَ الْمَأْمُونُ : مَلَأْتُ قَلْبِي إِلَّا كَانَتْ هَذِهِ الْأَيْلَةُ تُصَبِّحُنِي وَهَجِيرُ آيِ
 وَبَسِطِي حَتَّى أَعُودَ .

وَمِنْ شِعْرِهِ يَهْجُو [مِنْ مَجْزُوءِ الْخَفِيفِ] :

رَفَعَ الْكَلْبُ فَاتَّصَعَ لَيْسَ فِي الْكَلْبِ مُصْطَنَعُ
 بَلَغَ الْفَسَادَ أَلْقَى دُونَهَا كُلُّ مَا ارْتَفَعَ
 إِنَّمَا قَصُرَ كُلُّ شَيْءٍ إِذَا طَارَ أَنْ يَقَعَ
 لَمْ يَنْفَعْ اللَّهَ نَحْوَهُ صَارَ مِنْ بَدِّهَا ضَرَعُ

وَمِنْ شِعْرِهِ يَهْجُو أَيْضًا [مِنْ الْبَسِيطِ] :

(١) في مطبوعة بولاق • طوال الألبالي صرفين كما ترى • وقد أثبتنا
 ما في الأغاني ، إذ كان كل ما هنا مأخوذاً عنه

نُيِّمْتُ الْمَدْرِيحَ رَجُلًا دُونَ مَا لَمْهُمُ رَدُّ قَبِيحٍ وَقَوْلٌ لَيْسَ بِالْحَسَنِ
 فَلَمْ أَفْزُ مِنْهُمْ إِلَّا بِمَا سَخَلَتْ رِجْلُ الْبَعُوضَةِ مِنْ فَعَارَةِ اللَّابَنِ
 ومنه قوله فيمن استشفع به في حاجة فاحتاج إلى شفيع يشفع له [من السرياع]:
 يَا عَجَبًا لِلْمُرْتَجِي فَضْلَهُ لَقَدْ رَجَا مَا لَيْسَ بِالنَّافِعِ
 جُنْنَا بِهِ يَشْفَعُ فِي حَاجَةٍ فَاحْتَاجَ فِي الْأَذْنِ إِلَى شَافِعٍ
 وحدث دعبيل قال : خرجت إلى الجبل هارباً من المعتصم ، فكنت أسير
 في بعض طريق والْمُكَّارَى يسوق بي بغلاً تحتي وقد أتعبني تعباً شديداً ، فتفتى
 المكاري بقولي [من الكامل] :

لَا تَعْجِبِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ ضَجَّكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
 قُلْتُ لَهُ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ لِيَكْفَ مَا يَسْتَعْمَلُهُ مِنَ الْحَثِّ لِلْبَغْلِ لَثْلًا
 يتعجبى : تعرف لمن هذا الشعر يا فتى ؟ قال : لمن ناك أمه وغرم درهمين ، فما أدرى
 من أى أموره أعجب : أمن هذا الجواب ، أم من قلة الغرم على عظم الجناية .
 وحدث على بن عبدالله بن مسعدة قال : قال لى دعبيل وقد أنشدته قصيدة
 بكر بن خارجة في عيسى بن البراء النصراني [من الرجز] :

رُئِزَارُهُ فِي خَصْرِهِ مَعْقُودٌ كَأَنَّهُ مِنْ كَيْدِي مَقْدُودٌ
 والله ما أعلم أنى حسدت أحداً كما حسدت بكراً على قوله * كأنه من كبدى
 مقدود * وكان بكر هذا وراقاً ضيقاً عيشه معاقراً للشراب في منازل الحارثيين
 وحاناتهم وكان طيب الشعر مليحاً مطبوعاً حسناً ماجناً خليعاً ، وكانت الحمرة قد
 أفسدت عقله في آخر عمره ، فصار يهجو ويمدح بالدرهم والدرهمين ونحو هذا ، فاطرح
 وحدث بعض الكوفيين قال : حضرنا دعوة ليحيى بن أبى يوسف القاضي
 وبتنا عنده نمت ، فما أنبهنى إلا ضياح بكر يستغيث من العطش ، قُلْتُ لَهُ : مَا لَكَ ؟
 قم فاشرب فالدار ملأى ماء ، قال : أخاف ، قُلْتُ : مِنْ أَى شَيْءٍ ؟ قال : فِي الدَّارِ

كلب كبير فأخاف أن يظنني غزاً لا فيثب على ويقطعني ويأكلني ، فقلت له :
 غرب الله بيتك ! أنت والله بالخنازير أشبه منك بالفرلان ، قم فاشرب إن كنت
 عطشانا وأنت آمن ، وكان عقله قد فسد من كثرة الشرب .

وحدث أحمد بن عثمان الطبري قال : سمعت دعبل بن علي يقول : لما هاجبت
 أباسعد الخزومي أخذت معي جوراً ودعوت الصبيان فأعطيهم منه وقلت لهم :
 صيحوا به قائلين [من مجزوء الخليف] :

يا أباسعد قوصره زاني الأختِ والمرّة

لو تراه مجيباً خلته عقْدَ قنطرة

أوترى الأير في أسير قلت ساق بمقطره

فصاحوا به فغلبته

ولأبي سعد الخزومي بهجو دعبلا ، وكان قد دعاه إلى بيته ، وأضافه
 [من المنسرج] :

لدعبل منة يمن بها فلست حتى المات أنساها

أدخلنا بيته فأكرمنا ودس امراته فنكناها

وحدث أبو سعد الخزومي ، واسمه عيسى بن خالد الوليد ، قال : أنشدت
 المأمون قصيدتي الدالية التي ردّدت فيها على دعبل قوله [من الكامل] .

ويسومني المأمونُ خُطة عاجز أو ما رأى بالأمس رأسَ محمدٍ

وأول قصيدتي [من الكامل] :

أخذ المشيبُ من الشباب الأغيد والنائباتُ من الأثام يبرص

ثم قلت له : يا أمير المؤمنين ائذن لي أن أحييك برأسه ، فقال : لا ، هذا

رجل قد فخر علينا فافخر عليه كما فخر علينا ، فأما قتله فلا حاجة فيه

وكان الرشيد قد غنى بقول دعبل :

* لا تعجبي يا سلم من رجل الآيات *

فطرب لها وسأل عن قائلها ، فقيل : لدعبل غلام نشأ من خُرَاعة فأمر له بعشرة آلاف درهم وخلعة من ثيابه وصركب من مراكبه ، وجيز له ذلك مع خادم من خدمه إلى خُرَاعة ، فأعطاه الجائزة وأشار عليه بالمسير إليه ، فلما دخل عليه وسلم أمره بالجلوس فجلس ، واستنشد الشعر ، فأنشده إياه ، فاستحسنه وأمره بملازمة وأجرى عليه رزقا سنيا ، فكان أول من حرضه على قول الشعر ثم إنه ما بلغه أن الرشيد مات حتى كافأه على فعله بأقبح كافأة وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت رضى الله عنهم وهجا الرشيد [من البسيط] :

وليسَ حَيٌّ منَ الأحياءِ تَملَهُ	من ذى يَمانٍ ولا بَكرٍ ولا مُضَرَ
إلا وهم شركاء في دُمائِهِم	كما تشارك أيسارُ على جُزُرٍ
قُلٌّ وأمرٌ وتَحرِيقٌ ومنهبة	فعلُ الفِزاة بأرض الرومِ والتَّغَرُّرِ
أرى أُمية مَعذُورينَ إن قتلوا	ولا أرى لبنى القَيباسِ من عُدُرٍ
أزيع بطوس على القَبرِ الزكى إذا	ما كُنتَ تَربيعَ من دَيرٍ إلى وطَرٍ ^(١)
قَبْرانَ في طوس خَيرُ الناسِ كلِّهم	وقبر شرُّهم ، هذا من العِبرِ
ما يَنفَعُ الرُّجسَ من قَربِ الزكى ولا	على الزكى بقَربِ الرُّجسِ من ضَرَرٍ ^(٢)
هَياتَ كلِّ امرئٍ رَهَنٌ بما كسبت	له يَداهُ ، فخذُ ما شئتَ أو قَدَّرِ

يعنى قبر الرشيد وقبر موسى الكاظم ، ولعمري لقد هَذَا هَذَا ، ولنفسه ظلم وآذى

(١) في مطبوعة بولاق * . . . من دين على وطَرٍ * وأثبتنا ما في الأغاني

(٢) في مطبوعة بولاق * ما يَنفَعُ الرُّجسَ من قَبرِ الزكى * . . * وقد أثبتنا

ما في الأغاني ، وهو أهم مقابلة مع عجز البيت

وحدث أبو حفص النحوى مؤدب آل طاهر ، قال : دخل دعبيل على عبد الله بن طاهر فأنشده وهو يبغداد [من المنسرح] :

جئتُ بلا حُرْمَةٍ وَلَا سَبَبٍ إِلَيْكَ إِلَّا بِحُرْمَةِ الْأَدَبِ
فَاقْضِ ذِمَّائِي فَإِنِّي رَجُلٌ غَيْرُ مُلِحٍّ عَلَيْكَ فِي الطَّلَبِ

قال : فانتقل عبد الله ودخل إلى الحرم ووجه إليه بصره فيها ألف درهم ، وكتب إليه معها [من الكامل] :

أَعْمَلْنَا فَأَنَّاكَ عَاجِلُ بَرْنَا وَلَوْ أَنْتَظَرْتَ كَثِيرَةً لَمْ يَقْلَلِ
فَخَذِ الْقَلِيلَ وَكُنْ كَأَنَّكَ لَمْ تَسَلْ وَتَكُونُ نَحْنُ كَأَنَّا لَمْ نَفْعَلْ

وكان دعبيل قد قصد مالك بن طوق ومدحه فلم يرض ثوابه فخرج عنه وقال

فيه [من السريع] :

إِنَّ ابْنَ طُوقٍ وَبَنِي تَغْلِبَ لَوْ قُتِلُوا أَوْ جُرْحُوا قَصْرَهُ
لَمْ يَأْخُذُوا مِنْ دِيَةِ دَرْمَاهَا يَوْمَا وَلَا مِنْ أَرْضِهِمْ بَعْرَهُ
دِمَائِهِمْ لَيْسَ لَهَا طَالِبٌ مَطْلُوعٌ مِثْلُ دَمِ الْعَنْدَرَةِ
وَجُوهُهُمْ بَيَضٌ وَأَحْسَائِهِمْ سَوْدٌ وَفِي آدَانِهِمْ صَفْرُهُ

وقال فيه أيضا [من السريع] :

سَأَلْتُ عَنْكُمْ يَا بَنِي مَالِكٍ فِي تَارَاجِ الْأَرْضَيْنِ وَالْدَانِيَةِ
طَرًّا فَلَمْ نَعْرِفْ لَكُمْ نَسَبَةً حَتَّى إِذَا قُلْتُ بَنِي الثَّانِيَةِ
قَالُوا وَدَعْ دَارًا عَلَى يَمْنَةٍ وَتِلْكَ هَادَارُهُمْ ثَانِيَةِ

فبلغت الأبيات مالكا ، فطلبه ، فهرب فأتى البصرة وعليها إسحاق بن العباس ابن محمد بن علي العباسي ، وكان قد بلغه هجاء دعبيل وعبد الله بن عيينة نزارا فأما ابن عيينة فإنه هرب منه فلم يظهر بالبصرة طول أيامه ، وأما دعبيل فإنه حين دخل البصرة بعث إليه فقبض عليه ، ودعا بالنظم والسيوف ليضرب عنقه فحلف

بالطلاق على جدها وبكل عين تُبْرِىء من الدم أنه لم يقلها ، وأن عدوًا له قالها - إما أبو سعد الخزومي أو غيره - ونسبها إليه ليفرى بدمه ، وجعل يتضرع إليه ، ويقبل الأرض ويبكي بين يديه فرقه ، فقال : أما إذا أعفيتك من القتل فلا بد أن أشورك ، ثم دعا له بالعصى فضربه حتى سلح ، وأمر به فألقى على ففاه وفتح فمه ، فرد سلحه فيه ، والمقارع تأخذ رجله ، وهو يحلف أن لا يكف عنه حتى يستوفيه ويبله أو يقتله ، فمارفت عنه حتى بلغ سلحه كله ، ثم خلاه فهرب إلى الأهواز ، وبعث مالك بن طوق رجلاً حصيفاً مداماً أعطاه سماً وأمره أن يقتله كيف شاء ، وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم ، فلم يزل يطلبه حتى وجده في قرية من نواحي السوس ، فاغتاله في وقت من الأوقات بعد صلاة العتمة ، فضرب ظهر قدمه بمكاز لها زج مسموم ، فمات من الغد ، ودفن بتلك القرية ، وقيل : بل حمل إلى السوس فدفن فيها .

وكانت ولادته في سنة ثمان وأربعين ومائة . ووفاته في سنة ست وأربعين ومائتين .

ولما مات - وكان صديق البحرى ، وكان أبو تمام قد مات قبله - رثاها البحرى بقوله [من الكامل] :

قد زاد في كلنى وأوقد لوعتى مثنوى حبيب يوم مات ودعبل
أخوى لا تزل السماء مخيلة تفشا كما بساء مزن مُسبل
جذب على الأهواز يبعد دونه مسرى النعى وربة بالموصل^(١)
ودعبل - بكسر الدال وسكون العين المهملتين وكسر الباء الموحدة .

(١) في الأصل « ورمسه بالموصل » محرفاً عما أثبتناه ، وانظر هذه الأبيات في هبة الأيام (٥٠) ، ثم انظرها في خمسة أبيات ، في أخبار أبي تمام (٢٧٤ - ٢٧٥) وفي الموازنة (٤٢) ولا توجد هذه الأبيات في ديوان البحرى .

١١٦ — ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والافلاس بالرجل شاهد للمقابلة البيت من البسيط ، ويُعزى لأبي ذؤلمة .

يحكى أن أبا جعفر المنصور سأل أبا ذؤلمة عن أشهر بيت قالته العرب في المقابلة ، فقال : بيت يلعب به الصبيان ، قال : وما هو على ذلك ؟ قال : قول الشاعر ، وأنشده البيت .

قال ابن أبي الأصبغ : لا خلاف في أنه لم يقل قبله مثله ، فانه قابل بين أحسن وأقبح ، والدين والكفر ، والدنيا والافلاس ، وهو من مقابلة ثلاثة بثلاثة وكلما كثر عدد المقابلة كانت أبلغ .

وأحسن من بيت أبي ذؤلمة قول المتنبي [من الطويل] :

فلا الجودُ يفتي المالَ والجدُّ مقبلٌ ولا البخلُ يبقى المالَ والجدُّ مدبرٌ

أمثلة من حسن
المقابلة

ومن المقابلة قول النابغة الحمدي [من الطويل] :

فتى تم فيه ما يسرُّ صديقَه على أن فيه ما يسوء الأعدايا

وقول الفرزدق [من الطويل] :

وإننا لنخفي بالأكف رماحنا إذا أُرغشت أيديكم بالمعاليق

وقول عبد الله بن الزبير الأسدي [من الوافر] :

فردَّ شعورهنَّ السودَ بيضاً ورَدَّ وُجوههنَّ البيضَ سوداً

وقول أبي تمام [من البسيط] :

يا أئمةً كان قبجُ الجورِ يسخطها دهرًا فأصبح حسنُ العدلِ يُرَضِّيها

وقول البحتري [من الخفيف] :

فاذا حاربوا أذلُّوا عزيزاً وإذا سالموا أعزُّوا ذليلاً

وقول يزيد بن محمد المهلب لسليمان بن وهب [من الطويل] :

فمن كان للأنام والذلِّ أرضه فأرضكم للأجر والعزِّ معقل

وقول العباس بن الأحنف [من السريع] :
 اليومُ مثلُ الحولِ حتى أرى وجهك الساعةُ كالشهرِ
 لأن الساعة من اليوم كالشهر من الحول جزء من اثني عشر .
 ولمؤلفه من أبيات [من السريع] :
 لو كان ذا الكاشع في بلدي لم يستطع يؤمضني ومضاً (١)
 وكنت في المرُساء له وكان لي من ظله أرضاً
 وحسن في المقابلة قول الشريف الموسوي [من البسيط] :
 ومنظري كان بالسرء يضحكي يقرب ما عاد بالضرء يبكيني
 وقول أبي عبد الله النواص [من البسيط] :
 جهل الرئيس وحق الله يضحكنا وفعله وإله الناس يُكينا
 وقول ابن خمس الخلافة [من الرمل] :
 طالت الشقوة للمرء إذا قصر الرزق وطال العمرُ
 وقول السري الرفاء [من مجزوء الرجز] :

وصاحب يقدح لي نار السرور بالقدح
 في روضة قد ليست من لؤلؤ الطل سبخ
 والجو في مُسك طرازه قوس قزح
 يبكي بلا حزن كما يضحك من غير فرح

وقوله وقد شرب ليلة في زورق [من الطويل] :
 ومضلي يسعي إلى بكأسه وقد كاد ضوه الصبح بالليل يفتك

(١) في مطبوعة بولاق « لو كان ذاك الكاشع » بزيادة الكاف التي
 تخطئ بها الوزن .

وقد حجب الغيم السماء كما
ظلمنا نبت* الوجد والكأس دائر*
ونهنك* أسرار الهوى* فتك*
وجلسنا في الماء يوى ويؤتقى
وإيرقنا في الكأس يسكى ويضحك
وقول التمام الحداد المصري [من المنسرح]:

أما ترى النبت كلما ضحكت
كللم الزهر في الرطب بكي
كلحب يسكى لديه عاشقه
وكلما فاض دمه ضحكا
وما أحسن قول الأراجاني وأرشفه [من مخلع البسيط]:

شبت أما والتحي حبيبي
حتى برغى سلوت عنه
وابيض ذاك السواد منى
واسود ذاك البياض منه

وما أصنى قول الصنى الحلى [من الطويل]:

مليج يغير النصف عند اهتزازهِ
ويجعل بدر التيم عند شروقهِ
فأفيه معنى ناقص غير خصر
ولأفيه شئ بارد غير ريق
وما أشرق قول الشمس التلساني [من الطويل]:

فكم يتجافى خصره وهو فاحل
وكم يتحالي ريقه وهو بارد
وكم يدعى صونا وهذى جفونه
بترتبا العاشقين تواعد
ومن مقابلة حمة بخمة قول المتنبي [من البسيط]:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي
وأنتى وبياض الصبح يفرى بي
وقد أخذهم بمضهم أخذاً مليحاً، فقال [من الكامل]:

أقل النهار إذا أضاء صباحه
وأظل أنتظر الظلام الغامس
فالصبح يشمت بي فيقبل ضاحكاً
والليل يرفى لي فيدبر عابسا
والمتنبي أخذ معنى بيته من مصراع بيت لابن المعتز، وهو قوله [من

البسيط]:

لَاتَلْقَ إِلَّا بَلِيلَ مَنْ تَوَاعَدُهُ فَالشمسُ نَمَامَةٌ وَاللَّيْلُ قَوَادُ
إِلَّا أَنْ ابْنَ الْمُعْتَرَجِينَ هَذَا الْمَعْنَى بِذِكْرِ نَمَامَةِ وَقَوَادٍ ، وَأَبُو الطَّيِّبِ سَبَّكَ
أَحْسَنَ سَبْكَ وَأَبْدَعَهُ ، فَصَارَ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَيْسٍ مِنْ شُعْرَاءِ الْغَارِبَةِ [مِنْ الْكَامِلِ] :
بَاتَتْ لَهُ الْأَهْوَاءُ أَدَمَّ سَابِقًا وَغَدَتْ بِهَا الْأَيَّامُ أَشْهَبَ كَابِي
فَأَحْسَنَ مَا شَاءَ ، لِمُقَابَلَتِهِ الْأَدَمَّ بِالْأَشْهَبِ ، وَالسَّابِقَ بِالْكَابِي ، عَلَى أَنَّهُ
مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْخِصَالِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
[مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَقَدْ كُنْتُ أَسْرَى فِي الظَّلَامِ بِأَدَمٍ فَهَا أَنَا أَغْدُو فِي الصَّبَاحِ بِأَشْهَبِ
وَفِي بَيْتٍ كُلٍّ مِنْهُمَا زِيَادَةٌ عَلَى الْآخَرِ .
وَمِنْ مُقَابَلَةِ سِتَّةِ بَسْتَةٍ مَا أَوْرَدَهُ الصَّاحِبُ شَرَفَ الدِّينِ مُسْتَوْفَى إِرْبِلَ ، وَهُوَ
[مِنْ الطَّوِيلِ] :

عَلَى رَأْسِ عَبْدِ تَاجٍ عَزِيْزِيْنُهُ وَفِي رِجْلِ حَرٍّ قِيدُ ذُلِّ يَشِيْنُهُ
حَكِي غَرَسَ الدِّينَ الْأَرْبِلِيَّ ، أَنَّ الصَّاحِبَ الْمَذْكُورَ لَمَّا أَنْشَدَ لِفَعْلِهِ هَذَا
الْبَيْتَ ، قَالَ هُوَ بِدِيهَا [مِنْ الطَّوِيلِ] :

تَسْرُلُنَا مَكْرَمَاتُ تَزِيْنُهُ وَتَبْكِي كَرِيْمًا حَدَثَاتُ تَهْنِيْنُهُ
وَمِنْ مُقَابَلَةِ خَمْسَةِ بِخَمْسَةِ قَوْلِ الْقَائِلِ فِي ذِي ابْنَةِ [مِنْ الْكَامِلِ] :
يَأْتِي إِلَى الْأَحْرَارِ يَجْلِسُ فَوْقَهُمْ وَيَنَامُ مِنْ تَحْتِ الْعَبِيدِ وَيُوقِي
وَمِنْ مُقَابَلَةِ خَمْسَةِ بِخَمْسَةِ قَوْلِ النَّمِيرِيِّ الْفَرْنَاطِيِّ [مِنْ الْكَامِلِ] :

هَنَ الْبَدْوَرُ تَغَيَّرَتْ لَمَّا رَأَتْ شَعْرَاتِ رَأْسِي آذَنْتُ بِتَغْيِيرِ
رَأَحَتْ نَحْبُ دُجَى شَبَابٍ مَظْلَمٍ وَغَدَتْ تَعَاْفَضِي مَشِيْبٍ نَغِيرِ

وأبو دلامة^(١) اسمه زناد بن الجون ، وأكثر الناس يصحف اسمه ، ويقول : ترجمة أبي دلامة زيد بالياء التحتية ، وهو خطأ ، وإنما هو بالنون ، وهو كوفي أسود ، مولى لبني أسد ، وكان أبو دلامة عبداً لرجلٍ منهم ، يقال له : قضاقض^(٢) ، فأعتقه وأدرك آخر أيام بني أمية ، ولم يكن له فيها نباهة ، ونبت في أيام بني العباس ، فاقطع إلى السفاح والمنصور والمهدى ، وكانوا يقدّمونه ويفضّلونه ويستطيّبون مجالسته ونوادره ، ولم يصل لأجد من الشعراء ما وصل لأبي دلامة من المنصور خاصة . وكان أبو دلامة فاسد الدين رذىء المذهب ، مرتكباً للمحارم مجاهرأً بذلك . وكان يعلم هذا منه ويعرف به فيتجافى عنه للطف محله . وكان أول ما حفظ من شعره وأُسْنِيت له الجائزة به قصيدة مدح بها أبا جعفر المنصور ، وذكر قتله أبا مسلم ، وفيها يقول [من الطويل] :

أبا مسلم خوّفتني القتلَ فانتَحَى عليكَ بماخوفتنى الأسدُ الورْدُ

أبا مسلم ما غير اللهُ نعمةً على عبده حتى يغيرها العبدُ

وأنشدها المنصور في محفل من الناس ، فقال له : احتكم ؟ فقال له : عشرة آلاف درهم . فأمر له بها . فلما خلا به قال له : أما والله لو تمديتها لقتلتك . وكان المنصور قد أمر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعّم بعيدان من داخلها ، وأن يلقوا السيوف في المناطق ، ويكتبوا على ظهورهم (فسيفكفيكم الله وهو السميع العليم) فدخل عليه أبو دلامة في هذا الزي ، فقال له أبو جعفر : ما حالك ؟ قال : شرّ حال ، وجهي في وسطى ، وسنّي في اسنّي ، وقد صبغت بالسواد ثيابي ، ونبتت كتاب الله وراء ظهري ، فضحك منه وأعانه ، وحضره من ذلك ، وقال له : إياك أن يسمع منك هذا أحد ، وفي ذلك يقول أبو دلامة

(١) نجد ترجمة أبي دلامة في الأغاني (٩ - ١٢٠)

(٢) في الأغاني « فضاقض » بفاءين

[من الطويل]:

وكنا نرجى منحةً من إمامنا فجاءت بطول زاده في القلانس
 تراها على هام الرجال كأنها دنان يهود جملت بالبرانس
 وحدث الجاحظ ، قال : كان أبو دلامة واقفاً بين يدي المنصور — أو
 السفاح — فقال له : سئني حاجتك . قال أبو دلامة : كلب صيد . قال : أعطوه
 إياه . قال : ودابة أتصيد عليها . قال : أعطوه . قال : وغلام يقود الكلب .
 قال : أعطوه غلاماً . قال : وجارية تصلح لنا الصيد وتضعنا منه . قال : أعطوه
 جارية . قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال فلا بد من دار يسكنونها . قال :
 أعطوه داراً تجمعهم . قال : وإن لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون ؟ قال :
 قد أقطعتك مائة جريب عامرة ، ومائة جريب غامرة . قال : وما الغامرة ؟ قال :
 مالا نبات فيه من الأرض . قال : قد أقطعتك يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف
 جريب غامرة من فيا في بني أسد ، فضحك وقال : اجعلوا المسائتين كلها عامرة .
 قال : فأذن لي أن أقبل يدك . قال : أما هذه فدعها فاني لا أفعل . قال : والله
 مامنت عيالي شيئاً أقل ضرراً عليهم منها ١ .

قال الجاحظ : فانظر إلى حذقه بالسألة ولطفه فيها ، حيث ابتدأ بكلمة
 فسهل القضية ، وجعل يأتي بما يليه على ترتيب فكاهة ، حتى نال ما لو سأله
 بديهة لما وصل إليه .

وحدث الهيثم بن عدي قال : دخل أبو دلامة على المنصور ، فأشده قصيدته
 التي أولها [من البسيط]

إن الخليط أجد البين فانتجعوا وزودوك خيالاً ، بش ماضعوا ٢

(١) في الأصل «بأن الخليط أجد البين» وما أثبتناه موافق لما في الأغاني

إلى أن قال فيها يهجر زوجته :

لَا وَالَّذِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَضَىٰ لَكَ الْخِلَافَةَ فِي أَسْبَابِهَا الرُّعُ
مَازَلْتُ أَخْلَصُهَا كَسْبِي فَتَأْكُلُهُ دُونِي وَدُونِ عِيَالِي ثُمَّ تَضْطَجِعُ
شَوْهَاهُ مَشْنِيَّةً فِي بَطْنِهَا بِحُجْرٍ وَفِي الْمَفَاصِلِ مِنْ أَوْصَالِهَا فَدَعُ (١)
ذَكَرْتَهَا بِكِتَابِ اللَّهِ حَرَمْتَهَا وَلَمْ تَكُنْ بِكِتَابِ اللَّهِ تَرْتَدُّعُ (٢)
فَاخِرَ نَظْمَتِي ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ مَغْضَبَةٌ أَنْتَ تَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ يَا لِكَيْفِ (٣)
أَخْرَجَ لَتَبِغَ لَنَا مَالًا وَمِزْرَعَةً كَمَا لَجِيرَانُنَا مَالٌ وَمِزْرَعُ
وَإِخْدَعُ خَلِيفَتُنَا عَنَّا بِمَسْأَلَةٍ إِنْ الْخَلِيفَةُ لِلسُّؤَالِ يَنْخَدَعُ

فضحك المنصور ، وقال : أرضوها عنه ، وإا كتبوا لها ستمائة جريب عامرة
وغامرة ، فقال : أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب عامرة فيما بين
الحيرة والنجف ؛ وإن شئت زدتك ، فضحك وقال : اجعلوها كلها عامرة .
وشهد أبو دلالة لجارة له عند ابن أبي ليلى القاضي ، على أنان نازعها فيه
رجلٌ ، فلما فرغ من الشهادة قال لابن أبي ليلى : اسمع ما قلت قبل أن آتيك ،
ثم اقض بما شئت قال هات : فأشده [من الطويل] :

إِنَّ النَّاسَ غَطَوْنِي تَغَطَّيْتُ عَنْهُمْ وَإِنْ يَحْشُرُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحِثُ
وَإِنْ حَفَرُوا بَنَى حَفَرْتُ بِئَارَهُمْ لِيَعْلَمَ يَوْمًا كَيْفَ تِلْكَ النَّبَائِثُ (٤)

(١) في مطبوعة بولاق « في بطنها يحل » وفي الأغاني « في بطنها يحل »
وكلاهما تحريف ما أثبتناه ، والبحر - بفتحيتين - أن يعظم البطن ، وتخرج
السرة ويغلف أصلها .

(٢) في الأغاني * ولم تكن بكتاب الله تنفع *

ولكل منهما معنى صحيح

(٣) آخر نظمت : غضبت

(٤) النبائت : جمع نبيثة ، وهي تراب البئر أو النهر أو ما حول أحدهما
من التراب .

فأقبل القاضي على المرأة ، وقال : أتبيعيني الآن ؟ قالت : نعم ، قال : بكم ؟
 قالت : بمائة درهم ، قال : ادفعوها إليها ، ففعلوا ، وأقبل على الرجل فقال : قد
 وهبتها لك . وقال لأبي دلامة : قد أمضيت شهادتك ولم أبحث عنك وابنت
 ممن شهدت له وهبت ملكي لمن رأيت ، أرضيت ؟ قال : نعم ، وانصرف .
 ودخل أبو عطاء السبدي يوما إلى أبي دلامة ، فاحتبسه ، ودعا بطعام
 وشراب فأكلا وشربا ، وخرجت إلى أبي دلامة صبية له ، فحملها على كتفه ،
 فبالت عليه ، فنبذها عن كتفه ، ثم قال [من الوافر] :

بَلَّتْ عَلَى لَأُحْيِيَّتِ نَوْبِي فَبَالَ عَلَيْكَ شَيْطَانُ رَجِيمٍ^(١)
 فَأَوَلَدَتْكَ مَرْيَمُ أُمُّ عِيسَى وَلَا رَبَّكَ لَتَهَانُ الْحَكِيمُ

ثم التفت إلى أبي عطاء فقال له : أجز يا أبا عطاء ، فقال [من الوافر] :

صَدَقْتَ أَبَادِلَامَةَ لَمْ تَلْهَا مُطَهَّرَةٌ وَلَا فَحْلٌ كَرِيمُ
 وَلَكِنْ قَدْ حَوَّهَا أُمُّ سَوْءٍ إِلَى لَبَاتِهَا ، وَأَبُ لَتِيمُ

فقال له أبو دلامة : عليك لعنة الله ! ما حلك على أن بلغت بي هذا كله ؟ والله
 لا أنازعك بيت شعر أبدا ، فقال له أبو عطاء : يكون الذي من جهتك أحب إلى
 ثم غدا أبو دلامة إلى المنصور فأخبره بقصة ابنته ، وأنشده الأبيات ، ثم اندفع
 فأنشده بعدها [من البسيط] :

لَوْ كَانَ يَمُدُّ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ أَتَيْلَ اقْعُدُوا يَا آلَ عَبَّاسٍ
 ثُمَّ ارْتَقُوا فِي شَمْعِ الشَّمْسِ كُلُّكُمْ إِلَى السَّمَاءِ فَانْتُمْ أَكْرَمُ النَّاسِ^(٢)
 وَقَدَّمُوا الْقَائِمَ الْمَنْصُورَ رَأْسَكُمْ فَالْمَيْنُ وَالْأَنْفُ وَالْأَذْنَانِ فِي الرَّاسِ

فاستحسنها ، وقال : بأى شيء تحب أن أعينك على قبح ابنتك هذه ؟

(١) في مطبوعة بولاق * بللت على نوبى لاحتيت *

(٢) في الأغاني « فأنتم أطهر الناس »

فأخرج خريطة قد خاطها من الليل ، وقال : تملأ لي هذه دراهم ، فوسعت أربعة آلاف درهم

ولما توفي أبو العباس السفاح دخل أبو دلالة على المنصور والناس يُعزّونه فأنشأ أبو دلالة يقول :

أُمِيتَ بِالْأَنْبَارِ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ لَمْ تَسْتَطِعْ عَنْ عَقْرِهَا تَحْوِيلًا^(١)
وَيْلَى عَلَيْكَ وَوَيْلَ أَهْلِ كُلِّهِمْ وَيلاً وَعَوَلاً فِي الْحَيَاةِ طَوِيلًا
فَلْتَبْكِينَ لَكَ السَّمَاءُ بِعَبْرَةٍ وَلْتَبْكِينَ لَكَ الرِّجَالُ عَوِيلًا^(٢)
مَاتَ النَّدَى إِذْ مَتَ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ فَجَعَلْتَهُ لَكَ فِي التُّرَابِ عَدِيلًا
إِنِّي سَأَلْتُ النَّاسَ بَعْدَكَ كُلَّهُمْ فَوَجَدْتُ أَسْمَحَ مَنْ سَأَلْتُ بُخِيلًا
أَلْشَقَوْنِي أُخَرْتُ بَعْدَكَ لَتِي تَدْعُ الْعَزِيزَ مِنَ الرِّجَالِ ذَلِيلًا
فَلَا حُلْفَيْنَّ يَمِينَ حَقِّي بَرَةً بِاللَّهِ مَا أُعْطِيتُ بَعْدَكَ سَوِيلًا

فأبكى الناس قوله ، وغضب المنصور غضباً شديداً وقال : لئن سمعتك تنشده هذه القصيدة لأقطعن لسانك ، فقال أبو دلالة : يا أمير المؤمنين ، إن أبا العباس كان لي مكرماً ، وهو الذي جاءني من البدو كما جاء الله عز وجل بإخوة يوسف عليه السلام إليه ، فقل أنت كما قال يوسف (لا تريبَ عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) فسرّني عن المنصور ، وقال : قد أفلنك يا أبا دلالة فسل حاجتك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد كان أبو العباس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين نوباً

(١) في مطبوعة بولاق

* لم تستطع عن غيرها تحويلاً *

وليس بشئ ، وأثبتنا ما في الأغاني

(٢) في الأغاني * فلتبكين لك النساء بهيرة *

وهو أتم لمقابلته بالرجال في عجز البيت

وهو مريض ولم أقبضها ، فقال المنصور: ومن يعلم ذلك ؟ قال: هؤلاء ، وأشار إلى جماعة ممن حضر ، فوثب سليمان بن مجالد وأبو الجهم فقالا : صدق يا أمير المؤمنين فنحن نعلم ذلك ، فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مغيب : [يا سليمان ^(١)] ادفع إليه وسيرته إلى هذا الطاغية ^(٢) ، يعني عمه الله بن علي ، وكان قد خرج بناحية الشام وأظهر الخلاف ، فوثب أبو دلالة فقال : يا أمير المؤمنين ، أعينك بالله أن أخرج معهم فإني والله لشؤم ، فقال له المنصور : امض فإن يُمنني يغلب شؤمك فاخرج ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أحبُّ لك أن تجرب ذلك مني على مثل هذا العسكر فإني لأدري أيهما يغلب يُمنك أو شؤي إلا أني بنفسى أدري وأوقت وأعرف وأطول تجربة ، فقال : دعني من هذا فإلك من الخروج به ، قال : فإني أصدقك الآن ، شهدت والله تسعة عشر عسكرا أكلها هزمت وكنت سببها ، فإن شئت الآن على بصيرة أن يكون عسكرك العشرين فافعل ، فاستفرغ ^(٣) المنصور ضحكا ، وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة

وحدث أبو دلالة قال : أتى بي إلى المنصور أو إلى المهدي وأنا سكران ، فحلف ليخرجني في بَئْسَ حرب ، فأخرجني مع روح بن عدى بن حاتم ^(٤) المهلبى لقتال الشُّراء ، فلما التقى الجمعان قلت لروح : أما والله لو أن تحتى فرسك وهدى سلاحك لأفرت في عدوك اليوم أثراً ترتضيه منى ، فضحك وقال : والله العظيم لأدفعن ذلك إليك ولأخذنك بالوفاء بشرطك ، ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إلى ودعا له بغيرهما فاستبدل به ، فلما حصل ذلك في يدي و زالت عنى حلاوة الطمع ^(٥)

(١) زيادة عن الأغاني

(٢) في مطبوعة بولاق « هذه الطاغية » وأثبتنا ما في الأغاني

(٣) في الأغاني « فاستغرب »

(٤) في الأغاني « روح بن حاتم المهلبى » بإسقاط عدى

(٥) في مطبوعة بولاق « وزالت عنه حلاوة الطمع » محرفا ، وما أثبتناه

موافق لما في الأغاني

قلت له : أيها الأمير ، هذا مقام العائذ بك ، وقد قلت بيتين فاسمعهما ، فقال :
هات ، فأنشدته [من الكامل] :

إِنِّي اسْتَجَرْتُكَ أَنْ أَقْدَمَ فِي الْوَعَى لِنَطَاعُنِي وَتَنَازُلِ وَخِرَابِ
فَقَبِ السُّيُوفِ رَأَيْتُهَا مَشْمُورَةً فَتَرَكْتُهَا وَمَضَيْتُ فِي الْهَرَابِ
مَاذَا تَقُولُ لِمَا يَجِبِي وَلَا يُرَى مِنْ وَارِدَاتِ الْمَوْتِ فِي النِّشَابِ^(١)

فقال : دع عنك هذا وستعلم ، فبرز رجل من الخوارج يطلب المبارزة ،
فقال : اخرج إليه يا أبا دلامة ، فقلت : أنشدك الله أيها الأمير في دمي ، فقال :
والله لتخرجن ، قلت : أيها الأمير إنه أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا
وأنا والله جائع ماتنبعث مني جارحة من الجوع فرلى بشيء آكله ثم أخرج ، فأمرلى
برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت من الصف ، فلما رأى الشاري أقبل
فحوى وعليه فرو قد أصابه المطر فابتل وأصابته الشمس فافعل وعيناه تقيدان ،
فأسرع إلى ، فقلت : على رسلك يا هذا كما أنت ، فوقف ، فقلت : أقتل من
لا يقاتلك ؟ قال : لا ، قلت : أفتستحل أن تقتل رجلا على دينك ؟ قال : لا ،
قلت : أفتستحل ذلك قبل أن تدعو من يقاتلك إلى دينك ؟ قال : لا فاذهب
عني إلى لعنة الله ، فقلت : لا أفعل أو تسمع مني ، قال : قل ، قلت : هل كان
بيننا عداوة قط أوترة أو تعلم بين أهلي وأهلك وترا ؟ قال : لا والله ، قلت :
ولا أنا والله لك إلا على جميل ، وإني لأهواك وأنتحل مذهبك وأدين بدينك

(١) روى هذا البيت في الأغاني

ماذا تقول لما يجبي وما يرى من واردات الموت في النشاب
ووقع في مطبوعة بولاق

ماذا تقول لمن يجبي ولا يرى لما درأت الموت في النشاب
وأثبتناه كما ترى

وأريد الشر لمن أرادك له ، قال : يا هذا جزاك الله خيراً فانصرف ، قلت : إن
معي زاداً وأريد أن آكله وأريد مواكلك لتنا كد المودة بيننا ونرى أهل
المسكرين هوأناهم علينا ، قال : فافعل ، فتقدمت إليه حتى اختلفت أعناق
دوابنا وجعنا أرجلنا على موارفها وجعلنا نأكل ، والناس قد غلبوا ضحكاً ، فلما
استوفينا ودّعني ، ثم قلت له : إن هذا الجاهل إن أقمت على طلب المبارزة تدبني
لك فتتعب وتتعبني ، فان رأيت أن لا تبرز اليوم فافعل ، قال : تدملت ، ثم انصرف
وانصرف ، فقلت لروح : أما أنا فقد كفتك قرني فقل انصبري يكفك قرنه ،
قال : ثم خرج آخر يريد البراز ، فقال : اخرج إليه ، فقلت [من البسيط] :
إني أعوذ بروح أن يُقدمني إلى القتال فتخزي بي بنو أسد
إن البراز إلى القرآن أعلمه مما يفرق بين الروح والجسد
قد حالفك المنأيا إذ صمدت لها وأصبحت لجميع الخلق بالرصد
إن المهلب حب الموت أوزنكم وماوردت اختيار الموت عن أحد
لو أن لي مهجة أخرى لجدت بها لكتها خلقت فرداً فلم أجسد
فضحك وأعفاني

وعزم موسى بن داود على الحج فقال لأبي دلالة : احجج معي ولك عشرة
آلاف درهم ، فقال : هاتها ، فدفعت إليه ، فأخذها وهرب إلى السواد فجعل
ينفقها هناك ويشرب الخمر ، وطلبه موسى فلم يقدر عليه ، وخشى فوات الحج ،
فخرج فلما شارف القادسية إذا هو بأبي دلالة^(١) خارجاً من قرية إلى قرية أخرى
وهو سكران ، فأمر بأخذه وتقييده وطرحه في الحمل بين يديه ، ففعل به ذلك ،
فلما سار غير بعيد أقبل أبودلالة على موسى وناداه بقوله [من البسيط] :

(١) في مطبوعة بولاق « فاذا هو بأبي دلالة » وحذفنا انشاءً وفاقالما
في الأغاني .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا أَتَجْمَعِينَ مَعَا
 كَانَ دِيَابِجِي خَذِيهِ مَنْ ذَهَبَ
 إِنِّي أَعُودُ بِدَاوُدَ وَأَعْظُمُهُ
 أَنْتِثُ أَنْ طَرِيقَ الْحِجِّ مَعْطِشَةٌ
 مِنَ الشَّرَابِ وَمَا شَرِبِي بِتَصْرِيدٍ^(١)
 وَاللَّهِ مَا فِي مَنْ أَجِرٍ فَتَطْلُبُهُ
 وَلَا النَّسَاءَ عَلَى دِينِي بِمَحْمُودٍ
 فَقَالَ مُوسَى : أَلْقُوهُ لَعْنَهُ اللَّهُ عَنِ الْحِمْلِ وَدَعُوهُ^(٢) ، فَأَلْقَى وَعَادَ إِلَى
 قَصْفِهِ بِالسَّوَادِ حَتَّى نَفَدَتِ الْعَشْرَةُ آلَافٍ^(٣) .

ودخل أبو دلالة يوما على المنصور فأنشده [من الوافر] :
 رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ كَسَوْتَ جِلْدِي ثِيَابًا جَمَّةً وَقَضَيْتَ دِينِي
 وَكَانَ بِنَفْسِي الْخَرْزُ فِيهَا وَسَاجٌ نَاعِمٌ فَأَتَمُّ زِينِي
 فَصَدَّقْ يَا فِدَّتَكَ النَّفْسُ رُؤْيَا رَأَيْتُهَا فِي الْمَنَامِ كَذَلِكَ عَيْنِي
 فَأَمْرٌ بِذَلِكَ ، وَقَالَ : لَا عُدْتُ تَحْلُمُ عَلَى ثَانِيَةِ فَأَجْعَلْ حَلْمَكَ أَضْعَافًا وَلَا أَحْقَهُ
 ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَمَضَى فَنَشَرَبَ فِي بَعْضِ الْحَانَاتِ فَسَكَرَ وَانصَرَفَ وَهُوَ عَمَلُ فَالْقِيهِ
 الْعَسَسُ فَأَخَذَ قَبِيلَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ وَمَا دِينُكَ ؟ فَقَالَ [من الرجز] :
 دِينِي عَلَى دِينِ بَنِي الْعَبَّاسِ مَاخِمْ الطَّيْنُ عَلَى الْقَرْطَاسِ^(٤)
 إِذَا اصْطَبَحْتَ أَرْبَعًا بِالْكَاسِ فَقَدْ أَدَارَ شُرْبُهَا بِرَاسِي
 فَهَلْ بَمَا قُلْتُ لَكُمْ مِنْ بَاسٍ ؟

- (١) في مطبوعة بولاق «عن أن أكلف» وما أثبتناه موافق لما في الأغاني
 (٢) في الأغاني «خبرت أن طريق الحج»
 (٣) في مطبوعة بولاق «ودعوه فينصرف» وحذفنا الناء وفاقا لما في الأغاني
 (٤) الصواب عربية أن يقول «عشرة الآلاف» والكوفيون يحذفون
 «العشرة الآلاف» فأما ما في الأصل فخطأ
 (٥) في مطبوعة بولاق «فاختم الطين» محرفا ، وما أثبتناه موافق لما
 في الأغاني ، وأراد بقوله «ماختم الطين - الخ» معنى الدوام

فأخذوه ومضوا به فخرقوا أثوابه وساجه، وأتوا به إلى المنصور، وكان يؤتى بكل من أخذه المس، فحبسه مع الدجاج في بيت، فلما أفاق جعل ينادى غلامه مرة وجاريته مرة فلا يجيبه أحد، وهو مع ذلك يسمع صوت الدجاج وزقاة الديكة، فلما أكثر قال له السجان: ما شأنك؟ قال: ويلك! من أنت؟ وأين أنا؟ قال بنى الحبس، وأنا فلان السجان، قال: ومن حبسني؟ قال: أمير المؤمنين. قال: ومن خرقَ طيلسائي؟ قال: الحرس، فطلب منه أن يأتيه بدواة وقرطاس، ففعل، فكتب إلى المنصور [من الوافر]:

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدَتَكَ نَفْسِي تَحْلِمَ حَبْسَتِي وَخَرَقْتَ سَاجِي
أَمِنْ صَهْبَاءَ صَافِيَةِ الْمَزَاجِ كَأَنَّ شُمَاعَهَا لَهْبُ الْمُرَاجِ
وَقَدْ طَبَخْتُ بِنَارِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا بَرَزْتَ تَرَفَّرُ فِي الزَّجَاجِ
تَبَشُّ لَهَا الْقُلُوبُ وَتَشْتَبِيهَا كَأَنِّي بَعْضُ عَمَالِ الْخُرَاجِ
أَقَادَ إِلَى السَّجُونِ بِغَيْرِ جُرْمٍ وَلَكِنِّي حُبِسْتُ مَعَ الدَّجَاجِ
وَلَوْ مَعَهُمْ حُبِسْتُ لَكَانَ سَهْلًا بَأْتِي مِنْ عِقَابِكَ غَيْرُ تَاجِدِ
وَقَدْ كَانَتْ تَخْبِرُنِي ذُنُوبِي عَلَى أَنِّي وَإِنْ لَأَقَيْتُ شَرًّا
لَخَيْرِكَ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ رَاجِي

فصاح به، وقال له: أين حبست يا أبا دلامة؟ فقال: مع الدجاج، قال: فما كنت تصنع؟ قال: أفوق، معهم حتى أصبحت، فضحك وخلي سبيله، وأمر له بجائزة. فلما خرج قال له الربيع: إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين، أما سمعت قوله: * وقد طبخت بنار الله * يعني الشمس، فأمر برده. ثم قال له: يا خبيث، شربت الخمر؟ قال: لا. قال: أفلم تقل: * طبخت بنار الله * تعنى الشمس. قال: لا، والله ما عنيت إلا نار الله المؤصدة التي تطلع على فؤاد الربيع، فضحك وقال: خذها يا ربيع، ولا تعاود التعرض له.

ولما قدم المهدي من الرّي، دخل عليه أبو دلامة، فأنشأ يقول [من الكامل] :

إني نذرتُ لئن لقيتُكَ سالماً يقرّى العِراقُ وأنتَ ذو وفرة
لتصليتنَّ على النبيِّ محمّدٍ ولتملأنَّ دُرَاهِمًا حجري

فقال : صلى الله على النبي محمد وسلم ، وأما الدرّاهم فلا ، فقال له : أنت أكرم من أن تفرق بينها ، ثم تختار أسهلها ، فضحك ، وأمر بأن يملأ حجره دراهم .

ودخل أبو دلامة على أم سلمة زوج السّفاح بعد موته ، فعزاها به وبكى ، فبكت معه ، فقالت أم سلمة : لم أجد أحداً أصيب به غيري وغيرك يا أبا دلامة قال : ولا سواء^(١) يرحمك الله ! لك منه ولد ، وما ولدت أنامته قط ، فضحكت ، ولم تكن ضحكت منذ مات السّفاح إلا ذاك الوقت ، وقالت له : لو حدثتُ الشيطان لأضحكته .

ودخل يوما على المهدي ، وهو يبكي ، فقال له : مالك ؟ قال : ماتت أم دلامة ، وأنشد لنفسه فيها [من الطويل] :

وكنا كزوج من قطعاً في مفارقةٍ لدى خَفَضِ عيشٍ موني نافرٍ رعدٍ
فأفردتني ريب الزمان بصرفه ولم أر شيئاً قطُّ أوحش من فردٍ

فأمر له بطيب وثياب ودنانير ، وخرج ، فنخلت أم دلامة على الخيزران وأعلمتها أن أبا دلامة قديمات ، فأعطتها مثل ذلك ، وخرجت . فلما التقى المهدي والخيزران عرفا حيلتهما ، فجهلا يضحكان لذلك ويمعجان منه .

(١) في مطبوعة بولاق «ولاسواي يرحمك الله» محرفاً وما أثبتناه موافق لما في الأغاني

وحدث المزيقي قال : دخل أبو دلامة على المهدي وعنده جماعة من بني هاشم
فقال المهدي له : أنت غرض الله تعالى عهداً ، لأن لم تهج واحداً ممن في البيت
لأضرار عنقك ، فنظر إليه القوم ، وغمزوه بأن عليهم رضاه . قال أبو دلامة :
[قصت (١)] أتى وقت ، وأنها عزمة من عزماته ، ولا بد منها ، فلم أر أحداً
أحق بالهجرة مني ، ولا أدعى إلى السلامة من هجائي نفسي ، فقلت :
[من أوافر] :

إلا أبلغ لذيكَ أبا دلامة فليس من الكرام ولا كرامه
إذا لبس العمامة قلت قرداً وخزيراً إذا وضع العمامة (٢)
جمعت دمامةً وجمعت لؤماً كذاك اللؤم تتبعه الدمامة
فإن تك قد أصبت نعيم دُنْيا فلا تفرح فقد دنت القيامة
فضحك القوم ، ولم يبق منهم أحد إلا أجازه .

وخرج المهدي وعلى بن سليمان إلى الصيد . فسبح لهما قطع من ظباء ،
فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل ، فرمى المهدي سهماً فصرع ظبياً ، ورمى
على بن سليمان فأصاب كلباً فقتله ، فقال في ذلك أبو دلامة [من مجزوه الرمل] :

قد رمى المهدي ظبياً شك بالسهم فواده
وعلى بن سليمان رمى كلباً فصاده
فهنيئاً لهما كل امرئ يأكل زاده

فضحك المهدي حتى كاد يسقط عن سرجه ، وقال : صدق والله أبو دلامة
وأمر له بمجازة . ولقب على بن سليمان بصائد الكلب ، فعلق به .

(١) زيادة عن الأغاني

(٢) في الأغاني « كان قرداً وخزيراً إذا »

وتوفيت حمادة بنت عيسى ، وحضر المنصور جنازتها . فلما وقف هل
حضرها قال لأبي دلالة : ما أعددت لهذه الحفرة ؟ قال : بنت عمك يا أبا المؤمنين
حمادة بنت عيسى ، يُجاء بها الساعة فتدفن فيها ، فضحك المنصور حتى غلب
وستر وجهه .

وحدث الهيثم بن عدي قال : حجت الخيزران ، فلما خرجت صاح أبو دلالة :
جعلني الله فداك ! الله الله في أمري ، فقالت : مَنْ هذا ؟ قالوا : أبو دلالة ، قالت :
اسألوه ما أمره . قال : أدنوني من محلها ، فأدنى ، فقال : أيتها السيدة ، إني شيخ
كبير وأجرك في عظيم . قالت : فه ؟ قال : تهين لي جارية من حواريك تونسني
وترفق بي وتريحني من عجز عندي قد أكلت رفدي ، وأطالت كدي ، فقد
عاف جلدي جلدها ، وتميت بُدْها ، وتشوقت فَقْدَها . فضحكت ، وقالت :
سوف آمر لك بما سألت ، فلما رجعت تلقاها وأذكرها وخرج معها إلى بغداد
وأقام حتى سَم ، ثم دخل على عبيدة حاضنة موسى وهارون ، فدفع إليها رقعة قد
كتبها إلى الخيزران فيها [من مجزوء الرمل] .

أبلى سيدتي بالله يا أم عبيدة
أنها أرشدَها الله وإن كانت رشيده
وعدتني قبل أن نخ رج للحج وليده
فتأتيت وأرسلت بعشرين قصيده
كلما أخلقنَ أخلفت لها أخرى جديده
ليس في بيتي لتمهيد فراشي من قعيده
غير عجفاء عجز ساقها مثل القديده
وجها أقيح من حوت طري في عصيده
ما حياتي مع أثني مثل عرس يسعيده

فما قرئت عليها الأبيات ضحك ، واستمدت قوله : * وجهي تقيح من حوت إلى آخره * وجمعت تضحك ، ودعت بجارية من جواربها فائقة . فقلت لها : خذي كل مالك في قصري ، ففعلت ، ثم دعت بخادم وقالت له : سلها إلى أبي دلالة . فانطلق الخدم بها فله يصبه في منزله . فقل لامرأته : إذا رجع فادفئها إليه وقولي له : تقول لك السيدة أحسن صحبة هذه الجارية فقد آثرتك بها . فقلت له : نعم . فلما خرج دخل إليها ابنه دلالة فوجد أمه تبكي ، فسالها عن خبرها فأخبرته وقالت : إن أردت أن تبرئ يوما من الدهر فاليوم ، قال قولي : ماشئت فافعلي ، قالت : تدخل عليها فتقطعها أنك مالكها فتطوؤها وتحرمها عليه ، وإلا ذهبت بقله وجفائي وجفائك ، ففعل ودخل على الجارية فوطئها وواقها فذك منه وخرج ثم دخل أبو دلالة فقال لامرأته : أين الجارية ؟ فقالت : في ذلك البيت فدخل إليها شيخ محلم ذاهب فده يده إليها وذهب ليقبلها ، فقالت له : مالك ويك تنح عني وإلا لطمتك لطمه دقت بها أنفك . فقال : أي هذا أوصتك السيدة ؟ فقالت : إنها بعثت بي إلى فتى من حاله وهيئته كيت وكيت ، وقد كن عندي آنفا ونال مني حاجته ، فلم أنه قد دهي من أم دلالة وابنها ، فخرج إلى دلالة فلفطه وتلبب به وحلف أنه لا يفارقه إلى المهدي ، ففرض به متلببا حتى وقف على باب المهدي . فصرف خبره وأنه قد جاء إبنة على تلك الحالة ، فأمر بإدخاله فلما دخل قال له : مالك ويك ؟ قال : عمل هذا الخبيث ابن الخبيثة ما لم يعمل ولد بآبائه ولا يرضيني إلا أن قتله . فقال : مالك ! فما فعل بك ؟ فأخبره الخبر . فضحك حتى استلقى على فئاه ثم جلس . فقال له أبو دلالة : أعجبك فعله فتضحك منه ؟ فقال على بالسيف والنطم . فقال له دلالة : قد سمعت قوله يا أمير المؤمنين فاسمع حجتي ، قال : هات . قال : هذا الشيخ أصفى الناس وجهاً ، وهو ينيك أي منذ أربعين ما غضبت نكت أما جاريته مرة واحدة فغضب وصنع بي ما ترى ، فضحك المهدي أشد من ضحكه الأول . ثم قال : دعها له وأنا أعطيك خيرا منها . قال : على أن

تجباها الى بين النساء والارض وإلا ناكها والله كما ناك هنه، فتهد المهدى إلى أبي دلالة أن لا يعاود دلالة مثل فعله ، وحلف أنه إن غود قتله ، وأمر له بجزية أخرى كما وعدته .

ودخل أبو دلالة على المهدى وسلمة الوصيف واقف ، فقال : إني قد أهديت لك يا أمير المؤمنين ميرا ليس لأحد مثله ، فإن رأيت أن تشرقني بقبوله ، فأمر بإدخاله إليه ، فخرج أبو دلالة وأدخل فرسه القى كلن تحته ، فإنا هو يرفون؟ محطم أعجف هرم ، فقال له المهدى : أى شيء ويك هنا ، ألم تزعم أنه مهر فقال له : أو ليس هذا سلمة الوصيف بين يديك قائماً ، تسميه الوصيف ، وله ثمانون سنة ، وهو بعد عندك وصيفاً ، فإن كلن سلمة وصيفاً فهنا مهر ، فجعل سلمة يشتمه والمهدى يضحك . ثم قال لسلمة : ويحك ! إن لهنه منه أخوات ، وإن أتى بمثلهما في محفل يفضحك ، فقال أبو دلالة : إني والله يا أمير المؤمنين لأفضحنه فليس في مواليك أحد إلا وقد وصلني غيره ، فإني ما شربت له الماء قط ، قال : قد حكمت عليه أن يشتري نفسه منك بألف درهم حتى يتخلص من يدك ، قال : قد فعلت على أن لا يعاود ، قال : أفعل ، ولولا أتى ما أخنت منه شيئاً قط ما استعملت معه مثل هذا ، ففضى سلمة فحملها إليه وصامه إليها .

وجاء دلالة يوماً إلى أبيه وهو في محفل من جيرانه وعشيرته جالسا فجلس بين يديه ، ثم أقبل على الجماعة ، فقال لهم : إن شيخى كاترون قد كبر سنه ، ودق عظمه ، وبنا إلى حياته حاجة شديدة ، ولا أزال أشير عليه بالشيء يمسك رقبته ويبقى قوته فيخالفتنى ، وإني أسألكم أن تسألوه قضاء حاجة لى أذكرها بحضرتكم فيها صلاح جسمه وبقاء حياته ، فأسمفوني بمأثته مئى ، فقالوا : فضل وحبا وكرامة ، ثم أقبلوا على أبي دلالة بالسنتهم ، فتناولوه بالثلب حتى رضى ابنه وهو ساكت ، فقال : قولوا لهذا الخبيث فليقل ما يريد ، فستهلموز . أنه لم يأت إلا ببيلة ، فقالوا : قل ، فقال : إن أبى ما يقتله إلا كثرة الجماع ، (١٥ - ممام ٢)

فتماونوني^(١) علي حتى أخضيه فلن قطعته عن ذلك غير الخصاص فيكون أصبح جسمه وأطول لعمره، فصبوا مما أتى به، وعلموا أنه أراد أن يبعث بآبيه ويخلصه حتى يشيع ذلك عنه ويرتفع له به ذكر، فضحكوا منه، ثم قالوا لأبي دلالة: قد سمعت فأجب. قال: قد سمعت أنتم وعرفتم أنه لم يأت بخير، قلوا: فما عندك في هذا؟ قال: قد جلست أمه حكما بيني وبينه. قوموا بنا إليها، فقاموا بأجمعهم ودخلوا إليها، وقض أبو دلالة القصة عليها وقال: قد حكمتك فأقبلت على الجماعة فقالت: إن ابني هذا أبقاء الله فد نصح أباه وبره ولم يأل جهدا وما أنا إلى بقاء آبيه بأحوج مني إلى بقاءه، وهذا أمر لم تقع به تجربة ولا جرت بمثله عادة ولا أشك في معرفته بذلك فليبدأ بنفسه أولا فليخلصها، فإذا عوفي ورأينا ذلك قد أثر عليه أنزأ محمودا استعمله أيضا أبوه، فجعل أبوه يضطك منه، وخجل ابنه دلالة، وانصرف القوم يضحكون ويعجبون من خبتهم جميعا وانفاهم في ذلك المذهب.

وكان عند المهدي رجل من بني مروان قد جاءه مسلما، فأتى المهدي بملج، فأمر المرواني أن يضرب عنقه، فأخذ السيف وقام فضر به فبأ عنه، فرمى به المرواني وقال: لو كان من سيوفنا ما نبا، فسمعها المهدي فغاضه حتى تغير وجهه وبأن فيه، فقام يقطع السيف وحسر عن ذراعيه ثم ضرب الملج فرمى برأسه ثم قال: يا أمير المؤمنين، إن هذه السيوف سيوف الطاعة ولا تعمل إلا في أيدي الأولياء، ولا تعمل في أيدي أهل المعصية، ثم قام أبو دلالة فقال: يا أمير المؤمنين، قد حضرتي بيتان أقول؟ قال: قل، فأنشده [من الخفيف]:

أبهذا الإمام سيفك ماض وبكف الولي غيرك كهام

فإذا ما نبا بكف عدنا أنه كف مبئض للإمام

قام المهدي من مجلسه، وسرى عنه، وأمر حجاب به بقتل المرواني، فقتل

وقال ابن النطاح: دخل أبو دلالة على المهدي، فأنشده قصيدته في بقلته

(١) هكذا بخلف نور الرفع من غير تقدم ناصب أو جازم

المشهوره يهجوها ويدكر ما فيها، فلما أنشده قوله [من الوافر] :

أَتَانِي خَائِبٌ يَسْتَأْمُنُنِي عَرِيقًا فِي الْخَسَارَةِ وَالضَّلَالِ
قَالَ تَبِيعُهَا قُلْتُ ارْتَبِطْهَا بِحُكِّكَ إِنْ يَبِيعُ غَيْرُ غَالِي
فَأَقْبَلَ صَاحِكًا نَحْوِي سُرُورًا وَقَالَ أَرَاكَ سَهْلًا ذَا جَلَالِ
هَلُمَّ إِلَيَّ يَخْلُوبِي خِدَاعًا وَمَا يَذْهَبُ الشَّقَى لِمَنْ يُخَالِي
قُلْتُ بَارِزِينَ قَالَ أَحْسِنْ إِلَيَّ فَإِنَّ مِثْلَكَ دُوسَجَالِ
فَأَتْرُكُ حَسَةً مِنْهَا لِعَلِي رِيحًا فِيهِ يَصِيرُ مِنَ الْخِلَالِ

فقال له المهدي : لقد أفلت من بلاء عظيم ، قال : والله يا أمير المؤمنين
لقد مكنت شهرًا أتوقع صاحبها أن يرد علي ، قال : ثم أنشده [من الوافر] :
فَأُبْدِلَتِي بِهَا يَارَبُّ طَرَفًا يَكُونُ جَمَالُ مَرْكِهِ جَمَالِي
فقال المهدي لصاحب دوابه : خيره بين مركبين من الاصطبل ، قال :
يا أمير المؤمنين ، إن كلن الاختيار إلى وقت في شرمن البغلة ، ولكن مره أن
يختار لي ، قال : اختر له

وأخبار أبي دلالة كثيرة ، وقد أثبتنا منها طرفًا صالحا .

وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومائة ، رحمه الله تعالى !

١١٧ — كَالْقَيْسِ الْمُطَفَّاتِ بَلَى الْأَسْهُمُ مَبْرِيَّةً بِلَى الْأَوْتَارِ
البيت للبحتري ، من قصيدة من الخفيف ^(١) يمدح بها أبا جعفر بن حميد
ويستوهمه غلاما ، ومنها قوله :

أُبْسَكَاةً فِي الدَّارِ بَعْدَ الدَّارِ وَسُلُوءًا يَرْزَيْبِ عَنْ قَوَارِ

(١) اقرأها في الديوان (٢ - ٢٤ مصر)

لَاهَنَّاكَ الشَّغْلُ الْجَدِيدُ بِحُزْنٍ
 مَا ظَنَنْتُ الْأَهْوَاءَ قَبْلَكَ تُنْحِي
 إِلَى أَنْ قَالَ مِنْهَا فِي وَصْفِ الذُّوقِ :
 يَتَرَقَّرُنْ كَالسَّرَابِ وَقَدْ خَضُنْ غَمَارًا مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي
 وَبَعْدَهُ الْبَيْتُ ، وَالْقَصِيدَةُ طَوِيلَةٌ ، يَقُولُ مِنْهَا فِي تَشْكِيهِ مِنَ الْغَلَامِ الْأَجِيرِ
 وَيَسْأَلُ مَخْدُومَهُ فِي هَبْتَهُ غَلَامًا وَيَصِفُهُ :

قَدْ مَلَأْنَاكَ يَا غَلَامُ فَعَادِ
 سَرَاقَاتِ مَنْى خُصُوصًا ، فَهَلَا
 أَنَا مِنْ يَاسِرٍ وَسَعِيدٍ وَفَتَحَ
 لَا أَحَبُّ النَّظِيرِ يُخْرِجُهُ الشَّمُّ إِلَى الْأَحْتِجَاجِ وَالْإِفْتِخَارِ
 فَاذَا رُعْتَهُ بِنَاحِيَةِ السَّوْطِ ط عَلَى الذَّنْبِ رَاغِي بِالْفِرَارِ
 مَا بَارِضَ الْعِرَاقِ بِأَقْوَمِ حُرٍّ يَشْتَرِيَنِي مِنْ خِدْمَةِ الْأَحْرَارِ (٢)
 هَلْ جَوَادُ بَأْيِضٍ مِنْ بَنِي الْأَصْفَرِ مَحْضُ الْجُدُودِ مَحْضُ النَّجَارِ
 لَمْ يَرُمْ قَوْمَهُ السَّرَّابَا وَلَمْ يَغْزُهُمْ غَيْرُ جَحْفَلٍ جَرَّارِ (٤)
 فَحَوْتَهُ الرَّمَاخُ أَعْيَدَ مَجْدُو لَا قَصِيرَ الزُّنَارِ وَافِي الْأَزَارِ (٥)
 فَوَقَّعَ الصَّغَارَ إِنْ وَكَلَ الْأَمْرَ إِلَيْهِ وَدُونَ كَبَرِ الْكِبَارِ (٦)

(١) فِي الْأَصْلِ « فَيْكَ تَمْحَى » وَمَا أُثْبِتْنَاهُ مُوَافِقٌ لِمَا فِي الدِّيَوَانِ
 (٢) فِي الْأَصْلِ « سَرَوَا نَائِي عَنِّي » وَلَمْ تَنْجِهَا عِنْدَنَا ضَبِيطٌ ، وَمَا أُثْبِتْنَاهُ
 مُوَافِقٌ لِمَا فِي الدِّيَوَانِ

(٣) فِي الدِّيَوَانِ « يَفْتَدِينِي » فِي مَكَانٍ يَشْتَرِيَنِي
 (٤) فِي الدِّيَوَانِ « لَمْ يَرِعْ قَوْمَهُ السَّرَّابَا » وَلِمَا هُنَا وَجْهٌ
 (٥) فِي الْأَصْلِ « تَوَجَّهَتِ الرِّيَّاحُ » مُحَرَّفًا عَمَّا أُثْبِتْنَاهُ مُوَافِقًا لِمَا فِي الدِّيَوَانِ
 (٦) فِي الدِّيَوَانِ « وَدُونَ كَيْدِ الْكِبَارِ » وَهُوَ خَيْرٌ مِمَّا هُنَا

لك من ثمره وخذيه ماشئت من الأفحوان والجلنار
 وكان الذكاء يبعث منه في سواد الأمور شعله نار
 يا أبا جعفر وما أنت بالمدعو إلا لكل أمر كبير
 ولعمري للجد بالناس لنا من سواه بالتوب والدينار
 وقليل إلا لديك بهذا الفج أخذ الغلمان بالأشعار^(١)

ومعنى البيت أنه يصف إبلا أحلها السرى بحيث صارت من الهزال كالقسي أيات في وصف

بل السهام بل الأوتار

وقد تداول الشعراء هذا المعنى ، ومجاذبوا أطرافه ، فمن ذلك قول الشريف

الموسوي [من الكامل] :

هـن القسي من النحول فان مما خطب فهن من النجاء الأسهم
 وقد أخذه ابن قلاؤس فقال أيضاً [من الكامل] :

خوص كأمثال القسي نواحلا وإذا سما خطب فهن سهام
 وقال أيضاً [من الوافر] :

طرحنا العجز عن أعجاز عيس نوشحها على الحزم الحزاً أما
 ونذفع بالشرى منها قسيًا فتقذف بالنوى منها سهاماً
 وقال ابن خفاجة أيضاً [من الطويل] :

وقد ما برت منها قسيًا يد الشرى وفوق منها فوقها المجد أسهما
 وقال ابن النبيه [من الخفيف] :

إن خوص الظلاء أطيب عندي من مطايا أمست تشكى كلاله
 فهي مثل القسي شكلاً ولكن هي في السبق أسهم لا محالة

والشاهد في البيت : مراعاة النظر، ويسى : التناسب ، والتوافق ،
والاستلاف ، والمواخاة ، وهو : جمع أمر وما يناسبه مع إلغاء التضاد لتخرج المطابقة
فهو هنا قصد النسبة بالأسهم والأوتار لما تقدم من ذكر القس ، وهذه النسبة
هنا مضموية لا لفظية كما في قول ميار [من الخفيف] :

ومُدِيرِ سِيَانٍ عَيْنَاهُ وَالْأَبْرِيقُ فَتَكَأَ وَلِحْظُهُ وَالْمُدَامُ

والأبريق هنا السيف سمى بذلك لبريقه ، وكلن يصح أن يقال سيان عينه
والصملم أو الهندى ، فاختار الأبريق لمناسبة لفظاً للدم ، إذ الأبريق يطلق
على إله الخمر ، وليس هنا من المعنى في شيء ، وإنما هو مراعاة مجرد اللفظ
ومن أحسن ماورد في مراعاة النظر قول ابن خفاجة يصف فرساً وهو

آيات في
مراعاة النظر

[من السريع] :

وَأَشَقَّرَ تَضَرَّمُ مِنْهُ الْوَعَى بِشَعْلَةٍ مِنْ شَعْلِ الْبَاسِ
مَنْ جَلَنَارٍ نَاضِرٍ خَدُّهُ وَأُذُنُهُ مِنْ وَرَقِ الْآسِ
تَطْلُعُ لِقَرَّةٍ فِي وَجْهِهِ حَبَابَةٌ تَضْحَكُ فِي الْكَلَسِ

فالمناسبة هنا بين الجلنار والآس والنضارة .

وقول ابن الساعاتى من آيات في وصف الثلج [من الكامل] :

السَّحْبُ رَايْتُ وَلَمْعُ بُرُوقِهَا بَيْضُ الظُّلِيِّ وَالْأَرْضُ طَرَفُ أَشْهَبِ
وَالْتَدُّ قَسَطُهُ وَزَهْرُ شُمُوعِنَا صُمُّ الْقَنَا وَالْفَحْمُ نَبَلٌ مُنْهَبِ
وما أبدع قول بعضهم في آل النبي صلى الله عليه وسلم [من الكامل] :

أَنْتُمْ بَنُو طِهَ وَنَ وَالضُّحَى وَبَنُو تَبَارَكَ وَالْكِتَابِ الْمُحَكَّمِ
وَبَنُو الْآبَاطِحِ وَالْمَشَاعِرِ وَالصَّفَا وَالرُّكْنِ وَالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَزَمَرَمِ

فانه أحسن في المناسبة في البيت الأول بين أسماء السور ، وفي الثانى بين

الجهات المجازية ، وما أعجب قول السلاوى [من الكامل] :

أوما ترى طرر البروق توسطت أقفاً كأن المزن فيه شؤف
والنوم من خجل الشقيق مفرج خجل ومن مرض النسيم ضعيف
والأرض طرس والرّياض سطوره والزهر شكل يديها وحروف

وقوله في وصف النارنج والسماريات في نهر طلعت عليه الشمس [من الوافر]

تنشط للصبح أباً على على حكم المني ورضا الصديق
ينهر للرياح عليه درع يذهب بالفرّوب وبالشرّوق
إذا اصغرت عليه الشمس صبت على أمواجه ماء الخلوّق
وقفت به فكّم خد رقيق يغازني على قد رقيق
وجر شب في الأغصان حتى أضع الماء في وهج الحرّيق
فهم الخيل في ميدان تهر يصاغ لها كرات من عقيق
وقوله أيضاً في وصف الحب [من البسيط] :

الحب كالزهر يطينا ويرتج لا اليأس يضر فناعنه ولا الطمع
صحبته والصبا تغرى الصبا به والوصل طفل غرير والهوى يعم
أيام لا النوم في أحفاننا خلّس ولا الزيادة من أحبابنا لمع
إذ الشبيبة سني والهوى فرسى ورايتي الآه والذات لي شمع

وما أحسن قول السري الرفاء [من الوافر] :

وغنم مرهفات البرق فيه عوار والرياض بها كوامي
وقد سلّت جروش الفطرية على شهر الصيام سيوف بارس
ولاح لنا الهلال كمشط طوق على لبّات زرقاء اللّباس

وبدع قول أبي طالب البغدادى النحوى من أبيات [من البسيط] :

ومهمه سرت فيه والبساط دم والجو نفع وهامات الرجال ربا

وقول أبي حنيفة الاسترايحى غيبة هاء وهو [من السريع] :

هَنْ عَرَّتْ أَطْلَامُ حَطِّ الْمَنَارِ فِي مَشْمٍ فَتَقَالُ نَضْحُ الْمَنَارِ
أَوْ اسْتَدَارَ انْطَضَاتُ غَلَّتْ قُضَّتُهُ مَرَكَزَ ذَلِكَ الْمَنَارِ
وَرَحَهُ الْحَمَرُ فَهَلْ قَرَهُ ذُرٌّ حَبِيرٍ نَضَمَتُهُ الْقَارِ

وقوله وهو يدعى [من البسيط] :

أَنَا الرَّمَى بِسَهْمٍ الْقَطُّ إِذْ رَشَقَا فَلَمْ تَدْرَعْ مِنْ أَصْدَاغِهِ الْحَقَا

وقول أبي علي الحسن البائخرى والد صاحب دمية القصر [من الطويل] :

وَذِي زَجَلٍ وَالِي سِهْلٍ رَهَامِهِ وَوَلَّى قَالَى قَوْسُهُ فِي انْتِهَامِهِ
أَلَمْ تَرَ خَدَّ الْوَرْدِ مُدْبِي لَوْحَهَا وَأَفْصَلَهَا مَخْضُوبَةٌ فِي كَامِهِ

وما أحسن قول الحسين بن علي التميمي من قصيدة [من الكامل] :

رَوْضٌ إِذَا جَرَّتِ الرِّيحُ مُرِيضَةً فِي زَهْرِهِ اسْتَنْفَتَ بِهِ مَرْضَاهَا
وَإِذَا تَهَابَتِ التَّدَامِي وَسَطُهُ سَكَرَ الصَّحَاةُ كَمَا صَحَا سَكَرَاهَا

وما أزهق قول بعضهم يرى قبيهاً حنفياً [من الخفيف] :

رَوْضَةُ الْعَلَمِ قَطْبِي بِمَدْيَشْرِ وَالْبَيْسَى مِنْ يَنْفَسِجِ جِلْبَابَا

وَهَبِي التَّلَحُّلَ مَشْوَرَدَمِ فَشَقِيقِ التَّمَانِ بَكَانٍ وَغَابَا

ولأبي المصعب الملحي [من مجزوء الرمل] :

ذَرَفَتْ عَيْنُ الْعَمَامِ فَاسْتَهَلَتْ بِسَجَامِ

وَبِكِي الْأَبْرِيقِ فِي الْكَأِ مِنْ يَدَمِ مِنْ مُدَامِ

فَاسْتَقَى دَمْعاً بِدَمِيعِ مِنْ مُدَامِ وَغَمَامِ

وَاعْصَى مِنْ لَامِكٍ فِيهِ لَيْسَ ذَا وَقْتِ الْمَلَامِ

ولأبي العلاء الممرى [من البسيط] :

دَعِ الرِّعَاءَ قَوْمَ مَخْرُومٍ بَهَا وبالطَّوَالِ الرُّذَيْنِيَّةَ فَتَحْجِرِ
فَهِنْ أَفْلَامُكَ الْكَلَامُ إِذَا كَتَبْتَ جِدًّا أَتَتْ بِمَدِّ مِنْ دَمِ هَدَرِ

وما أحسن قول الأواء الممشق [من التلخيص] :

سَقَا لَيْسَمٌ غَدَا قَوْسُ الْقَتْلَمِ يَدِ وَالشَّمْسُ مُشْرِقَةٌ وَالْبَهَقُ خَلَّاسُ
كَأَنَّهُ قَوْسُ رَامٍ وَالْبَهَقُ لَهُ رَشَقُ السَّهْلِ وَعَيْنُ الشَّمْسِ رِيَّاسُ

وما أبدع قول السلاحي [من الطويل] :

وَقَدْ خَلَطَ الْفَجْرَ الظَّلَامُ كَمَا لَتَقَى عَلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ وَرَدُ وَنَوْمُ
وَعَهْدِي بِهَا وَاللَّيْلُ سَقَرٌ وَوَصَلَا عَقَلُ وَفَوْهَا الْكَأْسُ نُفُوسًا لَهْرُ

ولبعض شعراء الذخيرة [من الطويل] :

بَدَارٍ سَهْنًا دِيمَةً إِثَرُ دِيمَةٍ فَالْتَبَاهَا الْجَدْرَانِ شَطْرًا عَلَى شَطْرِ
فَنَ عِلَاضٍ يَسْقَى وَمِنْ سَقْفِ مَجْلِسٍ يَنْقُ وَمِنْ يَدٍ يَمِيلُ مِنَ الْكُفْرِ

ومن التلخيص في هذا الباب قول البديع المناني من قصيدة يصف فيها

طول السرى [من الطويل] :

لَيْسَ اللَّهُ مِنْ عَزَمِ أَجُوبُ جِيُوبُهُ كَأَنِّي فِي أَجْفَانِ عَيْنِ الرَّدَى كَعَلُ
كَأَنَّ السَّرَى سَلَقَ كَأَنَّ الْكُرَى مَلَأَ كَأَنَّمَا شَرِبَ كَأَنَّ الْمَنَى قَلَّ
كَأَنَّمَا جِيَاعٌ وَالْمَطَى لَنَا فَمُ كَأَنَّ الْفَلَاحَ رَادُّ كَأَنَّ السَّرَى أَكَلُ
كَأَنَّ يَنَابِيعَ الْتَرَى تَدَى مُرْضِعٍ وَفِي حَبْرٍ هَامٍ وَمِنْ نَهْجٍ مَطْلُ
كَأَنَّمَا عَلَى أَرْجُوحةٍ فِي مَسِيرِنَا لِيُورَ بِنَاتِهِ وَيُجَدِّ بِنَاتِهِ

ومنها في المديح ولم يخرج عن حسن التلخيص [من الطويل] :

كَأَنَّ فِي قَوْسٍ لِسَانِي لَهُ يَدٌ مَدِيحِي لَهُ نَزْعٌ بِرَأْسِي نِيلُ
كَأَنَّ دَوَالِي مَطْفِرٍ حَبِشَةٍ بَنَانِي لَهَا بَيْلٌ وَفَتْحِي لَهَا نِيلُ

كَأَنَّ يَدِي فِي الطَّرْسِ غَوَّاصٌ لَجَّةٍ بِهَا كُلِّي دُرُّهُ قِيمَتِي تَغْلُوْ
وَلَهُ أَيْضًا فِي قَرِيبٍ مِنْهُ يَمْدَحُ الْمَدْحُوحَ فِي الْقَصِيْدَةِ قَبْلَهُ ، وَهُوَ الْمَلِكُ خَلْفَ
ابْنِ أَحْمَدَ صَاحِبِ سَجِسْتَانَ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَلَيْسَ لَهُ كَذْكَرَاهُ كَعَمَاهُ كَأَسْمِهِ كَعِدِينَ ابْنَ عِبَادٍ كَادِبَارٍ فَائِقِهِ
شَقَقْنَا بِأَيْدِي الْعَيْسِ بُرْدَ ظَلَامِهِ وَبَتْنَا عَلَى وَعْدِهِ مِنَ السَّيْرِ صَادِقِهِ
تَزَجُّ بِنَا الْأَسْفَارُ فِي كُلِّ شَاهِقِهِ وَتَرْمِي بِنَا الْأَمَالَ فِي كُلِّ حَالِقِهِ
كَأَنَّ مَطَالِبَنَا شَفَارَ كَأَنَّمَا تَمْدُّ إِلَيْنَا الْفَلَاحَ كَفَّ سَارِقِهِ
كَأَنَّ نَجْمَ اللَّيْلِ نَقَّارَةٌ لَنَا تَعَجَّبُ مِنْ آمَالِنَا وَالْعَوَائِقِ
كَأَنَّ نَسِيمَ الصَّبْحِ فُرْصَةٌ آيِسٍ كَأَنَّ سَرَابَ الْقَيْظِ خَجَلَةٌ وَآمِقِ
وَمِنْ الْغَرِيبِ هَذَا قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ يَصِفُ أَيْنَقًا [مِنْ الْبَسِيطِ] :

تَطْوِي الْفَلَاحَ وَكَأَنَّ الْأَلَّ أَرْدِيَّةً وَنَارَةً وَكَأَنَّ اللَّيْلَ سَيْجَانُ
كَأَنَّهَا فِي ضَحَا صَاحِبِ الضُّحَى سَفْنٌ وَفِي الْغَمَارِ مِنَ الظُّلُمَاءِ حَيْثَانُ
وَمَا أَرَشَقُ قَوْلُ ابْنِ رَشِيقٍ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

أَصْحَحْ وَأَقْوَى مَا مَعْمَاهُ فِي النَّدَى مِنْ الْخَبِيرِ الْمَأْتُورِ مِنْذُ قَدِيمِ
أَحَادِيثُ تَرْوِيهَا السَّيُولُ عَنْ الْحَيَا عَنْ الْبَحْرِ عَنْ كَفِّ الْأَمِيرِ تَعِيمِ
وَمِنْ الْمُسْتَحْسَنِ فِي هَذَا النُّوعِ قَوْلُ ابْنِ زَيْلَاقٍ فِي غِلَامٍ مَعَهُ خَادِمٌ يَحْرُسُهُ
[مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ يَحْرُسُوكَ بِخَادِمٍ وَخَدَامُ هَذَا الْحَسَنِ مِنْ ذَاكَ أَكْثَرُ
عِذَا رَكَ رِيحَانٌ وَتَفَرَّكَ جَوْهَرُ وَخَدُّكَ يَأْقُوتُ وَخَالِكَ عَنِيرُ
وَمَا أَبْدَعَ قَوْلُ ابْنِ مَطْرُوحٍ [مِنْ مَجْزُوءِ الْمُتَقَارِبِ] :

وَلَيْلَةٌ وَصَلَ خَلَّتْ فَيَا عَاذِلِي لَا تَسْلُ

لبسنا ثياب العناقِ مُزَرَّةً بالقبيلِ

ومثله قول العماد السامسي^(١) [من مجزوء الكامل]:

شَقْتُ عَلَيْكَ يَدَ الْأَسَى نُوبَ الدُمُوعِ إِلَى الذُّيُولِ

وعجيب قول ابن الخشاب في المستضيء وأجاد [من الكامل]:

وَرَدَ الْوَرَى سِلْسَالُ جُودِكَ فَارْتَوَا وَوَقَفْتُ دُونَ الْوَرْدِ وَقَفَّةً حَائِمِ

ظَمَانٍ أَطْلُبُ خَفَةَ مِنْ زَحْمَةٍ وَالْوَرْدَ لَا يَزْدَادُ غَيْرَ تَرَا حِمِ

وقول ابن شرف في اجتماع البعوض والذباب والبراغيث في مجلس، مخاطباً

لصاحبه يستهزئ به [من الكامل]:

لَكَ مَجْلَسٌ كَمَلْتُ سِتَارَتَنَا بِهِ لَهْوٌ، لَكِنْ نَحْتَ ذَاكَ حَدِيثُ

غَنَى الذَّبَابِ وَظَلَّ يَزْمُرُ حَوْلَهُ فِيهِ الْبَعُوضُ وَيَرْقُصُ الْبِرْعَاثُ

ومن النهايات هنا قول القاضي عبد الرحيم الفاضل [من الكامل]:

فِي خَدِّهِ فَحْ كَهْفَةٍ صُدْغِهِ وَالْخَالُ حَبْنُهُ وَقَلْبِي الطَّائِرُ

وقول مجير الدين بن تميم [من الكامل]:

لَوْ كُنْتُ تَشْهَدُنِي وَقَدْ حَمَى الْوَعَى فِي مَوْقِفٍ مَا الْمَوْتُ عَنْهُ بِمَعْلٍ

لَتَرَى أَنَا بَيْبَ الْفَنَاءِ عَلَى يَدِي تَجْرِي دَمًا مِنْ تَحْتَ ظِلِّ الْقَسْطِ

وقد أغرب الأديب بدر الدين حسن الزغاري بقوله [من الطويل]:

كَأَنَّ السَّحَابَ الْفَرَّ لَمَّا تَجَمَّعَتْ وَقَدْ فَرَّقَتْ عَنَا الْهَيُومُ بِجَمْعِهَا

نَبَاتٌ وَوَجْهُ الْأَرْضِ قُبُورٌ وَلَجْهَا حَلِيبٌ وَكَفَّ الرِّيحُ حَالِبُ ضَرْعِهَا

والباب واسع، ولا بد من مراعاة الاختصار هنا.

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هاهنا النسخة هنا ما نصه

« قوله السامسي، كذا في نسخة وفي أخرى الساماني ».

رصاد
تسيم

١١٨ - إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعُهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

البيت لعمر بن معدى كرب الزبيدى ، من قصيدة (١) من الوافر ،
وأولها :

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ	يُؤَزِّقُنِي وَأُصْحَبُ هُجُوعِ
سَبَّأَهَا الصَّمَةُ الْجَشِي غَضَبًا	كَأَنَّ بَيَاضَ غَرَّتْهَا صَدِيعِ
وَحَالَتْ دُونَهَا فِرْسَانُ قَيْسٍ	تَكْشِفُ عَنْ سَوَاعِدِهَا الدَّرُوعِ

وبعد البيت ، وبعده :

وصله بإزمان فكل أمر
مما لك أو سموت له ولوع

وهى طويلة .

قال المدائني : حدثني رجل من قريش قال : كنا عند فلان القرشى ، فجاءه
رجلٌ تجارية ، ففنته [من السريع] :بالله يا ظبي بنى الحارث
هل من وفى بالمهد كالناث

وغنته أيضا بفناء ابن سريج [من المنسرح] :

(١) اقرأها فى الأصمعيات (٤٣ - ٥٥ أوردت) وليست الأبيات التى رواها
المؤلف هنا متوالية فى رواية الأصمعيات ، وليس البيت الثانى فيها بهذه
الألفاظ ، وقد روى ابن قتيبة فى الشعراء المطلق ، ثم روى أربعة أبيات فيها
بيت الشاهد والذى بعده . وقد روى صاحب الأغاني (١٤ - ٣٣) أربعة
أبيات من أول القصيدة بترتيب المؤلف ها هنا ، وآخرها بيت الشاهد ، ولكن
الأغاني لا يروى الشعر على ترتيبه فى كلام قائله ، وإنما يرويه على ترتيب الغناء

يا طولَ ليلي وبْتُ لِمَ أنمَ . وسادى الهمُّ مُبطنٌ سُمي
فأعجبه ، واستامَ مولاهُ فاشتط عليه فآبى شراءها ، وأعجبت الجارية
بالفتى ، فلما امتنع مولاهُ من البيع إلا بشطط قال القرشى : فلا حاجة لنا فى
جارتِكَ ، فلما قامت الجارية للانصراف رفعت صوتها ، تقول :
* إذا لم تستطع شيئا فدعه * البيت .

قال : فقال الفتى القرشى : أفأفألا أستطيع شراءك ؟ والله لأشترينك بما
بلفت ، قالت الجارية : فذلك أردت . قال القرشى : إني لأخيئك ، وابتاعها
من ساعته .

والشاهد فيه : الارصاد ، ويسميه بعضهم التسليم ، وهو : أن يجعل قبل
العجز من الفقرة أو البيت ، ما يدل على العجز إذا عرف الروى — وهو الحرف
الذى تبنى عليه أو آخر الأبيات أو الفقر — ويجب تكراره فى كل منها فإنه
قد يكون منها مالا يعرف منه العجز لعدم معرفة حرف الروى كقول البحرى
[من الطويل] :

أحلت دمي من غير جرم وحرمت بلا سبب يوم اللقاء كلامى
فليس الذى قد حلت بمحلل وليس الذى قد حرمت بحرام
فانه لو لم يعرف أن القافية مثل سلام وكلام لربما توهم أن العجز بمحرم ،
وقول جنوب أخت عمرو ذى الكُلب [من المقارب] :
وخرق تجاوزت مجهوله بوجاء حرف تشكى الكلالا
فكنت النهار به شمس وكنت دحى الليل فيه الهلالا
والقول فيه كالذى قبله

(١) رول ابن حجة فى البحث التسميم من خزانة الأدب (١٥٧) كثيرا من
الشواهد التى ذكرها المؤلف هنا

وما اختير من شواهد هذا النوع قول الراعي [من الوافر] :
 وإن وُزِنَ الحصى فوزاً تُتُ قومي وجئتُ حصى ضربيتهم وزينا
 وقد حكى أن عمر بن أبي ربيعة الحزومي جلس إلى ابن عباس رضي الله
 عنهما فابتدأ ينشده :

* تشطُّ غداً دارُ جيراننا *

فقال ابن عباس رضي الله عنه :

* وللدارُ بعدَ غدٍ أبعدُ *

وكان كذلك ولم يسمع غير الشطر الأول .

وكذلك يحكى عن عدى بن الرقاع أنه أنشدني صفة الطيبة وولدها [من
 الكامل] :

* تزجى أغنَّ كأنَّ إبرة رَوْقِهِ *

وغفل الممدوح عنه فسكت ، وكان جرير حاضراً ف قيل له : ما تراه يقول ؟

فقال جرير :

* قلم أصابَ من الدواة مدادها *

وأقبل عليه الممدوح فقال كما قال جرير لم يغادر حرفاً

ومنه قول الخنساء [من المتقارب] :

بييض الصفاق وسمر الرماح فبالبيض ضرباً وبالسمر وخزاً

وقول دعبل [من الرمل] :

وإذا عاندنا ذو قوقر غضب الروح عليه ففرج

فعلى أيماننا يجرى الندى وعلى أسيافنا تجرى المهج

ومن جيله قول بعضهم [من الطويل] :

ولو أنى أعطيت من دهرى المنى وما كل من يعطى المنى بمسدّد

قلت لأيام مضين ألا أرجى وقلت لأيام أتين ألا أبدي
وما أحسن قول البحترى [من الكامل] :

أبكيكما دمعاً ولو آنى على قَدَر الجوى أبكى بكيكما دماً
وحدث إبراهيم بن أبي محمد البزدي قال : كنت عند المأمون يوماً وبحضرته
عريب فقالت له على سبيل الولوج : يا سلموس ، وكانت جوارى المأمون يلقبني
بذلك عبناً ، فقلت [من الطويل] :
وقل لعريب لا تكوني سلسه وكوني كنعريف وكوني كؤنسه
فقال المأمون :

فان كثرت منك الأقاويل لم يكن هنالك شيء ، إن ذا منك وسوسه
فقلت : كذا والله يا أمير المؤمنين أردت أن أقول ، وعجبت من ذهن
المأمون وطبعه وفطنته
ولمؤلفه من أبيات [من الكامل] :

ليس التقدم بالزمان مقدماً أحداً ولا التأخير فيه يؤخر
فلكل عصر مستجد تبع ولكل وقت مقبل إسكندر
ومدح أبو الرجا الأهوازي صاحب ابن عباد لما ورد الأهواز بقصيدة منها
[من السريع] :

إلى ابن عباد أبي القاسم صاحب إسماعيل كافي الكفاة
فاستحسن جمعه بين اسمه ولقبه وكنيته واسم أبيه في بيت واحد ، ثم ذكر
وصوله إلى بغداد وملكه إياها فقال :

* ويشرب الجند هنيئاً بها *

فقال له ابن عباد : أمسك أمسك ، أتريد أن تقول :

* من بعد ماء الرى ماء الفراء *

قال : هكذا والله أردت ، وضحك

وعمر^(١) بن معدى كرب هو : أبو عبد الله ، وقيل : أبو ربيعة بن عبد الله بن عمرو بن عاصم^(٢) بن عمرو بن زبيد ، ينتهي نسبه لقحطان ، ويكنى أبا مورو ، وأمه وأم أخيه عبد الله امرأة من جرم^(٣) فبا ذكر ، وهي معدودة من المنجيات ، وعن أبي عبيدة قال : عمرو بن معدى كرب فارس المين ، وهو مقدم على زيد انجيل في الشدة والبأس

ترجمة
عمرو بن
معدى كرب
الزبيدي

وعن زيد بن حيف الكلابي قال : سمعت أبا شيخان يزعمون أن عمرو بن معدى كرب كان يقال له مائق بن زبيد ، فبلغهم أن خنعم تريد لهم ، فأتوا لهم وجمع معدى كرب بن زبيد ، فدخل عمرو على أخته فقال لها : أشبعيني إني غدا آتي السكتية ، فجاء معدى كرب فأخبرته ابنته فقال : هذا المائق يقول ذلك ؟ قالت : نعم ، قال : فسله ما يشبعه ، فسأله فقال : فرق من ذرة وعنتر رابعة ، قال : ولكن الفرق يومئذ ثلاثة أصع ، فصنع له ذلك وذبح العنز وهيا الطعام ، قال : فجلس عمرو عليه فسلته جميعا ، وأنتهم خنعم الصباح ، فلقوهم ، وجاء عمرو فرمى بنفسه ثم رفع رأسه فاذا لواء أبيه قائم ، فوضع رأسه ثم رفعه فاذا هو قد زال ، فقام كأنه سرحة محرفة فتلقى أباه وقد انهزموا ، فقال له : انزل عنها ، فقال : إليك يا مائق ؟ فقال له بنو زبيد : خله أيها الرجل وما يريد فان قتل كفيت مؤنته وإن ظهر فهو لك ، فألقى إليه سلاحه ثم ركب فرمى خنعم بنفسه حتى خرج من

(١) نجد ترجمة عمرو بن معدى كرب الزبيدي في الشعراء لابن قتيبة (٢١٩) وفي الأغاني (١٤ : ٢٥ - ٤١) وفي خزانة الأدب للبغدادى (١ - ٤٢٢ و ٣ - ٤٦٠)

(٢) في الأغاني « ابن عاصم »

(٣) في الأغاني « من جرم » وهو الصواب .

بين أظهرهم ، ثم كرع عليهم ، وفعل ذلك مرارا ، وحملت عليهم بنوزيد ، فاستمرت
خشمهم وقهروا قليل له يومئذ : فارس بن زبيد

وكان من خير إسلام عمرو بن معدى كرب الزبيدي ما حكوه المدايني عن بلاء عمرو بن
معدى كرب أبي البقطان عن جويرية بن أسماء ، قال : أقبل النبي صلى الله عليه وسلم من
غزاة تبوك يريد المدينة ، فأدرك عمرو بن معدى كرب الزبيدي في رجال من
بنى زبيد ، فتقدم عمرو ليلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمسك عنه حتى
أودن به ، فلما تقدم ورسول الله يسير قال : حياك إلهك آيت الهن ، قتل
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لعنة الله وملائكته والناس أجمعين على الذين
لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، فَمَنْ بالله يؤمنك الله يوم الفزع الأكبر » فقال عمرو
ابن معدى كرب : وما الفزع الأكبر ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه فزع
ليس كما تحسب وتظن ، إنه يصاح بالناس صيحة لا يبقى حي إلا مات إلا ماشاء
الله تعالى من ذلك ، ثم يصاح بالناس صيحة لا يبقى ميت إلا نشر ، ثم تلج تلك
الأرض بدوى تنهد منه الأرض وتجر منه الجبال وتنشق السماء انشقاق القبطية
الجديدة ماشاء الله من ذلك ، ثم تبرز النار فينظر إليها حمراء مظلمة قد صار لها
لسان في السماء ترمي بمثل رؤوس الجبال من شرر النار ، فلا يبقى ذو روح إلا
انخلع قلبه وذكر ذنبه ، أين أنت يا عمرو ؟ قال : إني أسمع أمرا عظيما ، قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عمرو أسلم تسلم » فأسلم وبايع لقومه على الاسلام
وذلك مُنْصَرَفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ، وكانت في رجب
سنة تسع

وعن أبي عبيدة قال : لما ارتد عمرو بن معدى كرب مع من ارتد عن
الاسلام من منحج استجاش فروة^(١) النبي صلى الله عليه وسلم فوجه إليهم خلد

(١) فروة : هو فروة بن مسيك المرادي ، وكان قد قدم معه عمرو بن
معدى كرب على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا وبعث رسول الله صلى
(١٦ - مائة ٢)

ابن سعيد بن العاص وخالد بن الوليد وقال لهما: إذا اجتمعتم فعلى بن أبي طالب أميركم وهو على الناس، ووجه عليا رضى الله عنه، فاجتمعوا بكسر من أرض اليمن، فاقتلوا وقتل بعضهم ونجا بعض، فلم تزل جعفر وزبيد وأد بنو (١) سعد العثيرة بعدها قليلة (٢) يروى أنه لما بلغ عمر و بن معدى كرب قرب مكائهم أقبل في جماعة من قومه، فلما دنا منهم قال: دعوني حتى آتي هؤلاء القوم فاني لم أسم إلا هاهنا، فلما دنا منهم نادى: أنا أبو نور، أنا عمرو بن معدى كرب فابتدره على وخالد وكلاهما يقول لصاحبه: خلني وإياه، ويفديه بأبيه وأمه، فقال عمر وإذ سمع قولهما: العرب تغزع مني، وأرا في هؤلاء جزراً، فانصرف عنهما ثم رجع إلى الإسلام، وفي هذا الوجه وقعت الصمصامة (٣) إلى آل سعيد، وكان سبب وقوعها إليهم أن ربحانة بنت معدى كرب، وهي المعنية أول القصيدة، سببت يومئذ فأفداها (٤) خالد، وأتابه عمرو الصمصامة، فصار إلى أخيه سعيد فوجد سعيد جريحاً يوم قتل عثمان رضى الله عنه حين حصر (أى فى الدار) وقد ذهب السيف والغمدة، ثم وجد الغمد، فلما قام معاوية جاءه أعرابي بالسيف بغير غمد، وسعيد حاضر، فقال سعيد: هذا سيفي، فجدد الأعرابي مقاتله، فقال سعيد: الدليل على أنه سيفي أن تبعث إلى غمده فتغمده فيكون كفافه، فبعث معاوية إلى الغمد فأتى به من منزل سعيد فاذا هو عليه، فأقر الأعرابي أنه أصابه يوم الدار، فأخذه سعيد منه وأتابه، فلم يزل عندهم حتى أصعد المهدي من البصرة

= الله عليه وسلم فروة على صدقات من أسلم منهم، وأمره أن يدعو الناس ويتألفهم وأنه إذا وجد الفرصة ينتهزها ويغزو المشركين.

(١) فى مطبوعة بولاق «وأود بن سعد العثيرة» وما أثبتناه موافق لما فى الأغاني

(٢) فى مطبوعة بولاق «قبيلة» وأثبتنا ما فى الأغاني

(٣) الصمصامة: سيف عمرو بن معدى كرب

(٤) فى الأغاني «فقداهما خالد»

[فلما كان بواسط ^(١)] فأرسل إلى آل سعيد فيه ، فقالوا : إنه للسبيل ، قال :
 خمسون سيفا قاطعا أغنى من سيف واحد ، فأعطاهم خمسين ألف درهم وأخذه
 وعن الشعبي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فرض لعمر بن معدى كرب
 فى الفء الذى قال له : يا أمير المؤمنين ألف ههنا ، وأومأ إلى شق بطنه
 الأيمن ، وألف ههنا ، وأومأ إلى شق بطنه الأيسر ، فإىكون ههنا ؟ وأومأ إلى
 وسط بطنه ، فضحك عمر من كلام عمرو رضوان الله تعالى عليهما ، وزاده
 خمسةائة .

وقال أبو الیقطان : قال عمرو بن معدى كرب : لو سرت بظلمة وحدى على
 مياه مد كلها ما خفت أن أغلب عليها ما لم يلقى حراها وعبيداها ، فأما الحران
 فأمرو بن الطفيل وعنتبة بن الحارث بن شهاب ، وأما العبدان فأسود بنى عبس
 - يعنى عنقرة - والسليك بن السليكة ، وكلهم لقيت ، فأما عامر بن الطفيل
 فسرير الطعن على الصوت ، وأما عنتبة بن الحرث فأول الخليل إذا غارت وأخرها
 إذا آبت ، وأما عنقرة فقليل النبوة شديد الكلب ، وأما السليك فبميد القارة
 كالليث الضارى

وعن قيس أن عمر رضى الله عنه كتب إلى سعد بن أبى وقاص : إني قد
 أمددتك بألفى رجل عمرو بن معدى كرب وطلبيحة بن خويلد وهو طليحة
 الأسدى ، فشاورهما فى الحرب ولا تولهما شيئا

وعنه قال : شهدت القادسية ، وكان سعد على الناس ، فجاء رسم فجعل يمر
 بنا وعرى بن معدى كرب الزبيدى يمر على الصفوف ويحصى الناس ويقول :
 يا معشر المهاجرين ، كونوا أسدا ، أعنى عباسا ^(٢) ، فأما الفارسى تيس بعد أن

(١) زيادة عن الأغانى

(٢) فى الأغانى « سكونوا أسدا أعنى ثابتة »

يلقى بيرك^(١)، قال: وكان مع رستم أسوار لا تسقط له نشابة، فقتل له: يا أبا
ثور اتق ذلك، فانا لنقول له ذلك إذ رماه رمية فأصاب فرسه، وحل عليه عمرو
فاعتقه ثم ذبحه وسلبه سوارى ذهب كانا عليه، وقباء ديباج، قال غير قيس:
ورجع بسلبه وهو يقول [من الرجز]:

أنا أبو ثور وسيفي ذو النون أضربهم ضرب غلام مجنون

* يال زبيد إنهم يموتون *

وفي رواية عن أبي زيد أن عمرًا شهد القادسية، وهو ابن مائة وست سنين
وقيل: بل ابن مائة وعشر، ولما قتل العليج عبر نهر القادسية^(٢) هو وقيس
ابن مكشوح المرادي، ومالك بن الحارث الأشتر، وكان عمرو آخرهم، وكانت
فرسه ضعيفة، فطلب غيرها، فأتى بفرس فأخذ بعكوة^(٣) ذنبه وأخذه^(٤) إلى
الأرض، فأقمى الفرس، فرده وأتى بآخر، ففعل به مثل ذلك فتحلحل ولم يقع، فقال
هذا على كل حال أقوى من ذلك، وقال لأصحابه: إني حاملٌ وعابرُ الجسر، فان
أمرعتم بمقدار جَزَرِ الجزور وجدتموني وسيفي يبدى أقاتل به تلقاء وجهي وقد
عقرني القوم وأنا قائم بينهم، وقد قتلت وجردت، وإن أبطأت وجدتموني قتيلا
بينهم وقد قتلت وجردت، ثم انغمس لحمل في القوم، فقال بعضهم: يا بني زبيد
على مَ تَدْعُونُ صاحبكم؟ والله ما نرى أن تدركوه حيًّا، فحملوا، فأتوها إليه وقد
صرع عن فرسه، وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها، وإن الفارس

(١) في مطبوعة بولاق «بعد أن يلقي نيزكه» و أثبتنا ما في الأغاني

(٢) في الأصل «عبر نهر القادسية» وما أثبتناه موافق لما في الأغاني

(٣) في الأصل «بعكدة ذنبه» وما أثبتناه موافق لما في الأغاني،

والعكوة - بضم العين، وتفتح - أصل الذنب

(٤) في الأغاني «وأجلده به»

ليضرب الفرس فلا تقدر أن تتحرك من يده ؛ فلما غشينا رمى الأعرجى بنفسه
وخلى فرسه فركبه عمرو وقال : أنا أبو ثور ، كدتم والله تقعدونني ؛ قالوا : أين
فرسك ؟ قال : رمى بنشابة فشب فصرعني وعار^(١)

وعن أبان بن صالح قال : قال عمرو بن معدى كرب يوم القادسية : أزموا
خراطيم الفيلة السيوف فانه ليس لها مقتل إلا خراطيمها ، ثم شد على رستم وهو
على الفيل فضرب فيه فجذم^(٢) عرقوبيه فسقط وحمل رستم على فرس ، وسقط
من تحته خرج فيه أربعون ألف دينار فخازه المسلمون ، وسقط رستم بعد ذلك عن
فرسه فقتله وانهزم المشركون . وقيل : إن الخرج سقط عليه فقتله

وعن الشعبي قال : جاءت زيادة من عند عمر يوم القادسية فقال عمرو بن
معدى كرب لطليحة : أما ترى أن هذه الزعانف^(٣) تزداد ولا تزداد ، انطلق بنا
إلى هذا الرجل حتى نكلمه ، فقال : هيهات ، والله لا ألقاه في هذا أبداً ، فلقد
لقتني في بعض فجاج مكة فقال : يا طليحة ، أقتلت عكاشة ؟ فتوعدني وعيداً
ظننت أنه قاتلي ، ولا آمنه ، قال عمرو : ولكنني ألقاه ، قال : أنت وذاك ، فخرج
إلى المدينة ، فقدم على عمر رضى الله عنه وهو يُدعى الناس ، وقد جئنا لعشرة

(١) في الأصل « وغار » بالعين معجمة - وهو تحريف ما أثبتناه ، ويقال
غار الفرس والكلب - بالعين مهملة - إذا ذهب وانقلبت

(٢) في الأصل « جزم » بالزاي محرفاً

(٣) في الأصل « أما ترى هذه الزعانف تزداد ولا تزداد » وفيه تحريف في
موضعين ، وما أثبتناه موافق لما في الأغاني ، والزعانف : جمع زعنفة - بكسر
الزاي والنون بينهما عين ساكنة - وأصلها القطعة من الثوب ، ثم تطلق على
الردل من الناس ، وأراد بهذه العبارة أن الخليفة قد منح أراذل الناس من
المقاتلة ولم يمنحهما .

عشرة ، فأقصده عمر مع عشرة فأكلوا ونهضوا ولم يقيم عمرو ، فأقصده تكة عشرة (١) حتى أكل مع ثلاثين ، ثم قام ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه كانت لي مائة كل في الجاهلية منعتني من الإسلام ، وقد صررت في بطن صرتين وتركتهما هواء فسد ، فقال : عليك حجارة من حجارة أخرة فسد بها يا عمرو ، إنه بلغني أنك تقول : إن لي سيفاً يقال له : الصمصامة ، وعندى سيف اسمه المصمم (٢) وإني إن وضعته بين أذنك لم أرفعه حتى يخالط أضراسك .

وحدث يونس وأبو الخطاب ، قال : لما كن يوم فتح القادسية ، أصاب المسلمون أسلحة ، وتيجاناً ، ومناطق ، ورقاباً ، فبلغت مالا عظيماً ، فزل سعد الحس ، ثم فض البقية . فأصاب الفارس ستة آلاف ، والراجل ألفان . وبقي مال دثر (٣) ، فكتب إلى عمر رضي الله عنه بما فعل ، فكتب إليه [أن رد على المسلمين الحس ، وأعط من لحق بك ممن لم يشهد الوقعة ، فقل ، فأجرام مجرى من شهد ، وكتب إلى عمر بذلك ، فكتب إليه] (٤) أن فض ما بقي على حملة القرآن ، فأناه عمرو بن معد كرب ، فقال له سعد : ما معك من كتاب الله؟ فقال عمرو : إني أسلمت باليمن ثم غزوت فشغلت عن حفظ القرآن ، قال : مالك في هذا المال نصيب ، وأناه بشر بن ربيعة الخثعمي ، وصاحب جباية بشر (٥)

(١) في الأصل « ولم يقيم عمرو فأقعد مع عشرة » وهي محرفة عما أثبتناه موافقا لما في الأغاني

(٢) في الأغاني « أسميه المصمم »

(٣) دثر - بفتح الدال وسكون الثاء المثناة - كثير

(٤) هذه الزيادة ساقطة من الأصل ، وهي في الأغاني عن يونس وأبي

الخطاب اللذين أسند المؤلف الرواية إليهما

(٥) في الأصل « بشر بن ربيعة الخثعمي صاحب جباية بشر » محرفة وساقطة

الواو ، وأثبتنا ما في الأغاني

قال : ما ملك من كتب الله ؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، فضحك القوم ،
ولم يعضه شيئاً ، فقال عمرو في ذلك [من البسيط] :

إِذَا قُتِلْنَا وَلَا يَكُنْ لَنَا أَحَدٌ قَالَتْ قَرِيْشٌ أَلا تَكُ الْقُلْدِيرُ
نُعْطِي السُّوْيَةَ مِنْ طَعْنٍ لَهُ نَقْدٌ وَلَا سُوْيَةً إِذْ تَعْلَى الدَّقَانِيرُ
وقال بشر بن ربيعة [من الطويل] :

أَنْتَحْتُ بِيَابَ الْقَلَامِيَةِ فَالِقَتِي وَسَعْدُ بْنُ وَقْلَسٍ عَلَى أَمِيرُ
وسعدُ أَمِيرٌ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ وَخَيْرُ أَمِيرٍ بِالْعِرَاقِ جَرِيرُ
وعندَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نَوَافِلُ وَعِنْدَ الْمُتَنِّى قَضَةُ وَحَرِيرُ
تَذَكَّرْ هَذَاكَ أَهْلُ وَقَعِ سِوْفَنَا يَلْبِسُ قَدِيسٌ وَالْمَكْرُ عَمِيرُ
عَشِيَّةٌ وَدَ الْقَوْمُ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ يُسَارُ جُنَاحِي طَائِرٍ فَيَطِيرُ
إِذَا مَا فَرَّغْنَا مِنْ قِرَاعِ كَتِيبَةٍ دَلَفْنَا لِأُخْرَى كَلِجَالِ تَمِيرُ
تَرَى الْقَوْمَ فِيهَا وَاجِعِينَ كَأَتَمِهِمْ جَدُّ بِأَحْلَى لَهْنٍ زَفِيرُ
فكتب سعدٌ إلى عمر رضى الله عنه بما قال لهما وما زُداً عليه ،
وبالقصدين ، فكتب أن أعطهما على بلائهما ، فأعطى لكل واحد منهما
ألفي درهم .

وعن ابن قتيبة أن سعداً كتب إلى عمر رضى الله عنه يُثْنِي على عمرو
ابن معدى كرب ، فسأل عمر عمراً عن سعد ، فقال : هو لنا كالأب ، أعرابي
في نمرة ، أسد في تأمورته ، يقسم بالسوية ، ويعمل في القضية ، وينفر^(١) في
السرية ، وينقل إلينا حقنا كما تنقل القدرة ، فقال عمر رضى الله عنه : لشدة
ما تقارضا الشاء .

(١) في الأصل «وينفر» محرراً ، وما أثبتناه موافق لما في الشعراء لابن قتيبة
الذى نقل عنه المؤلف

وجاء رجل وعمر بن معدى كرب واقف بالكناسة على فرس له ، فقال :
لأنظرن ما بقي من قوة أبي ثور ، فأدخل يده بين ساقه وبين السرج ، ففطن
عمر ، فضمها عليه وحرك فرسه فجعل الرجل يعدو مع الفرس ، لا يقدر أن ينزع
يده ، حتى إذا بلغ منه قال : يا ابن أخي ، مالك ؟ قال : يدي تحت ساقك ، ففلى
عنه ، وقال : يا ابن أخي إن في عمك لبقية بعد .

وكان عمرو - مع شجاعته ومواقفه - مشهوراً بالكذب ، فحدث المبرد قال :
كانت الأشراف بالكوفة يخرجون إلى ظهرها يتناشدون الأشعار ، ويتحدثون ،
ويتذاكرون أيام الناس . فوقف عمرو إلى جانب خالد بن الصقعب النهدي ،
فأقبل عليه يحدثه ، ويقول : أغرت على بني نهد ، فخرجوا إلى مسترعفين
بخالد بن الصقعب يقدمهم فطعنته طعنة فوق ، وضربته بالصمصامة حتى فاضت
نفسه ، فقال له الرجل : يا أبا ثور إن مقتولك الذي تذكره هو الذي تحدثه ، فقال :
اللهم غفراً ! إنما أنت محدث فاستمع ، إنما نتحدث بمثل هذا وأشباهه لتهرب
هذه المحدثية (١)

وقال محمد بن سلام : أبت العرب إلا أن عمرا كان يكذب ، قال : قلت
لخلف الأحمر ، وكان مولى للأشعرين ، وكان يتعصب لليمانية : أكان عمرو
يكذب ؟ قال : كان يكذب باللسان ويصدق بالفعل

وعن زياد مولى سعد قال : سمعت سعداً يقول - وبلغه أن عمرو بن معدى كرب
وقع في الحز ، وأنه قد دله - : لقد كان له موطن صالح يوم القادسية عظيم (٢)
الفناء شديد النكابة للعديو ، فقبل له : فقيس بن مكشوح ؟ فقال : هذا أبذل لنفسه
من قيس ، وإن قيساً لشجاع

(١) يريد بالمحدثية العدنانيين من العرب أبناء معد بن عدنان

(٢) في الأصل « عظيم العناء » بالعين مهملة ، وهو محرف عما أثبتنا

وعن أبي محمد المهرابي قال : كان شيخ يجالس عبد الملك بن عمير فسمعه يحدث قال : قدم عيينة بن حصن السكوفة ، فأقام بها أياما ، ثم قال : والله مالى بأبي ثور عهد منذ قدمنا هذا الغائط ، يعنى بأبي ثور عمرو بن معدى كرب ، أسرج لى يا غلام ، فأسرج له فرساً أنثى من خيله ، فلما قربها إليه ليركبها ، قال له : ويحك ! أرايتنى ركبت أنثى فى الجاهلية فأركبها فى الاسلام ، فأسرج لى حصاناً فأدبرجه ، فركبه وأقبل إلى محلة بنى زبيد . فسأل عن محلة عمرو بن معدى كرب ، فأرشد إليها ، فوقف ببابه ، ونادى : أى أبا ثور أخرج إلينا ، فخرج إليه مؤتزراً كأنما كسر وجبر ، فقال : انعم صباحاً أبا مالك . قال : أو ليس قد أبدلنا الله بهذا السلام عليكم ! قال : دعنا مما لا نعرف ، انزل فان عندى كبشاً شناعاً^(١) فنزل فعمد إلى الكبش فذبجه ، ثم كشط جلده عنه ، وعُضَاهُ^(٢) وألقاه فى قدر جماع وطبخه حتى إذا أدرك جاء بجمعة عظيمة ففرد فيها وألقى القدر عليها ، فقعدا فأكلاه ، ثم قال له : أى الشراب أحب إليك : اللبن ، أم ما كنا نتنادم عليه فى الجاهلية ؟ قال : أو ليس قد حرمها الله عز وجل علينا فى الاسلام ؟ قال : أنت أكبر سنأ أم أنا ؟ قال : أنت ، قال : أفأنت أقدمُ إسلاماً أم أنا ؟ قال : أنت ، قال : فأتى قد قرأت ما بين دفتى المصحف ، فوالله ما وجدت لها تحريماً ، إلا أنه قال (فهل أنتم متبهون) فقلنا : لا ، فسكت وسكتنا ، فقال له : أنت أكبر سنأ وأقدمُ إسلاماً ، فجاء بها ، فجلسا يتناذمان ويشربان ويذكران أيام الجاهلية حتى أمسيا ، فلما أراد عيينة

(١) فى الاصل « كبشا ساخا » وفى الاغانى « كبشا سيابحا » وأحسبهما جميعاً محرفين عما أثبتناه ، فانه يقال : بكر شناع - بزنة ثمان - إذا كان فتياً ، والشناع والشناحي والشناحية - بتخفيف الياء - الجسم الطويل من الابل .

(٢) عضاه - بتشديد الضاد - قطعه أجزء

الانصراف قال عمرو بن معدى كرب : ولئن انصرف أبو مالك بغير حياء
إنها لوصة على ، فأمر بناق له أرحية كأنها جبيرة لجين ، فارتحلها وحملها
عليها ، ثم قال : يا غلام ، هات المزود ، فجاء بمزود فيه أربعة آلاف درهم ،
فوضعها بين يديه ، فقال : أما المال فوالله لا قبلته ؛ قال : فوالله إنه لمن
جاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فلم يقبله عينه ، وانصرف ، وهو يقول
[من الطويل] :

جُزيتَ أبا ثورٍ جزاءَ كرامةٍ فنعمَ الفتى المُزْدَرُ والمنصِفُ
قريتَ فأكرمتَ القرى وأفدتنا خبيةً علمٌ لم تكن قطُّ تُعرفُ (١)
وقلتَ حلالٌ أن نُديرَ مدامةً كلونٍ انثقاقِ البرقِ والليلِ مُسدِفُ
وقدّمتَ فيها حجةً عربيةً تردى إلى الانصافِ من ليس ينصفُ
وأنتَ لنا والله ذى العرشِ قدوةً إذا صدّنا عن شربها المتكفُفُ
تقولُ أبو ثورٍ أحلَّ حرامها وقولُ أبى نورٍ أسدٌ وأعرَفُ (٢)
وغزا عمرو بن معدى كرب هو وأبى المرادى فأصابوا غنائم ، فادعى أبى
أنه قد كان مسانداً ، فأبى عمرو أن يعطيه شيئاً ، وبلغ عمراً أنه يتوعدّه ، فقال
عمرو فى ذلك قصيدة أولها [من الوافر] :

أعاذلُ شكنتى بدنى ورُحى وكل مقلّص سلس القيادِ (٣)
أعاذلُ إنما أفنى شبابى وأفرح عاتقى ثقلُ التجادِ (٤)

- (١) فى الأغاني « تحية علم » وأراه محرفاً عما هنا
(٢) فى الأصل « تقول أبا ثوراً حل حرامها » وما أثبتناه موافق لما فى الأغاني
(٣) فى الأصل « أعاذل سكنتى » محرفاً وما أثبتناه موافق لما فى الأغاني (١٤ - ٣٣)
(٤) روى ابن قتيبة عجز هذا البيت
* ركوبى فى الصريح إلى المنادى *

تَمَسَّانِي لِيَلْقَانِي أَبِي وددت وأينما منى ودادى
ولو لاقيتنى وسمى سلاحي تكشف شعْمُ قلبك عن سواد
أريد حياته ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد^(١)
وهذا البيت كان يتمثل به على بن أبى طالب رضى الله عنه إذا أعطى الناس
ورأى ابن ملجم قاتله الله

وكان سبب موت عمرو بن معدى كرب ما حكاه ابن قتيبة وغيره قالوا :
كانت مغازى العرب إذ ذاك الرى ودمستى فخرج عمرو مع شباب من منسج حتى
زل الخان الذى دون روضة ، فتعدى القوم ثم نأوا وقام كل رجل منهم لقضاء
حاجته ، وكان عمرو إذا أراد الحاجة لم يجترئ أحد أن يدعوه وإن أبطأ ، فقام
الناس للرحيل وترحلوا إلا من كان فى الخان الذى فيه عمرو ، فلما أبطأ صحنه به :
يا أبا ثور ، فلم يجبنا ، وسمعننا عزاً شديداً^(٢) ومراساً فى الموضع الذى دخله ، فقصدناه
وإذا به محمراً عيناه مائلاً شدة فقلوبنا فحملناه على فرس ، وأمرنا غلاماً شديداً
الذراع فارتدفه ليعمل ميله ، فمات بروضة ، ودفن على قارعة الطريق ، فقالت
امراته الجعفية تربيته [من الطويل]

لقد غادر الركبُ الذين تحملوا بروضة شخصاً لا ضعيفاً ولا غمراً
فقل لزيد بل لمنسج كلها فقدنتم أبا ثور سنانكم عمراً
فإن تجزعوا لا ينن ذلك عنكم ولكن سلوا الرحمن يُعقبكم صبراً

(١) فى الأغاني « أريد حياته » وهو المعروف فى رواية هذا البيت
(٢) العاز - بفتح العين واللام جميعاً - قلق وخفة وهلع المريض والأسير
والحريص والمحترض وفعله من باب فرح ، وهو عاز كفرح أى قلق ، والمراس
- بكسر الميم - الشدة ومعالجة الأمر

شاهد للمشكلة ١١٩ - قالوا اقترح شيئاً نُجِدَ لك طَبِخُهُ قلت اطيخوا لي جُبَّةً وقيصاً

البيت من الكامل ، وقائله أبو الرقعمق ، يروى أنه قال : كان لي إخوان أربعة ، وكنت أنادمهم أيام الأستاذ كافور الإخشيدي ، فجاءني رسولهم في يوم بارد ، وليست لي كسوة تحصني من البرد ، فقال : إخوانك يقرأون عليك السلام ويقولون لك : قد اصطبخنا اليوم وذبحنا شاة سميئة فاشتبه علينا ما نطبخ لك منها ، قال : فكسبت إليهم [من الكامل] :

إخواننا قصدوا الصبح بسحرة فآتي رسولهم إلى خصوصاً

قالوا اقترح شيئاً نُجِدَ لك طَبِخُهُ قلت اطيخوا لي جبة وقيصاً

قال : فذهب الرسول بالرقعة ، فاشمرت حتى عاد ومعه أربع خلع وأربع صرر في كل صرة عشرة دنائير ، فلبست إحدى الخلع وصرت إليهم

والشاهد فيه : المشكلة ، وهي : ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرًا ، وهي هنا قوله اطيخوا فانه أراد خيطوا فذكر خياطة الجبة والقيص بلفظ الطبخ لوقوعها في صحبة طبخ الطعام

ومثل البيت قول ابن جابر الأندلسي [من الكامل] :

قالوا اتخذ دهنًا لقلبك يشفه قلت ادهنوه بخدها المتورد

وذكرت باشتهاء أبي الرقعمق قول بعضهم [من الخفيف] :

قال لي عودى غداة أتوني ما الذي تشتهي واجتهدوا بي

قلت مُملًى فيه لسان وشاة قطعوه فيه بصنع عجيب

وأضيفت إليه كبدة حسود فقيمت فوقها عيون الرقيب

وقول الآخر [من الكامل] :

عندى لكم يوم التواصل فرحة يا معشر الجلساء والندماء

من أمثلة
المشاكلة

أشوى قلوب الحاسدين بها وألسنة الوشاة وأعين الرُقباء
ومن أمثلة المشاكلة قول عمرو بن كلثوم في معلقته [من الوافر] :
ألا لا يبجلن أحدن علينا فنجل فوق جهل الجاهليين
أراد : فنجازيه على جهله ؛ فجعل لفظة « فنجل » موضع « فنجازيه »
لأجل المشاكلة .

ومثل الأول ما حكى عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، أنه كان يشرب
في منزله ، وعنده مائى الموسوس ، فقال عبيد الله [من الوافر] :
أرى غيماً تؤلفه جنوبٌ وأحسب أن ستأتينا بهطل
فخزمُ الرأى أن تأتى برطل فتشربه وتأتيني برطل
فقال : ما هكذا قال الشاعر ، وإنما هو :

أرى غيماً تؤلفه جنوبٌ أراه على مساءتنا حريصاً
فخزمُ الرأى أن تأتى برطل فتشربه وتكسونى قيصاً

وأبو الرقعمق ^(١) هو أحمد بن محمد الأنطاكي الشاعر المشهور ، ذكره
الغالبى في اليتيمة فقال : هو نادرة الزمان ، وجملة الاحسان ، ممن تصرف بالشعر
[الجزل ^(٢)] في أنواع الجذ والهزل ، وأحرز قصبات الفضل ؛ وهو أحد المداح
المجيدين ، والشعراء المحسنين ، وهو بالشام كابن حجاج ^(٣) بالعراق . ومدح ملوك
مصر ووزراءها : فن غرر شعره قوله بمدح الوزير يعقوب بن كلس ؛
[من الخفيف] :

(١) نجد ترجمة أبي الرقعمق في يتيمة الدهر (١ - ٢٦٩ مصر)

(٢) زيادة عن اليتيمة

(٣) في الاصل « كابن الحجاج » وقد أثبتنا ما ورد في اليتيمة

قد سمعنا قائله واعتذاره وأقلناه ذنبه وعشاره
والمعاني لمن غنيت ولكن بك عرّضت فاسمعي يا جارة
منها :

سَحَرَتْنِي الحَاضِرُ وكذا كلُّ مَلِيحٍ عِيُونُهُ سَحَارَةٌ
مَاعَلَى مؤثِرِ التَّبَاعِدِ والاعراضِ لَوَآيَرِ الرِّضَا والزِّيَارَةِ
وهي طويلة، وأكثر شعره جيد على هذا الأسلوب. مثل صريع الدلاء والقصار.
ومن شعره على طريق ابن حجاج قوله [من مجزوء الكامل] :

كُتِبَ الحَصِيرُ إِلَى السَّرِيرِ أَنْ الفَصِيلَ ابْنَ البَعِيرِ
فَلَا مَنَعَ جَارَتِي سَتَيْنِ مِنْ أَكْلِ الشَّعِيرِ
لَاهُمْ إِلَّا أَنْ تَطِيَّ رَمَنْ الهَزَالَ مَعَ الطَّيْرِ
وَلَا خَبَرَكَ قِصَّتِي فَلَقَدْ سَقَطَتْ عَلَى الخَبِيرِ^(١)
إِنَّ الَّذِينَ تَصَافَعُوا بِالْقِرْعِ فِي زَمَنِ القُشُورِ
أَسَفُوا عَلَيَّ لِأَنَّهُمْ حَضَرُوا وَلَمْ أَكُ فِي الحُضُورِ
لَوْ كُنْتُ نَمَّ لَقِيلَ هَلْ مِنْ أَخَذَ بِيَدِ الضَّرِيرِ
وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الصَّدِيقِ الْبَيْتَ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ
مَتَشَرًّا مَتَبَخِّرًا لِلصَّغْعِ بِالدَّلْوِ الْكَبِيرِ
فَأَدْرَتْ حِينَ تَبَادَرُوا دَلَوِي فَكَانَ عَلَى الْمَدِيرِ^(٢)
يَا لِلرِّجَالِ تَصَافَعُوا فَالْصَّغْعُ مُفْتَاخُ السَّرِيرِ

(١) في اليتيمة « فلقد وقعت على الخبير » وما هنا أقرب إلى قولهم في المثل
« على الخبير بها سقطت »
(٢) في الأصل « فأردت حين تبادروا » وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة
ويقضيه عجز البيت

هو في المجالس كالبحر ر وكالفلائد في النحر^(١)
 وله قصيدة طويلة مشهورة أولها [من مجزوء الرجز] :
 وقوقى وقوقى هدية في طبق^(٢)
 أما ترون بينكم تيساً طويل العنق
 وكانت وفاته سنة تسع وتسعين وثلثمائة

* * *

شاهد المزاجية

١٢٠ — إذا ما نهى النهى فلجج في الهوى

أصاحت إلى الواشي فلجج بها الهجر

البيت للبحرئى ، من قصيدة^(٣) من الطويل في الفتح بن خافان ، أولها
 متى لاح برق أو بدا طلل ففر جري مُسْتَهْلٌ لا بطيء ولا تَزُرُ
 وما الشوق إلا لوعة بعد لوعة وغُرُ من الآفاق تتبعها غرُ
 فلا تذكر عهد التصابي فانه تقضى ولم يشعر به ذلك العصر^(٤)
 إلى أن يقول فيها :

هل العيش إلا أن تساعفنا النوى بوصل سعاد أو يساعدنا الدهر
 إلى أن يقول فيها :

(١) في اليتيمة روى هذا البيت :

هو في المجالس كالبحر ر فلا تعلموا من بخورى

(٢) كتب مصحح مطبوعة بولاق هنا ما نصه « قوله وقوقى إلخ ، هو
 كالذى قبله من قبيل المجون الذى قد يؤتى فيه بألفاظ خالية من المعانى » اهـ

(٣) اقرأها في الديوان (١ - ٢١٧)

(٤) في الديوان * تقضى ولم يشعر به ذلك العصر * وهو أرق

على أنها ما عندها لمؤاصيل وإِصالٌ ولا عنها لمصطبرٍ صبرٌ
وبعده البيت ، وهي طويلة يقول منها في المخلص :
لمعركَ ما الدنيا بناقصة الجُدا إذا بقيَ الفتحُ بن خافان والقطرُ (١)
ومعنى أصاغت استمعت ، والواشى : التمام الذى يشئ حديثه ويزينه
والشاهد فيه : المزاوجة ، وهى : أن يزواج المتكلم بين معنيين فى الشرط
والجزاء ، فهنا زواج بين نهى الناهى وإصاغتها إلى الواشى الواقعين فى الشرط
والجزاء فى أن يترتب عليهما لجأج شيء .
ومثله قوله أيضا [من الطويل] :
إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها (٢)
فزواج بين الاحتراب وتذكر القربى الواقعين فى الشرط والجزاء فى ترتب
فيضان شيء عليهما .

من أمثلة
للزوجة

ومن المزاوجة قول أبى تمام [من المتقارب] :
وكنا جميعاً شريكى عنانٍ رضىعى لبانٍ خليلي صفاء
وفى معنى صدر البيت قول أبى نواس [من البسيط] :
دَعْ عَنْكَ لَوْمَى فَإِنَّ اللُّومَ إِغْرَاهُ وَدَاوِيَّ بِالَّتَى كَانَتْ هِىَ الدَّاهِ
وقول ابن زريق البغدادي [من البسيط] :
لَا تَعْدِلِيهِ فَإِنَّ الْعَدْلَ يُؤْلِمُهُ قَدْ قُلْتُ حَقًّا وَلَكِنْ لَيْسَ يَسْمَعُهُ
وقول ابن شرف القيروانى [من الكامل] :
قُلْ لِلْعَدُولِ لَوَاطَلْتُ عَلَى الذِّى عَايَنْتُهُ لَمَنْكَ مَا يَعْنِينِى (٣)

- (١) الجدار برنة الفتى - الخبر ، والقطر - بفتح فسكون - المطر
(٢) احتربت : أراد حاربت
(٣) فى الأصل « أعناك ما يعنينى » وعندنا أنه محرف عما أثبتناه

أَتَصَدَّقُ أُمَّ لِلْفَرَامِ تَرُدُّنِي وتولموني في الحب أُمَّ تُغْرِبُنِي
 دَعْنِي فَلَسْتُ مُعَاقِبًا بِجَنَابِي إِذْ لَيْسَ دِينُكَ لِي وَلَا لَكَ دِينِي
 وَقَوْلُ الصَّابِي [مِنْ الْخَفِيفِ] :
 أَيُّهَا اللَّائِمُ الْمُضِيقُ صَدْرِي لَا تَلْمِني فَكَثْرَةُ اللُّومِ تُغْرِبُنِي
 قَدْ أَقَامَ الْقَوَامُ حُجَّةَ عَشْقِي وَأَيَّانَ الْعَذَارُ فِي الْحَبِّ عَذْرِي

١٢١ — قِفْ بِالْذِّبَارِ الَّتِي لَمْ يَعْطَهَا الْقَدَمُ بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدِّيمُ شَاهِدُ الرَّجُوعِ

أُلبيت من البسيط، وهو أول قصيدة لزهير^(١) بن أبي سلمى، يمدح بها
 هرم بن سنان، وبعده :

لَا الدَّارُ غَيْرَهَا بَعْدُ الْأَنْيَسُ وَلَا بِالْذِّبَارِ لَوْ كَلَّمَتْ ذَا حَاجَةٍ صَمُ
 دَارُ الْأَسْمَاءِ بِالْفَعْمَرَيْنِ مَائِلَةٌ كَالْوَحْيِ لَيْسَ لَهَا مِنْ أَهْلِهَا أَرَمُ^(٢)
 يَقُولُ مِنْهَا فِي مَدْحِهِ :

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَسَكَنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمُ

(١) اقرأها في الديوان (ص ١٤٥ طبع دار الكتب)

(٢) الغمر - بنتج فسكون - اسم موضع، وقد ثناء باعتبار ناحيته أو
 أنه ضم إليه مكانا يجاوره فغلب اسم هذا على ذلك، وكثيرا ما يفعل الشعراء
 ذلك لأحد هذين الوجهين. والمائل، هنا: الذاهب الذي لا يرى له شخص، وليس
 بها أرم: أي ليس بها أحد، وتقول: ليس بهذه الدار أحد، ولا أرم، ولا
 غريب، ولا ديبج - بزنة سكين - ولا كتيع، ولا ديار، ولا نافع
 ضرمه، وابن درستويه يقول: ليس بها أرم، من الأرم - بزنة سبب -
 وهو العلم، والمراد ليس بها ناصب علم.

هو الجوادُ القى يمطيكَ نائلُهُ غفراً وَيُظلمُ أَحِبَّائاً فيظلمُ
 قَدْ أَتَاهُ خَيْلٌ يَوْمَ مَالِهِ يقولُ لَا غُلبَ مَالِي وَلَا حَرَمُ
 وهي طويلة.

والأرواح : جمع ريح ، ويجمع على أرياح أيضاً ، وريح - بكرة
 الرءاء وفتح الياء - والديم : جمع ديمة ، وهي المطر الدائم في سكون .

والشاهد في البيت : الرجوع ، وهو العود إلى الكلام السابق ، بالنقض
 والابطال لنكته ، فهنا دل صدر البيت على أن تناول الزمناً وتقدم المهد لم
 يعف الفيل ، ثم عاد إليه ونقضه في عجز البيت بأنه قد غيرتها الريح والأمطار (١)
 لنكته ، وهي هنا : إظهار الكآبة والحزن والحيرة والبهش ، كأنه أخبر أولاً
 بما لم يتحقق ، ثم رجع إليه عقله وأطق بعض الافة فنقض كلامه السابق .

ومثله قول الشاعر (٢) [من الطويل] :

هَ قَافٍ لَهَذَا الدَّهْرُ لَا يَلُ لَأَهْلِهِ ۝

وقول ابن الطثرية [من الطويل] :

أَلَيْسَ قَلِيلاً نَظَرُهُ إِنْ نَظَرْتَهَا إِلَيْكَ؟ وَكَلَّا لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلُ

وقول أبي البداء [من الطويل] :

(١) هذا قول ذهب إليه أبو عبيدة ، وتبعه عليه جمهرة العلماء ، وكان أبو
 زيد يقول : معنى البيت أن بعض الديار قد عفا ولم يعف بعض آخر
 (٢) مثل هذا من قول للشعراء قول الطهوي :
 فلا تبعدن يا خير همرو بن جنذب بلى إن من زار القبور ليعبدا
 وقول سلامة بن جندل السعدي :

لمن طلل مثل الكتاب المنق عفا عهده بين الصليب فطرق
 أكب عليه كاتب بدواته وحادثه للعين جدة مهرق

من أمتة
الرجوع

ومالى أتصاّر إن غداً المهرُ جازراً
على ، بلى إن كان من عنك التصرُّ
وقول المتنبي [من الطويل] :

لِحَبِيبَةٍ أُمُّ غَادِرٍ رَفَعَ السَّجْفُ
لَوْحِشَةٍ ، لَأَمَّا لَوْحِشَةٍ شَفْهُ
وما أحسن قول أبي بكر الخوارزمي في شمس المالى قابوس بن وشكير^(١) ،
صاحب خُرْجَن [من البسيط] :

لَمِيقَ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَهْلَبُ لَهُ
فَلَمْ أَهْلَبْ أَنْكَرَ الْجَفْنِ فِي الْقَمْرِ
أَسْتَفْرِقُ اللَّهَ مِنْ قَوْلِي ، غَلَطْتُ ، بَلَى
أَهْلَبُ شَمْسُ الْمَعَالَى أُمَّةَ الْأَمْرِ
وله فيه أيضاً [من المتقارب] :

إِذَا مَا ظَمُنْتُ إِلَى رِيقِهِ
جَلْتُ الْمَمَامَةَ مِنْهُ بِدِيلٍ
وَأَيْنَ الْمَمَامَةُ مِنْ رِيقِهِ
وَلَكِنْ أَعْلَى قَلْبًا عَلِيلاً

وبديع قول السراوندي [من الكامل] :

كَالْبَدْرِ بِلْ كَالشَّمْسِ بِلْ كَكَلِيمَا
كَكَلِيثِ بِلْ كَالنَّيْثِ هَطْلِ الْهَيْمِ
وما الألف قول ابن سناء الملك [من الكامل] :

وَمِلِيَّةٌ بِالْحَسَنِ يَخْرُ وَجْهًا
بِالْبَدْرِ يَهْزَأُ رِيقَهَا بِالْقَرْقَفِ^(٢)
لَا أَرْضَى بِالشَّمْسِ تَشْبِيهَا لَهَا
وَالْبَدْرِ بِلْ لَا أَكْفَى بِالْمَكْنَى
وهو من قول ابن المعتز [من الكامل] :

وَاللَّهِ لَا كَلِمَتَهَا لَوْ أَنَّهَا
كَالْبَدْرِ أَوْ كَالشَّمْسِ أَوْ كَلَلِ الْكَتْفِ

(١) في المطبوعتين « بن وشكير » محرراً

(٢) القرقف - بفتح القافين وسكون الراء بينهما - الحُرّ

شامه
الاستخدام

١٢٢ - إذا نزل السماء بأرض قومٍ رَعيناهُ وإن كانوا غَضابًا

نسب غالب شارحى التلخيص هذا البيت لجرير ، وهو من قصيدة (١) من
الوافر ، أولها :

أقلَى اللومَ عاذِلَ والعنابًا وقولِي إن أصبْتُ لَقَدْ أَصَابًا
أَجْدُكَ ما تَذَكَّرَ عهدٍ نَجِدِ وحَيًّا طالما انتظروا الايابًا
بلى قَارِضٌ دُمُوكَ غَيْرَ نَزِرٍ كما عَيَّنْتُ بالسَّربِ الطَّابَا (٢)
وهاجَ البرقَ ليلَةً أَذْرَعَاتِ هوى ما تَسْتَطِيعُ لَهُ طَلابَا

وهى طويلة ، والهجا : الغيث .

ونسبه المفضل فى اختياراته لمعاوية بن مالك بن جعفر معمود الحكماء (٣)
وساقه فى قصيدة طويلة أولها :

أَجَدَ القلبُ من سُلَى اجْتِنابًا وأَقْصَرَ بعد ما شَابَتْ وشابًا

(١) أقرأ هذه القصيدة فى ديوان جرير (٦٤) والبيت الرابع ورد أيضا
مطلع قصيدة له أخرى (ص ٢٢) وروى العيني أبياتا من هذه الكلمة من
أولها وليس فيها البيت الرابع ، وانظره بهاءى الخزاعة (١ - ٩٢)
(٢) فى الأصل « كما يَمِيتُ بالشربِ الظنابا » وأثبتنا ما فى الديوان والعيني
« عَيْنُ » أصله أنهم كانوا يصنعون أوغية الماء من الجلد ، فكانوا حين يَمُونُ
صنمها أو حين يشترُون أحدها يضعون فيه الماء ينظرون هل ينصب منه الماء
فهذا هو التعمين ، ويقول أحدهم لصاحبه : عين إناءك . والسرب : السيلان ،
والطباب جمع طبابة - بكسر الطاء فهما - قال الأصمعي : هى الجلدة التى يغطي
بها الخرز ، وهى معترضة على موضع الخرز كالاصبع
(٣) فى الأصل « معوذ » بالذال معجمة وهو مخريف وإيماء سى معاوية
معمود الحكماء لقوله فى هذه القصيدة :

اعود مثلها الحكماء بعدى إذا ما الحق فى الأشيع نابا

وشابَ لِدَاتِهِ وَعَدَلْنَ عَنْهُ كَمَا أَنْصَيْتُ مِنْ لُبْسٍ ثِيَابًا
فَإِنْ يَكُ نَبِلَهَا طَاشَتْ وَنَبِلَى فَقَدْ نَزِمَى بِهَا حَقْبًا صِيَابًا^(١)
فَنَصْطَادُ الرِّجَالِ إِذَا رَمَتْهُمْ وَأَصْطَادُ الْحَيَاةِ الْكُفَّابَ.

منها :

وَكُنْتُ إِذَا الْعَظِيمَةُ أَفْرَعَتْهُمْ نَهَضْتُ وَلَا أَدْبُ لَهَا دَبَابًا^(٢)
بِحَمْدِ اللَّهِ ثُمَّ عَطَاءُ قَوْمٍ يَفْكُونُ الْفَنَائِمَ وَالرَّقَابَا
إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا^(٣)
بِكُلِّ مَقْلَصٍ عَيْلٍ شَوَاهُ إِذَا وَضَعْتُ أَعْنَتَهُنَّ ثَابًا^(٤)

ويدل على أن هذا البيت من هذه القصيدة أنه لم يوجد في قصيدة جريو
على اختلاف رواة ديوانه

والشاهد فيه : الاستخدام ، وهو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم يراد
بضميره الآخر ، أو يراد بأحد ضميريه أحدهما ، ثم يراد بالآخر الآخر ،
فالأول كما في البيت هنا ، فإنه أراد بالسما الفيث ، وبالضمير الراجع إليه من
« رعيناه » التبت .

(١) طاشت : عالت وعدلت عن الهدف فلم تصبه . والحقب : جمع حقة
وهي البرهة من الدهر ، وصيابا : جمع صائب ، وهو الذي يصيب الهدف ، وموقع
« صيابا » حال من الضمير المجرور في « بها » أي نزمي بنبالنا حال كونها
صائبة أزمنة متطاولة من الدهر

(٢) في المفضليات « إذا العظيمة أفضطتهم »

(٣) في المفضليات « إذا نزل السحاب »

(٤) في الأصل « إذا وضعت أعنتهن سابا » وما أثبتناه موافق لما في
المفضليات . وثاب : رجع إلى جري جديد لعتقه وفضله

وجري^(١) هو ابن: عطية بن الخطافي، وهو لقبه، واسمه حذيفة بن بدر بن سلمة^(٢) بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ابن مرة، ينتهي نسبه لتزار، ويكنى أبا حَزْرَةَ بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي وفتح الراء وبمدها هاء ساكنة، وهي المرة الواحدة من الحزر وهو والفزرق والأخطل المقدمون على شعراء الاسلام الذين لم يدرِكُوا الجاهلية جميعاً، ومختلفٌ في أيهم المقدم، ولم يبق أحد من شعراء عصرهم إلا تعرض لهم فافتضح وسقط

وكان أبو عمرو يشبه جريراً بالأعشى، والفزرق بزهير، والأخطل بالنابغة وقد حكم مروان بن أبي حفصة بين الثلاثة بقوله [من الكامل] :
ذهب الفَرْزَقُ بالفَخارِ، وإِنما حُلُوْ الكَلَامِ ومِرُهُ لجرير
ولقد هجأ فَاَضَّ أَخطأُ تغلبِ وحوَى اللهُ بِمدحِهِ المشهور^(٣)
كلُّ الثلاثةِ قد أبرَّ بِمدحِهِ وهجاؤُهُ قد سارَ كلُّ مَسِيرِ
فهو كما تراه حكم للفزرق بالفخار، وللأخطل بالمدح والهجاء، وبجميع فنون الشعر لجرير.

وقال أبو العلاء بن جرير النعيرى، وكان شيخاً قد جالس الناس: إذا لم يحمى الأخطل سابقاً فهو سَكَيْتٌ، والفزرق لا يحمى سابقاً ولا سَكَيْتاً، وجرير يحمى سابقاً ومصلحياً وسَكَيْتاً
وحدث مولى لبني هاشم قال: امتري أهل المجلس في جرير والفزرق أيهما

(١) نجد ترجمة جرير في الأغاني (٧: ٣٨ - ٧٧) وفي الشعراء لابن قتيبة

(٢٨٣)

(٢) في الأصل « بن سلم » وأثبتنا ما في الأغاني

(٣) الهيمى : العطايا .

أشعر ، فدخلت على الفرزدق فاسألتني عن شيء حتى نادى : يا نَوَّار ، أدركت برنينيك يا نوار ؟ قالت : قد فعلت أو كادت ، قال : فابغى بدرهم فاشترى لحاء ، ففعلت وجعلت تشرحه وتلقيه على النار ويأكل ، ثم قال : هات برنينك ، فشرب قدحاً ثم ناولني ، وشرب آخر ثم ناولني ، ثم قال : هات حاجتك يا ابن أخي ، فأخبرته ، فقال : أعز ابن الخطفي تسألني ؟ ثم تنفس حتى انشقت حيازيمه ، ثم قال : قاتله الله فما أحسن نأجيته ^(١) ، وأشرد قافيته ، والله لو تركوه لأبكي المعجوز على شبابها ، والشابة على أحبابها ، ولكنهم هرؤوه فوجدوه عند الهراش نابجا ، وعند الجد قادحا ، ولقد قال بيتا لأن أكون قلته أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ، وهو [من الوافر] :

إذا غضبت عليك بنو تميم لقيت القوم كلهم غضابا ^(٢)
وقال إسحاق بن يحيى بن طلحة : قدم علينا جرير المدينة ، فغشده ناله ، فبينما نحن عنده ذات يوم إذ قام لحاجته ، فجاء الأصوص فقال : أين هذا ؟ فقلنا : قام أبفا ، ما تريد منه ؟ قال : أخزيه ، والله إن الفرزدق لأشعر منه وأشرف ، فأقبل جرير علينا ، وقال : من الرجل ؟ قلنا : الأصوص بن محمد بن عاصم بن ثابت ابن أبي الأفلح ، قال : هذا الخبيث بن الظليب ، ثم أقبل عليه فقال : قد قلت [من الطويل] :

يقر بعيني ما يقر بعينها وأحسن شيء ما به العين قررت
فانه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر ، أفيفر ذلك بعينك ؟ قال :
وكان الأصوص يرمى بالأبنة ، فانصرف وأرسل إليه بتمر وفاكة

(١) في الأغاني « فما أخشن نأجيته » ولعله محرف عما هنا ، ونأجيته :

منأجاته يريد أن غزله عذب مستحسن

(٢) المحفوظ * رأيت القوم كلهم غضابا *

وكان راعى الإبل الشاعر يقضى للفرزدق على جرير ويفضله ، وكان راعى الإبل قد ضخم أمره ، وكان من أشعر الناس ، فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال : هل تعجبون لهذا الرجل الذى يقضى للفرزدق على وهو بهجو قومه وأنا أمدحهم ؟ قال جرير : فضربت رأى فيه ، ثم خرج جرير ذات يوم يمشى ولم يركب دابة وقال : والله ما يسرنى أن يعلم أحد ، وكان لراعى الإبل والفرزدق وجلسائهما حلقة بالمربد بالبصرة يجلسون فيها ، قال : فخرجت أتعرض إليه لعلى ألقاه على حiale حيث كنت أراه يمر إذا انصرف من مجلسه ، وما يسرنى أن يعلم أحد ، حتى إذا هو قد مر على بغلة له وابنه جندل يسير وراءه على مهر له أخوى مخدوف الذنب ، وإنسان يمشى معه يسأله عن بعض النسب فلما استقبلته قلت : مرحبا بك يا أبا جندل ، وضربت بشمالى على معرفة بغلته ، ثم قلت له : يا أبا جندل ، إن قولك يستمع ، وإنك تفضل الفرزدق على تفضيلا قبيحاً ، وأنا أمدح قومك وهو بهجوم ، وهو ابن عمى دونك ، ويكفيك عن ذلك إذ ذكرنا أن تقول : كلاهما شاعر كريم ، ولا تحتمل منى ولا منه لأئمة ، قال : فبينما أنا معه وهو كذلك واقفاً على وما ردّ على بذلك شيئاً حتى لحق ابنه جندل فرفع كرمانية معه فضرب بها عجز بغلته ، ثم قال : لا أراك واقفاً على كلب من كلليب كأنك تخشى منه شراً أو ترجو منه خيراً ، وضرب البغلة ضربة فرحتنى رحمة وقعت منها قلنسوتى ، فوالله ما عرج على الراعى فيقول سفينة عوى^(١) يعنى جندلا ابنه ، ولكن لا والله ما عاج على ، فأخذت قلنسوتى فمسحتها ثم أعدتها على رأسى ثم قلت [من الوافر] :

أجندلُ ما تقولُ بنو نميرِ إذا ما لا يُرُ في استِ أبيكِ غاباً

(١) فى الأغانى « فوالله لو يعرج على الراعى لقلت سفينة غوى ، يعنى جندلا ابنه ،

فسمعت الراعى قال لابنه : أما والله لقد طرحت قلنسوته طرحة مشؤومة ، قال جرير : ولا والله ما القلنسوة بأغيظ أمره لى ، لو كان عاج على ، فأنصرف جرير غضبان ، حتى إذا صلى العشاء ومنزله فى عليه له قال : ارفعوا لى باطية من نبيذ وأسرجوا لى ، فأسرجوا له وأتوه بباطية من نبيذ ، قال : فجعل يهينهم ، فسمعت صوته عجوز فى الدار ، فاطلمت فى الدرجة فنظرت إليه فإذا هو يحبو على الفراش عريانا لما هو فيه ، فأنحدرت فقالت : ضيفكم بجنون ، رأيت منه كذا وكذا ، فقلوا لها : اذهبي لطيتك فنحن أعلم به وبما يمارس ، فما زال كذلك حتى كان السحر ، ثم إذا هو يكبر ، قد قالها ثمانين بيتا يهجو بنى نمير ، فلما ختمها بقوله :

ففض الطرف إنك من نميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلابا

كبير ، ثم قال : أخزيتي ورب السكمة ، ثم أصبح حتى علم أن الناس قد أخذوا مجالسهم بالمريد ، وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق ، دعا بدهن فادهن وكف رأسه ، وكان حسن الشعر ، ثم قال : يا غلام أسرج لى ، فأسرج له حصانا ثم قصد مجلسهم حتى إذا كان موقع السلام قال : يا غلام ، ولم يسلم ، قل لعبيد^(١) بمذنبك نسرتك تكسبهن المال بالعراق ؟ أما والذي نفسى بيده لترجعن إليهن بعمرة تسوءهن ولا تسرهن ، ثم اندفع فيها فأنشدنها ، فنكس الفرزدق وراعى الأبل ، وأزم القوم ، حتى إذا فرغ منها وسار وئب راعى الأبل ساعتئذ فركب بغلته بشروعر ، وخلا المجلس ، حتى أوفى إلى المنزل الذى ينزله ثم قال لأصحابه : ركابكم ركابكم فليس ، لكم هنا مقام ، فضحك والله جرير ، فقال له بعض القوم : ذاك شؤمك وشؤم ابنك ، قال : فما كان إلا ترحلهم فساروا إلى أهلهم سيرا ما ساره أحد ، وهم بالشريف - وهو أعلى دار بنى نمير - فيحلف بالله راعى الأبل إنا وجدنا فى أهلنا :

(١) عبيد : هو الراعى ، اسمه عبيد بن حصين النخري

* ففض الطرف إنك من مُبِير *

وأقسم بالله ما بلغه إنسى قط ، وإن لجرير لأشيعا من الجن ، فتشاءمت
به بنو مبير وسبوه وابنه ، فهم يتشاءمون به إلى الآن
وحدث أبو عبيدة قال : التقي جرير والفرزدق بمنى وهما حاجبان فقال
الفرزدق لجرير [من الطويل] :

فإنك لآتي بالنازل من منى فَخَارًا خُبِرَني بَمَنْ أَنْتَ فَاخِرُ
فقال له جرير : ليك اللهم لييك ، قال : فكان أصحابنا يستحسنون
هذا الجواب من جرير ويتعجبون منه

وعن العتي ، قال : قال جرير : ما عشقت قط ، ولو عشقت لنسبت نسيبا
فسمعه المعجوز فيبكي على ما فاتها من شبابها ، وإنى لأروى من الرجز أمثال آثار
الخليل الثرى ، ولولا أنى أخاف أن يستفرغنى لأكثرته منه
وعن أبي عبيدة قال : رأت أم جرير وهي حامل به كأنها ولدت حبلا من
شعر أسود ، فلما خرج منها جعل ينزو فيقع في عنق هذا فيقتله وفي عنق هذا
فيخنقه ، حتى فعل ذلك برجال كثيرين ، فانتبهت فزعة فأولت الرؤيا قبيلا لها :
تلدين غلاما أسود شاعرا ذا شدة وشر وشكيمة وبلاء على الناس ، فلما ولده سمته
جريرا باسم الحبل الذي رأت أنه خرج منها ، قال : والجرير الحبل

وحدث بلال بن جرير أن رجلا قال لجرير : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : قم
حتى أعرفك الجواب ، فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه عطية وقد أخذ عنزا له
فاعتقلها وجعل يمص ضرعها ، فصاح به : اخرج يا أبت ، فخرج شيخ دهم
رث الهيئة وقد سال ابن العنز على لحيته ، فقال : أترى هذا ؟ قال : نعم ، قال :
أو تعرفه ؟ قال : لا ، قال : هذا أبي ، أفندرى لم كان يشرب لبن العنز ؟ قلت :
لا ، قال : مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه لبن ، ثم قال : أشعر الناس

من فآخر يمثل هذا الأب ثمانين شاعراً وقارعهم به فغلبهم جميعاً
 وحدث المدائني قال : كان جرير من أعق الناس بأبيه ، وكان ابنه بلال
 أعق الناس به ، فراجع جرير بلالاً الكلام ، فقال له بلال : الكاذب مني
 ومنك ناك أمه ؟ فأقبلت أمه عليه فقالت له : يا عدو الله ، أقول هذا لأبيك ؟
 فقال جرير : دعيه فوالله لكأني أسمعها وأنا أقولها لأبي
 ونظير ذلك ما حكى عن يونس بن عبد الله الخياط أنه مر به رجل وهو
 يعصر حلق أبيه ، وكان عاقاً به ، فقال له : ويحك ! أتفعل هذا بأبيك ؟ وخلصه
 من يده ، ثم أقبل على الأب يعزيه ويسكنه ، فقال له الأب : أخى لا تله ،
 وأعلم أنه ابني حقاً ، والله لقد خنقت أبى في هذا الموضع الذى خنقتى فيه ،
 فانصرف الرجل وهو يضحك ولأبيه يقول [من الرجز] :

ما زال بي ما زال بي طَمَنُ أبى في النسبِ
 حتى تربيتُ وحتى ساء ظنى بأبى
 ونشأ ليونس ولد يقال له دحيم فكان أعق الناس به ، فقال يونس
 فيه [من المنسرح] :

جلادُ حيمٍ عناية الريبِ والشكِّ منى والظنُّ في نسبِ
 ما زال بي الظنُّ والتشكُّك حتى عتقتى مثل ما عقتت أبى
 وقال يونس بن عبد الله الخياط : جئت يوماً إلى أبى وهو جالس وعنده
 أصحاب له ، فوفقت عليهم لأغيظه وقلت : ألا أنشدكم شعراً قلته بالأمس ؟
 قالوا : بلى ، فأنشدتهم [من البسيط] :

يا سائلِ مَنْ أنا أو مَنْ يناسبُنِي أنا الذى لا له أصلٌ ولا نسبُ
 الكلب يَخْتالُ فخرًا حين يُبْصَرُنِي والكلب أكرمُ منى حين ينتسبُ
 لو قال لي الناس طرّاً أنت الأمانة ما وهم الناس في ذاكم ولا كذبوا

قال : فوثب إلى أبي ليضر بنى ، وعدّوت من بين يديه ، فجعل يشتمى
وأصحابه يضحكون

رجع إلى بقية أخبار جرير

حدث أبو العراف قال : قال الحجاج لجرير والفرزدق وهو في قصره بهيرين
البصرة : اثنياني بلباس أبيك في الجاهلية ، فلبس الفرزدق الدبيلج وانظر
وقعد في قبة ، وشاور جرير دُهّة بنى يربوع ، فقالوا له : ما لاسر آبائنا إلا الحديد
فلبس جرير درعا وتقلد سيفا وأخذ رمحا وركب فرسا لبنا بن الحصين يقال له
المنحاز ، وأقبل في أربعين فارساً من بنى يربوع ، وجاء الفرزدق في هيئته ،
فقال جرير [من الطويل] :

ليست سلاحي والفرزدق لعبة عليه وشاحا كُرّج وجلاجله (١)

أعدّ مع الحلى المَلَّابَ فأنمنا جرير لكم بل وأنتم حلاله (٢)

ثم رجعا ، فوقف جرير في مقبرة بنى حصن ، ووقف الفرزدق في المربد
وأبى الفرزدق إلى المهاجر بن عبد الله وجرير عنده ، فقال [من الكامل] :

مات الفرزدق بعدما جدّعه ليت الفرزدق كان عاش قليلا

فقال له المهاجر : بئس لعمر الله ما قلت في ابن عمك ! أتتهجو ميتا ؟ أما والله
لو دئبته لكنت أكرم العرب وأشعرها ، فقال : إن رأى الأمير أن يكتنمها على
فاتها سوءة ، ثم قال من وقته البيتين السابقين في ترجمة الفرزدق في شواهد
المقدمة ، ثم بكى ، وقال : أما والله إنى لأعلم أنى قليل البقاء بعده ، ولقد كان
نجمنا واحدا ، وكل واحد منا مشغول بصاحبه ، وقلما مات ضد أو صديق إلا
تبعة صاحبه ، فكان كذلك ، مات بعد سنة

(١) كرج - بزة سكر - لعبة كهينة المهر ، ووقع في الأصل « كرجى
وخلأله » وابتدأنا ما في النفاض واللسان (كرج)
(٢) في النفاض « اعدوا مع الحلى »

قال ابن الجوزي : مات سنة إحدى عشرة ومائة ، وكانت وفاته بالجملة ، وعمره نيفا وثمانين سنة ، وقال ابن قتيبة في المعارف : إن أمه حملت به سبعة أشهر .



من شواهد
الاستخدام

١٢٣ — فَسَقَى الْفَضَا وَالسَاكِنِيهِ وَإِنْ مُمْ

شُبُوهُ بَيْنَ جَوَانِحِ وَقُلُوبِ

البيت للبحرئى ، وهكنا هو فى ديوانه — وإن كان فى كثير من نسخ التلخيص ، بل وفى كثير من كتب هذا الفن بلفظ (١) « بين جوانحي وضلوعى » — وهو من قصيدة من الكامل أولها (٢)

كم بالكثيب من اعتراض كئيب وقوام غصن فى الثياب رطيب
تأبى المنازل أن تحبيب ومن جوى يوم الديار دعوت غير محبوب
وبعد البيت ، وهى طويلة

والفضا : شجر معروف ، واحده غصاة ، وأرض غصيانة : كثيرته والشاهد فيه : الاستخدام أيضاً ، فانه أراد بأحد الضميرين الراجعين إلى الفضا وهو المجرور فى الساكنية المسكان وهو أرض لبني كلاب وواد بنجد ، وبالأخر وهو المنسوب فى شبوه النار أى أوقدوا فى جوانحي نار الفضا ، يعنى نار الهوى التى تشبه نار الفضا ، وخص الفضا دون غيره لأن جره بطلء الانطفاء وقد استخدم كثير من الشعراء لفظة الفضا فقال ابن أبى حصينة [من الطويل] :

(١) وكذلك هو فى خزنة الأدب لابن حجة [٦٦]

(٢) أقرأها فى ديوان البحرئى (١ - ٥٧) وبين البيتين اللذين أنشدما المؤلف من أولها فى الديوان بيتان آخران ، وبعدهما قبل البيت المقتضب • بيتان أيضاً ، ورواية بيت الشاهد فى الديوان • فسقى الفضا والنازليه • • •

أُمّة
من استخدام
الشعراء
لفظ الغف

أما والذي حَجَّ الملبّونَ بَيْتَهُ فَمِنْ ساجِدٍ لله فيه وراكِعٍ
لقد جَرَعَتْنِي كَأْسَ يَمِينِ مَرْبَرَةٍ من البُعْدِ سُلَى بَيْنَ تِلْكَ الْأَجَارِعِ
وَحَلَّتْ بَأْسَانَفَ الْغَضَا فَكَأَنَّمَا حَشَتْ نَارَهُ بَيْنَ الْحَشَى وَالْأَضَالِعِ
وقال ابن جابر الأندلسي [من البسيط] :

إِنَّ الْغَضَا لَسَتْ أُنْسَى أَهْلَهُ فَمَهْمُ شَبْرُهُ بَيْنَ ضُلُوعِي يَوْمَ بَيْنِهِمْ
جَرَى الْعَقِيقُ بِقَلْبِي بَعْدَ مَا رَحَلُوا وَلَوْ جَرَى مِنْ دُمُوعِ الْعَيْنِ لَمْ أَلَمْ
وقال ابن قلاؤس الاسكندري [من الكامل] :

حَلَّتْ مَطَايِمًا بِمَلْفِ الْغَضَا فَكَأَنَّمَا شَبْرُهُ فِي الْإِكْبَادِ

و بديع قول البدرين لؤلؤ الذهبي [من الكامل] :

أَجَامَةُ الْوَادِي بِشَرَقِ الْغَضَا إِنْ كُنْتُ مُسَوِّدَةَ الْكُثَيْبِ فَرَجَمِي
وَلَقَدْ تَقَاسَمْنَا الْغَضَا فَمَقْصُونُهُ فِي رَاحَتَيْكَ وَجَمْرُهُ فِي أَضْلَعِي

ولؤلؤه من قصيدة [من الطويل] :

وَحَقِّكَ إِنِّي لِلرِّيَاحِ لِحَاسِدٍ فِي كُلِّ حِينٍ بِالْأَحْيَةِ مُخْطَرُ
تَمَرُ الصَّبَا عَفْوَاعِي مَا كَى الْغَضَا وَفِي أَضْلَعِي نِيرَانُهُ تَسْعَرُ
فَتَذَكِّرُنِي عَهْدَ الْعَقِيقِ وَأَدْمَعِي بِسَاقِطِهِ وَالشَّىءِ بِالشَّىءِ يَذْكُرُ
وَيُورِثُ عَيْنِي السُّفْحَ حَتَّى تَرَى بِهِ مَعَالِمَ بِالْأَحْبَابِ تَزْهَوُ وَتَزْهَرُ

ومن الاستخدام البديع قول المعري يرثي فقيها حنفياً [من الخفيف]

وَفَقِيهُ الْفَازِلُ شِدْنَ لِلنُّعْمَانِ مَا لَمْ يَشْدَهُ شَعْرُ زِيَادِ

وقوله أيضاً يصف درعا [من الخفيف] :

نُورَةٌ مِنْ ضَائِحَاتِ الْقَنَا الْخَطِيءِ عِنْدَ الْقَاءِ نَثْرُ الْكُيُوبِ
مِثْلُ وَشِي الْوَلِيدِ لَا تَنْتَ وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الصُّنْعِ مِثْلُ وَشِي حَبِيبِ

أُمّة
من بديع
الاستخدام

تلك ماذية وما لذباب السيف والصيف عندها من نصيب
 فاستخدم لفظ « الذباب » في معنيته : الأول طرف السيف ، والثاني
 الطائر المعروف .

ولابن جابر الأندلسي فيه [من البسيط] :
 في القاب من جبكم بدر أقام به فالطرف يزداد نوراً حين يُبصره
 تشابه العمدة حسناً فوق لبتة والثغر منه إذا ما لاح جوهرة
 ومن ظريف الاستخدام قول السراج الوراق [من السريع] :
 دع الهوى نى وانتصب واكتسب واكبدخ فنفس المرء كداحة
 وكفى عن الراحة في مزلج فالصقع موجود مع الراحة
 استخدم الراحة في معنيها : الأول من الاستراحة ، والثاني من اليد
 وبيد قول الصفي الحلبي [من الطويل] :

لئن لم أبرقع بالحيا وجه عفتي فلا أشبهه راحتي في التكرم
 ولا كنت ممن يكسر الجفن في الوغى إذا أنا لم أغضضه عن رأى محرم
 ومن الاستخدامات البديعة قول ابن نباتة المصري ^(١) بمدح النبي صلى الله
 عليه وسلم [من الطويل] :

إذا لم تقض عيني العقيق فلا رأت منازلها بالقراب تبهى وتبهر
 وإن لم تواصل عادة السفح مقلتي فلا عاها عيش بمنه أخضر
 ومنها :
 سقى الله أكناف الغضا سائل الحيا وإن كنت أسقى أدمعاً تتحدر

(١) روى ثمانية الأبيات ابن حجة الحموي في خزنة الأدب (٦٨) .
 وروى معها عشره أبيات أخرى

وعيشاً نَصَى عَنْهُ لُزْمانَ بِيَضَهُ وَخَلَقَهُ فِي الرُّأْسِ بَرْهَرُ وَبَرْهَرُ
تَغْيِرَ ذَلِكَ للونِ مَعَ مَنْ أَحْبَبَهُ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَاعِزُّ لَا يَتَغْيِرُ^(١)
وَكَانَ الصَّبَّ لَيْلاً وَكَنتُ كَعَالِمٍ فِي أَسْفَى وَالشَّيْبِ كَالصَّبْحِ يُسْفِرُ
يُطْلِقُنِي تَحْتَ الْعِمَامَةِ كَنَمَةٍ فَيَمْتَدُّ قَلْبِي جَسْرَةً حِينَ أُخْبِرُ
وَتَتَكَرَّرُنِي لَيْلِي وَمَا خِلْتُ أَنَّهُ إِذَا وَضَعَ المرءُ الْعِمَامَةَ يَنْكُرُ^(٢)

ومن الاستخدام أيضاً قول العلامة عمر بن الوردى رحمه الله تعالى [من
مجزؤه الوافر]:

وَرَبِّ غَزَالَةٍ طَلَعَتْ بِقَلْبِي وَهَوٍّ مَرَعَاهَا
نَصَبْتُ لَهَا شَبَاكاً مِنْ لُجَيْنٍ نَمٍّ صِدْنَاهَا
وَقَالَتْ لِي وَقَدْ صِرْنَا إِلَى عَيْنٍ قَصْدْنَاهَا
بَذَلْتُ الْعَيْنَ فَأَكْهَلَهَا بِطُلْعَتِهَا وَجَرَاهَا

ومنه قول ابن مليك رحمه الله تعالى [من الطويل]:

فَكَمْ رَدَّ مِنْ عَيْنٍ وَجَادَ بِمِثْلِهَا وَلَوْلَاهُ مَاضَاةٌ وَلَمْ تَكْ تَعْدُبُ

(١) في الأصل « تغير ذلك اللون » ولا يستقيم به وزن البيت ، وما
أُثبتناه موافق لما في الديوان والخزانة ؛ وعجز هذا البيت من كلام كثير
عزة ، والبيت بتمامه في كلام كثير :

وقد زعمت أني تغيرت بعدها وَمَنْ ذَا الَّذِي يَاعِزُّ لَا يَتَغْيِرُ

(٢) يشير بهذا البيت إلى قول سحيم بن وثيل الرياحي :

أَنَا ابْنُ جَلَا وَظِلَّاعُ النَّيَا مَتَى أَضَعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

وقد تمثل به الحاج في خطبته التي خطبها مقدمه الكوفة واليساً عليها
من قبل عبد الملك بن مروان .

وقوله من قصيدة أخرى نبوية [من الكامل] :

كَمْ رَدًّا مِنْ عَيْنٍ وَجَادَ بِهَاوَكَمْ ضَاءَتْ بِهِ وَسْقَى بِهَا مِنْ صَادِي
ومنه قول الرشيد الفارقي [من مجزوء الرمل] :

إِنَّ فِي عَيْنَيْكَ مَعْنَى حَدَّثِ التَّرْجِسُ عَنْهُ

لَيْتَ لِي مِنْ غُصْنٍ سَهَسًا فِي قَلْبِي مِنْهُ

وقد أخذته الشهاب محمود ولم يحسن الأخذ فقال [من الرمل] :

نَارَعَتْ عَيْنَاهُ قَلْبِي حَبَّةً لَمْ تَكُنْ تَقْبِلُ قَبْلَ الْإِنْقِسَامِ^(١)

يا القومى هلْ عَلِمْتُمْ قَبْلَهَا أَنَّ لِلْأَعْيُنِ فِي الْقُلُوبِ سَبِيحًا

* *

شاهد
الف والفتحة

١٢٤ — كَيْفَ أَسْلُوْا وَأَنْتَ رَحِفٌ وَغُصْنٌ

وَعَزَالٌ خَلَطًا وَقَدًّا وَرِدْقًا

البيت من الخفيف ، وهو منسوب^(٢) لابن حيوس ، ولم أره في ديوانه ،
ولعله ابن حيوس الأشبيلي .

والخفيف — بكسر الحاء — الرمل العظيم المستدير .

والشاهد فيه : الف والنشر ، وهو : ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال ،
ثم ذكر مال الكل واحد من آحاد المتعدد من غير تعيين ، فحة بأن السامع يرد مال الكل
من آحاد المتعدد إلى ما هو له ، ثم الذى على سبيل التفصيل ضربان ، لأن النشر
إما على ترتيب الف ، وإما على غير ترتيبه كما في البيت هنا ، وهو ظاهر .
ومما جاء على الترتيب قول ابن الرومي [من الكامل] :

(١) في الأصل « لم تك تقبل قبل الانقسام » ولا يستقيم به الوزن ، وقد
قطع هزمة الوصل في « الانقسام » للضرورة

(٢) رواه ابن حجة في خزانة الأدب (٨٤) غير منسوب لأحد .

(١٨ — مائة ٢)

من أمثلة
لف والنثر

أَرَأَيْتُمْ وَوُجُوهَكُمْ وَسَيُوفَكُمْ فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَخَلْتُمْ بُحُورَهُمْ
فِيهَا مَعَالِمٌ لِلْهَدَى وَمَصَابِيحٌ تَجَلُّو الدَّجَى وَالْأَخْرِيَّاتُ رَجُومٌ
وقول بعضهم [من البسيط] :

أَلَسْتُ أَنْتَ الَّذِي مِنْ وَرْدٍ نَعْمَتِهِ وَوَرْدٍ رَاحَتِهِ أَجْنَى وَأَعْرِفُ
وَمَا أُبَدِعُ قَوْلَ ابْنِ شَرْفٍ الْقَيَّرَوَانِي [من البسيط] :

جَارُورٌ عَلِيًّا وَلَا تَحْمَلُ بِحَادِثَةٍ إِذَا اذْرَعْتَ فَلَا تَسْأَلُ عَنِ الْأَسْلِ
سَلْ عَنْهُ وَأَنْطِقْ بِهِ وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ تَحْجِدُ يَلْ، الْمَسَامِعُ وَالْأَفْوَاهُ وَالْمَقَلُ
وقد أخذه ناج الدين الذهبي فقال [من الكامل] :

بَدْرٌ مِمَّا لِلْمُجْتَلَى ، نَمَرٌ نَمَّا لِلْمُجْتَنَى ، بَحْرٌ طَمًا لِلْمُجْتَنِدَى
سَلْ عَنْهُ وَادْنُ إِلَيْهِ وَاسْتَمْسِكْ تَحْجِدُ يَلْ، الْمَسَامِعُ وَالنَّوَاطِرُ وَالْبِيدُ
وَمَا أَزْهَرُ قَوْلَ الْبِهَاءِ زَهِيرٌ [من الطويل] :

وَلِي فِيهِ قَلْبٌ بِالْغَرَامِ مَقِيدٌ لَهُ خَبَرٌ يَرُوبُهُ طَرْفٌ مَظْلَمًا
وَمَنْ فَرَطَ وَجَدَى فِي لَمَاءِ وَثْعَرِهِ أَعْلَى قَلْبِي بِالْعُدَيْبِ وَبِالْقَمَّ
وَمَا أَحْلَى قَوْلَ ابْنِ نَبَاتَةِ الْمَصْرَى مَعَ زِيَادَةِ التَّوْرِيَةِ [من الخفيف] :
لَا تَخَفْ عَيْلَةً وَلَا تَخْشَ فَقْرًا يَا كَثِيرَ الْحَاسَنِ الْخِتَالَةِ
لَكَ عَيْنٌ وَقَامَةٌ فِي الْهَرَايَا تِلْكَ غَزَالَةٌ وَذَى عَسَالَةٍ
وقوله أيضًا [من السريع] :

سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْمِهِ فَأَنْذَنِي يَعْجَبُ مِنْ إِسْرَافِ دَمْعِي السَّخِي
وَأَبْصَرَ الْمَسْكَ وَبَدَرَ الدَّجَى فَقَالَ ذَا خَالِي وَهَذَا أَخِي
وبدع قول ابن مكنسة [من الرجز] :

وَالسَّكْرُ فِي وَجْنَتِهِ وَطَرْفِهِ يَفْتَحُ وَرَدًّا وَيَفْضُ نَرْجَسًا

وقد جاء الف والنشر بين ثلاثة ، فأكثر ، فنه قول ابن حيوس
[من الكامل] :

ومقرطٍ يَفْنَى النديمُ بوجهٍ عن كأسه الملائى وعن إريقه
فعلُ المدامِ ولونها ومذاقها من مقلتيه ووجنتيه وريقه
وقول حمدة الأندلسية [من الطويل] :

ولما أبى الراشون إلا فرأقنا وما لهم عندي وعندك من نارِ
وشنوا على أساعنا كل غارة وقَلَّ حَتَّى عند ذاك أنصاري
غزوهم من مقلتيك وأدمعي ومن نَفَسَ بالسيف والسيل والنارِ
وقول ابن نباتة ، وأجاد إلى الغاية [من البسيط] :

عَرَجَ عَلَى حَرَمِ المَحبوبِ مُنتَصِباً لِقَبلةِ الحُسْنِ واعذرنى على السهرِ
وانظر إلى الخال فوق الثغر دُونَ لَمَى تجد بلا لَأَ يُراعى الصبحُ في السحرِ
وبديع قول بعضهم [من المجث] :

رَدَّ وَمَسَكٌ وَدُرٌّ خَدٌّ وَخَالٌ وَثَغْرٌ
لَحْظٌ وَجَفْنٌ وَغَنَجٌ سَيْفٌ وَنَيْلٌ وَسَحْرٌ
غَصْنٌ وَبَدْرٌ وَبَيْلٌ قَدٌّ وَوَجْهٌ وَشَعْرٌ

ومنه بين أربعة ، وأربعة قول الشاعر [من البسيط] :

ثَغْرٌ وَخَدٌّ وَنَهْدٌ وَاحْمَرَّ أُرْدِي كالطلعِ والوردِ والزمانِ والبَلْعِ^(١)

ومثله قول الشاب الظريف محمد بن العفيف [من الطويل] :

رَأَى جَسَدِي وَالذَّمْعَ وَالقَلْبَ وَالْحَشَى فَأَضَى وَأَفَى وَاسْتَالَ وَتَيَّمَا

(١) كتب مصحح نسخة خزانة الأدب (ص ٨٣) على هذا البيت ما نصه :

« قوله : والبَلج ، في نسخ والوهج ، وحرر الروي » هـ .

ولأبي جعفر الأندلسي الغرناطي بين خمسة وخمسة [من الكامل] :
 ملكٌ يُجىءُ بخمسة من خمسة لقي الحسودَ بها فسات لما به
 من وجهه ووقاره وجواده وحسامه بيديه يومَ ضرابه
 قرئ على رضوى تسير به الصبا والبرق يلعب من خلال سحابه
 ولابن جابر الأندلسي بين ستة وستة [من الكامل] :
 إن شئت طيباً أو هالاً أو دجى أوزهر غصن في السكيب الأملد
 فللحظما ولوجهها ولشعرها ولخدها والقدر والردف أقصد
 ولنجم الدين البارزي بين سبعة وسبعة [من الطويل] :
 يقطع بالسكين بطيخة ضحى على طبق في مجلس لأصحابه
 كبدر يبرق قد شمساً أهلة لدى هالة في الأفق بين كواكب^(١)
 وسبقه إلى ذلك ابن قلاؤس ، قال [من المتقارب] :
 أنا أأنا الفلام بطيخة وسكينة أحكموها صفالاً
 قسم بالبرق شمس الضحى وأعطى لكل هلال هلالاً
 ومثله قول محاسن الشواء ، وأجاد [من الخفيف] :
 وغلالم يحز بطيخة في اللون مثلي وفي المذاقة مثله
 لأناس غر على طبق في مجلس مشرق يشابه أهله
 قد بدر شمساً بأفق شبت الليل في هالة يبرق أهله
 وقول الآخر [من الطويل] :

(١) في مطبوعة بولاق : « كبدر يبرق قد شق شمساً أهلة »
 وظاهر أن أحد اللفظين « قد » و « شق » زائد ، وهذا على أن كلا منهما
 فعل من مضارع الثلاثي ، وسببه : أن في أحد أصولها قد ، وفي آخر شق ،
 فجمعوا بينهما خطأ ، فإن كان « قد » حرفاً فهو الزائد بعينه ، ووقع في خزنة
 الأدب (٨٣) كما أثبتناه .

ولما بدا ما بيننا منية النفس يحزُّ بالسكين صفراء كالوَرَمِ
تَوَهَّمْتُ بِدِرَالْتُمْ قَدْ أَهَلَّةَ عَلَى أَنْجَمٍ بِالْبَرْقِ مِنْ كَرَّةِ الشَّمْسِ
وقول الآخر [من الكامل] :

خَلَّتْهُ لَمَّا حَزَزَ الْبَطِيخَ فِي أَطْبَاقِهِ بِصَقِيلَةِ الصَّفَحَاتِ (١)
بَدْرًا يَقْدُ مِنَ الشَّمْسِ أَهَلَّةَ بِالْبَرْقِ بَيْنَ الشُّبَّهِ فِي الْهَالَاتِ
وقول البديع الدهشقي ، في غلام يقطع بطيخا بسكين ، نصاها أسود
[من الكامل] :

انْظُرْ بِمِينِكَ جَوْهَرًا مَتَلَأْنَا سَحْرًا لِفَرْطِ بَيَانِهِ وَجْهَالِهِ
قَرُّ يَقْدُ مِنَ الشَّمْسِ أَهَلَّةَ بِظِلَامِ عِجْرَتِهِ وَفَجْرِ وَصَالِهِ
والسابق إلى فتح هذا الباب العسكري حيث يقول [من الوافر] :

وَجَامِعَةٍ لِأَصْنَافِ الْمَعَانِي صَلَحَنَ لَوْ قَتَلَ إِكْثَارٍ وَقَلَّةُ
فَنَ أَدَمَ وَرِيحَانٍ وَقَتْلٍ فَلَمْ يَرُ مِثْلَهَا سَدًّا خَلَّةُ
فَنَهَا مَا تَشَبَّهُهُ بِدُورًا فَإِنْ قَطَعْتَهَا رَجَعَتْ أَهَلَّةُ

ولابن مقاتل بين ثمانية وثمانية [من الطويل] :

خُدُودٌ وَأَصْدَاغٌ وَقَدْ وَمَقَلَّةٌ وَفُتْرٌ وَأَرِيْقٌ وَلَحْنٌ وَمَعْرَبُ
وُرُودٌ وَسُوسَانٌ وَبَانٌ وَنَرْجِسٌ وَكَأْسٌ وَجِرْيَالٌ وَجَنَكٌ وَمُطْرِبُ

والصفي الحلي [من الطويل] :

وِظْيِي بِقَفْرِ فَوْقَ طَرَفٍ مُفَوَّقُ بَقُوسٍ رَمَى فِي النِّقَمِ وَحْشًا بِأَسْهَمِ
كَبْدِي بِأَقْفَرِ فَوْقَ بَرْقٍ بِكَفْهِ هَلَالٌ رَمَى فِي اللَّيْلِ جَنًّا بِأَنْجَمِ

ولبعضهم بين عشرة وعشرة [من البسيط] :

شَعْرُ جَبِينٍ مَحْيَا مَعْطَفٌ كَقَلِّ صَدِغٌ فَمُ وَجَنَاتٌ نَاطِرٌ تَقَرُّ

(١) الصقيلة : المصقولة ، وأراد بصقيلة الصفحات السكين

لَيْلٌ صَبَاحٌ هَلَالٌ بَانَةٌ وَقَا آسٌ أَقْلَحٌ شَقِيقٌ نَرْجِسٌ دُرٌّ

ولابن جابر بين اثني عشر واثني عشر [من الطويل] :

فُرُوعٌ سَاءٌ قَدْ كَلَامٌ فَمٌ لَمَى حُلَى عُنُقٌ نَفَرٌ شَدَا مَقْلَةٌ خَدٌّ

دُجَى قَمَرٌ غَضَنٌ جَنَى خَاتَمٌ طَلَا نَجُومٌ رَشَادٌ دُرٌّ صَبَا نَرْجِسٌ وَرْدٌ^(١)

وجُلُ القصد هنا : أن يكون الالف والنشر في بيت واحد ، خاليا من الحشو

وعقادة التركيب ، جامعا بين سهولة اللفظ والمعاني المخترعة .

وابن حيوس^(٢) بحاء مَهْمَلَةٌ وياه تحية مشددة مضمومة وواو ساكنة بعدها

ترجمة
حيوس

سين مَهْمَلَةٌ — هو أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس ، الملقب

بمصطفى الدولة ، الشاعر المشهور ، وهو أحد الشعراء الشاميين المحسنين وفحولهم

المجيدين ، وله ديوان شعر كبير ، لقي جماعة من الملوك والأكابر ومدحهم وأخذ

جوائزهم ، وكان منقطعا إلى بني مرداس أصحاب حلب ، وله فيهم القصائد

الفائقة ، وقصته^(٣) مع الأمير جلال الدولة وصمصامها نصر بن محمود بن شبل

الدولة نصر بن صالح بن مرداس مشهورة ، فانه كان قد مدح أباه محمودا ، فأجازه

ألف دينار ، فلما مات وقام مقامه ولده نصر المذكور قصده ابن حيوس المذكور

مقصيدة رائية يمدحه بها ويعزيه عن أبيه ، أولها [من الطويل] :

كَفَى الدِّينَ عِزًّا مَا قَضَاهُ لَكَ الدَّهْرُ . فَمَنْ كَانَ ذَا نَذْرٍ فَقَدْ وَجِبَ النَّذْرُ

(١) روى كثير من هذه الشواهد ابن حجة ، في خزائن الأدب .

(٨١ — ٨٤) .

(٢) لابن حيوس ترجمة في ابن خلكان (٢ — ٣٧٧) هي التي أخذها

المؤلف هنا .

(٣) في الأصول « وقضيته » وما أثبتناه موافق لما في ابن خلكان .

منها :

صبرنا على حكم الزمان الذي سطأ على أنه لو لآك لم يكن الصبرُ
 غزأنا ببؤسى لا يماثلها الأسى تقارنُ نعمى لا يقومُ بها الشكرُ^(١)
 تباعدتُ عنكم حرفةً لازهادةً وسرتُ إليكم حينَ مَسْنَى الضرِّ
 فلا قيتُ ظلَّ الأمنِ ماعنه حاجزُ يصدُّ ، وبابُ العزِّ مادونه سترُ
 وطالَ مقامى فى إيسارِ جميلكم فدامت معاليكم ودام لى الأسرُ
 وأنجز لى ربُّ السمواتِ وعدهُ الكريمِ بأنَّ العسرَ يتبعه اليسرُ
 فجاد أبو نصرٍ بألفٍ تصرمتُ وإنى علمُ أن سيخلفها نصرُ
 لقد كنتُ مأمولاً ترجى لمثلها فكيف وطوعاً أمرك النهى والامرُ^(٢)
 وما بى إلى الإلحاح والحرص حاجةً وقد عرف المبتاعُ وأنفصل السعرُ
 وإنى بأمالى لديكم خجيمُ وكم فى الورى ثاو وآماله سفرُ
 وعهدك ما أبغى بقولى تصنماً بأيسرٍ ماتولىه يستعبدُ الحرُّ^(٣)

فلما فرغ من إنشادها قال الأمير نصر : والله لو قال عوض قوله سيخلفها نصر سيضعفها لأضعفتها له ، وأعطاه ألف دينار فى طبق فضة .

وكان اجتمع على باب الأمير نصر جماعة من الشعراء وامتدحوه ، وتأخرت صلته عنهم ، ونزل بعد ذلك الأمير نصر إلى دار بولص النصرانى ، وكانت له عادة بفتيان منزله ، وعقد مجلس الأُنس عنده ، فأتت الشعراء الذين تأخرت

(١) فى الأصل : « تقارب نعمى » محرفاً عما أثبتناه موافقاً لمساتى ابن خلسكان .

(٢) فى الأصل : « لقد كنت مأموراً ترجى لمثلها » وأثبتنا ما فى ابن خلسكان ، وهو الذى يقتضيه المعنى .

(٣) فى ابن خلسكان « وعندك ما أبغى » ولما هنا وجهه لأبأس به ، وهو أن تنزل الواو فى قوله « وعهدك » على أنها واو القمم .

جوازهم إلى باب بولص، وفيهم ابن الدويدة المعري الشاعر المعروف، فكاتبوا
ثلاثة أبيات اتفقوا على نظمها — وقيل: بل نظمها ابن الدويدة المعري المذكور —
وصيروا الورقة إليه وفيها الأبيات، وهي [من الطويل]:

عَلَى بِابِكَ الْمَخْرُوسِ مِنَّا عِصَابَةٌ وَمَا لَيْسَ فَاظْطَرُّ فِي أُمُورِ الْمَقَالِيسِ
وَقَدْ قَنَعْتُ مِنْكَ الْجَمَاعَةُ كُلُّهَا بَعْثُ الَّذِي أَعْطَيْتَهُ لِابْنِ حَيَّوْسِ
وَمَا يُدِينُنَا هَذَا التَّفَاوُتُ كُلُّهُ وَلَكِنَّ سَعِيدٌ لَا يُقَاسُ بِمَنْحُوسِ

فلما وقف عليها الأمير نصر أطلق لهم مائة دينار، وقال: والله لو قالوا «بمثل
الذي أعطيته لابن حيوس» لأعطيتهم مثله

وكان الأمير نصر سخياً واسع العطاء، تملك حلب بعد وفاة أبيه محمود سنة
سبع وستين وأربع مائة، ولم تطل مدته حتى نار عليه جماعة من جنده فقتلوه ثمان
شوال سنة ثمان وستين وأربع مائة

وكان ابن حيوس المذكور قد أثرى وحصلت له نعمة ضخمة من بني مرداس
فبنى داراً بمدينة [حلب] وكتب على بابها من شعره [من السريع]:

دَارُ بَنَيْنَاهَا وَعِشْنَاهَا فِي نِعْمَةٍ مِنْ آلِ مَرْدَاسِ
قَوْمٌ تَقَوُّوا بُؤْسِي وَلَمْ يَتْرَكُوا عَلَيَّ لِلْأَلَمِ مِنْ بَاسِ
قُلُوبُنَا الدُّنْيَا أَهْكَذَا فَلْيَفْعَلِ النَّاسُ مَعَ النَّاسِ (١)

وقيل: إن الأبيات لابن أبي حصينة (٢) الحلبي، وهو الصحيح
وحكى الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق قال: أنشدنا أبو القاسم علي بن

(١) في ابن خلكان: * فليصنع الناس مع الناس *

(٢) ابن أبي حصينة: هو الأمير الجليل أبو الفتح، الحسن بن عبد الله
ابن عبد الجبار الحلبي، قاله ابن خلكان.

إبراهيم العلوي من حفظه سنة سبع وخمسة ، قال : أخذ الأمير ^(١) أبو الفتيان ابن حيوس يدي وقال : اذرعني هذا البيت ، وهو في شرف الدولة مسلم ابن قريش [من الكامل] :

أَنْتَ الَّذِي نَفَقَ الثَّأْنُ بِسُوقِهِ وَجَرَى النَّدَى بِمِرْوَقِهِ قَبْلَ الدَّمِ
وهذا البيت في غاية المدح
ومن غرر قصائده السائرة قوله :

هُوَ ذَاكَ رُبْعُ الْعَامِرِيَةِ فَارُبْعٍ وَأَسْتَسْقِي لِلدَّمَنِ انْطَوَّأَ إِلَى الْيَحْيَى
وَأَسْأَلُ مَصِيفًا عَافِيًا عَنْ مَرَبٍ ^(٢) غُرَّ السَّحَابِ وَأَعْتَدَرُ عَنْ أَدْمَى
فَلَقَدْ غَدَوْتُ أَمَامَ دَانَ هَاجِرٍ لَوْ تَخْبَرُ الرُّبَّانُ عَنِّي حَدَّثُوا
لَوْ تَنْبُذُوا لَنَا زَمَنَ الْكَثِيبِ فَإِنَّهُ رُدِّي لَنَا زَمَنَ الْكَثِيبِ فَإِنَّهُ
لَوْ كُنْتُ عَالِمَةً بِأَذْنِي لَوَعْنِي لَوْ كُنْتُ عَالِمَةً بِأَذْنِي لَوَعْنِي
بَلْ لَوْ قَنَعْتُ مِنَ الْغَرَامِ بِمُظْهِرٍ بَلْ لَوْ قَنَعْتُ مِنَ الْغَرَامِ بِمُظْهِرٍ
أَعْتَبْتُ إِتْرَ تَعْتَبٍ وَوَصَلْتُ أَعْتَبْتُ إِتْرَ تَعْتَبٍ وَوَصَلْتُ
وَلَوْ أَنِّي أَنْصَفْتُ نَفْسِي صُنْهَافًا وَلَوْ أَنِّي أَنْصَفْتُ نَفْسِي صُنْهَافًا
إِنِّي دَعَوْتُ نَدَى الْغَرَامِ فَلَمْ يُجِبْ إِنِّي دَعَوْتُ نَدَى الْغَرَامِ فَلَمْ يُجِبْ
وَأَمَّا مَرَبٌ عَنْ أَقْصَى نَيْلِكَ الْمُسْتَرْجِعِ
عَنْ مَضْمَرِ بَيْنِ الْحَشَى وَالْإِضْلَعِ عَنْ مَضْمَرِ بَيْنِ الْحَشَى وَالْإِضْلَعِ
غَيْبٌ تَجْنِبُ وَبَدَلْتُ بِمَدٍّ نَمْنَعِ غَيْبٌ تَجْنِبُ وَبَدَلْتُ بِمَدٍّ نَمْنَعِ
عَنْ أَنْ أَكُونَ كَطَالِبٍ لَمْ يَنْجِعِ عَنْ أَنْ أَكُونَ كَطَالِبٍ لَمْ يَنْجِعِ
فَلَا تُشْكِرُنْ نَدَى أَجَابَ وَمَادَعِي ^(٣) فَلَا تُشْكِرُنْ نَدَى أَجَابَ وَمَادَعِي

(١) كان ابن حيوس يدعى بالأمير ، لأن أباه كان من أمراء المغرب ، قاله ابن خلكان

(٢) في ابن خلكان « هو ذاك ربع المالكية » .

(٣) في ابن خلكان « فلقد فنين أمام دان هاجر » وضمير الاناث في قوله « فنين » على هذه الرواية يعود إلى المدامع .

(٤) في ابن خلكان « إني دعوت ندى الكرام » وهذا البيت ليس متصلًا بما قبله فيه .

وَمِنَ الْعَجَائِبِ وَالْعَجَائِبِ جُمَّةٌ شَكَرْتُ بَقِيَّةً عَنْ نَدَى مُتَمَرِّعٍ
وَمِنْ شِعْرِهِ يَمْدَحُ سَابِقَ بْنِ مُحَمَّدٍ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

يُرْدَادُ ابْنَ قِصْرِ الْخَطِّ عَنْ عَرَضٍ طُولاً، وَيَمُضِي إِذَا حَبَّ الْحَسَامُ نَبَاً^(١)
حَلَّ السَّكَاةُ وَمَا حُلَّتْ تَمَارِعُهُ عَنْ جِيدِهِ وَحَبَا الْعَافِينَ مُنْذُ حَبَا
حَوَى مِنَ الْفَضْلِ مَوْلُوداً بِلَا طَلَبٍ أَضَاعَافَ مَا عَجَزَ الطَّلَابُ مُكْتَسِبَا
طَلَقَ الْحَيَا إِذَا مَازَرَتْ مَجْلِسُهُ حَزَّتَ الْغَنَى وَالْعُلَا، الْبَاسُ وَالْأَدْبَا
وَمَحَاسِنُهُ كَثِيرَةٌ

وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخِطَّاءُ الشَّاعِرُ قَدْ وَصَلَ إِلَى حَلَبَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ
وَأَرْبَعِينَ وَبِهَا يَوْمَئِذٍ ابْنُ حَيُّوسَ الْمَذْكُورَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ الْخِطَّاءِ يَقُولُ
[مِنْ الْكَامِلِ] :

لَمْ يَبْقَ عِنْدِي مَا يَبَاعُ بِدَرَاهِمَ وَكَفَاكَ مَنِّي مَنَظَرِي عَنْ تَجَرِّي
إِلَّا بَقِيَّةٌ مَاءٍ وَجِدَ حُسْنُهَا عَنْ أَنْ تَبَاعَ وَأَيْنَ ابْنُ الْمُشْتَرِي
قَالَ : لَوْ قَالَ « وَنَعَمْ أَنْتَ الْمُشْتَرِي » لَكَانَ أَحْسَنَ

وَكَانَ مَوْلِدُ ابْنِ حَيُّوسَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثَةً بِدِمَشْقَ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ثَلَاثٍ
وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِينَ

وَابْنُ حَبُوسَ^(٢) الْأَشْبِيلِيُّ ذَكَرَهُ ابْنُ فَضْلِ اللَّهِ فَقَالَ : لَا يَخْفَ لَهُ ضَرْعُ خَاطِرٍ

(١) الْمُرَادُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَدُوِّ مَسَافَةٌ لَا يَصِلُهَا الرَّمْحُ فَانَّهُ يَخْطُو
إِلَى الْعَدُوِّ لِيُطْعِمَهُ ، وَقَدْ أَخَذَ هَذَا مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ :
* نَصَلَ السِّيُوفُ إِذَا قَصُرْنَ بِمَخْطُونَا *

(٢) قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ فِي نَهَايَةِ تَرْجُمَتِهِ لِابْنِ حَيُّوسَ الدِّمَشْقِيِّ الْحَلْبِيِّ ،
السَّابِقَ ذَكَرَهُ مَافِيهِ : « وَفِي شُعْرَاءِ الْمُقَارِبَةِ ابْنُ حَبُوسَ مِثْلَ الْأَوَّلِ ، لَكِنِ
بِالْبَاءِ الْمَوْحُودَةِ الْخَفِيفَةِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْتُهُ ، لِثَلَاثِ تَصَحُّفٍ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ بَابِ
حَبُوسَ ، وَرَأَيْتُ خَلْقًا كَثِيرًا يَتَوَهَّمُونَ أَنَّ الْمُغَرَّبِيَّ يَقَالُ لَهُ ابْنُ حَبُوسَ أَيْضًا ؛
وَهُوَ غَلَطٌ ، وَالصَّوَابُ مَا ذَكَرْتُهُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ » اهـ .

ولا يجف له ذرّه سحاب ماطر، لو مسّ يريحته الصلابة تنفجر، أو الجهم لا تنفجر،
وحسبك من حرمى غرضه البعيد، ما ذكره له ابن سعيد، وأورد له في المرقص
قوله في أشتر العين لاتفارقة الدمة [من الكامل] :

شيتَ فقلنا زورقٌ في لُجّةٍ مالت بإحدى دفتيه الرّيحُ
فكأتما إنسانها ملاحها قد خاف من غرقٍ فظلل يميح

* * *

١٢٥- إن الثّيابَ والفراغَ والجِدَّةَ مفسدةٌ للزَّوْءِ أى مفسدةٌ شاهد الجمع

البيت لأبي العتاهية، من أرجوزته المزدوجة التي سماها (ذات الأمثال)
يقال : إن له فيها أربعة آلاف مثل، فمنها :

حسبك بما تنبت فيه القوتُ ما أكثرَ القوتَ لمن يموتُ
الفقرُ فيما جاوزَ الكفاةَ من اتقى الله رجاً وخافاً
هى المقاديرُ فلمنى أو فدرى إن كنتُ أخطأتُ فأخطأ القدرُ
لكلّ ما يؤذى وإن قلّ ألم ما أطولَ الليلَ على من لم ينم
ما انتفع المرء بمثل عقله وخيرُ ذخِر المرءُ حُسنُ فعله
إن الفسادَ ضدُّه الصّلاحُ ورُبّ جدٍ جرّه المزاحُ
من جعلَ النّمامَ عبناً هلكاً مُبلِّغُكَ الشرَّ كباغيةٍ لكَا

وبعد البيت ، وبعده :

يُغنيكَ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ تَرْكُهُ يَرَيْنِ الرَّأْيَ الْأَصِيلَ شَكُهُ
ما عَيْشُ مَنْ آفَتْهُ بَقَاؤُهُ نَعَصَ عَيْشاً كُلَّهُ فَنَاؤُهُ
يَارُبِّ مَنْ أَسْخَطْنَا بِجَهْدِهِ قَدْ سَرَّنَا اللَّهُ بِغَيْرِ حَمْدِهِ

ما تطلعُ الشَّمْسُ ولا تغيبُ
 لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرٌ وَجَوْهَرُ
 فَكُلُّ شَيْءٍ لَاحِقٌ بِجَوْهَرِهِ
 مِنْ لِكَ بِالْحَضِي وَكُلُّ مُتَنَزِعٍ
 مَا زَالَتِ الدُّنْيَا لِنَادَارِ أَذَى
 الْخَيْرِ وَالشَّرِّ يَهَا أَرْوَاجُ
 مَنْ لِكَ بِالْحَضِي وَلَيْسَ تَحْضُ
 لِكُلِّ إِنْسَانٍ طَبِيعَتَانِ
 وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَاعَدَا
 إِنَّكَ لَوْ تَسْتَنَشِقُ الشَّحِيحَا
 عَجِبْتُ حَتَّى ضَمَنْتِي السُّكُوتُ
 كَذَاقِضِي اللَّهَ فَكَيْفَ أَصْنَعُ
 إِلَّا لِأَمْرِ شَأْنُهُ عَجِيبُ
 وَأَوْسَطُ وَأَصْغَرُ وَأَكْبَرُ
 أَصْغَرُهُ مُتَّصِلٌ بِأَكْبَرِهِ
 وَسَاوِسُ فِي الصَّدْرِ مِنْكَ تَخْتَلِجُ
 تَمْزُجَةُ الصَّفْوِ بِأَنْوَاعِ الْقَدَى
 لَذَا نَتَاجُ وَلَذَا نِتَاجُ
 يَحْبُثُ بَعْضٌ وَيَطِيبُ بَعْضُ
 خَيْرٌ وَشَرٌّ وَهُمَا ضِدَّانِ
 بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جَدَا
 وَجَدْتُهُ أَتَنَ شَيْءَ رِيحَا
 صِرْتُ كَأَنِّي حَاضِرٌ مَبْهُوتُ
 وَالصَّمْتُ إِنْ ضَاقَ الْكَلَامُ أَوْسَعُ

وهي طويلة جدا ، وهذا الأتمودج كاف منها

والجدة : الاستغناء ، والمفسدة : الخلة الداعية إلى الفساد

والشاهد فيه : الجمع ، وهو الجمع بين متعدد في حكم ، وهو ظاهر في البيت ،

وما أحسن قول الصفي الخلي فيه [من البسيط] :

من أئمة الجمع

أَرَاؤُهُ وَعَظَايَاهُ وَنِعْمَتُهُ وَعَفْوُهُ رَحْمَةً لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ

ومنه قول ابن حجة مع تسمية النوع [من البسيط] :

آدَابُهُ وَعَظَايَاهُ وَرَأْفَتُهُ سَحِيَّةٌ ضَمِنْ جَمْعٍ فِيهِ مُلْتَمِمْ

وقول ابن جابر الأندلسي [من البسيط] :

قَدْ أَحْرَزَ السَّبْقَ وَالْإِحْسَانَ فِي نَسَقِ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ قَبْلَ الدَّرْكِ لِلْحُلْمِ

وأبو العتاهية^(١) هو : إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان،^(٢) مولى عترة^(٣) أبي العتاهية
وكنيته أبو إسحاق ، وأبو العتاهية كنية غلبت عليه لأنه كان يحب الشهرة والمجون
فكنى لعتوه^(٤) بذلك ، وقيل : إن المهدي قال له يوما : أنت إنسان متعته
متحذلق ، فاستوت له من ذلك كنية ، ويقال للرجل المتحذلق عتاهية ، وفيه
يقول أبو قابوس النصراني وقد بلغه أنه فضل عليه العتابي [من الكامل] :

قُلْ لِلْمُسْكَنِ نَفْسُهُ مُتَخِيرًا بِعِتَاهِيَةٍ
وَالْمُرْسَلِ الْكَلِمِ الْقَبِيحِ وَعَنْهُ أَذُنٌ وَأَعْيَةٍ
إِنْ كُنْتَ سِرًّا سَوْتَنِي أَوْ كَانَ ذَاكَ عَلَانِيَةٍ
فَعَلَيْكَ لَعْنَةُ ذِي الْجَلَالِ لَوْ أُمُّ زَيْدٍ زَانِيَةٍ

وأم زيد هي أم أبي العتاهية^(٥) ومنشأه بالكوفة ، وكان في أول أمره يتخنث
ويحمل زاملة الخنثين ، ثم كان يبيع الفخار بالكوفة ، ثم قال الشعر فبرع فيه
وتقدم ، ويقال : أطلع الناس بالشعر بشار والسيد الحميري وأبو العتاهية ، وما قدر

(١) لأبي العتاهية ترجمة في الأغاني (٣ : ١٢٦ — ١٨٣) وهو لم يذكر
فيها أخباره مع عتبة — وهي من أعظم أخباره — لأنها كما قال طويhle وقد
طالت أخباره ، فأحب أن يفرد أخباره معها . وقد ذكر بعض أخباره في
(١٤ : ٥٦ — ٥٩) ولم يذكر أخباره مع عتبة بعد إخباره أنه أودعها ؛
ولأبي العتاهية ترجمة في ابن خلكان (١ : ١٢٥ — ١٣٠) .
(٢) عترة بن أسد بن ربيعة ، قاله ابن خلكان ؛ وضبط عترة بفتح العين
المهملة والنون وبعدها زاي .

(٣) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هذه العبارة ما نصه « لا يخفى أن
العتو غير العتة ، فليس ما قاله صحيحا » اهـ .

(٤) أمه هي : أم زيد بنت زياد المحاربي ، مولى بني زهرة ، قاله
صاحب الأغاني .

أحد قصي جمع شعر هؤلاء الثلاثة بأسره لكثرتهم ، وكان غزير البحر ، كثير المعنى لطيفها ، سهل اللفظ ، كثير الافتنان ، قليل التكلف ، إلا أنه كثير السقط المرفول مع ذلك ، وأكثر شعره في الزهد والآمال ، وكان قوم من أهل عصره ينسبونه إلى القول بمنهج الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث والنشور ، ويحتجون بأن شعره إنما هو في ذكر الموت والفناء دون النشور والمعاد

وحدث الخليل بن أسد التوشجي قال : أتانا أبو العتاهية إلى منزلنا قال : زعم الناس أنني زنديق ، والله ما ديني إلا التوحيد ، فقلنا له : قل شيئاً نتحدث به عنك ، قال [من المتقارب] :

ألا إننا كنا بأند وأنى بنى آدم خالداً
وبنؤهم كن من ربهم وكل إلى ربو عائد
فيا عجبا كيف يعصى الاله أم كيف يصحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد
وكن من أبخل الناس مع يساره وكثرة ما جمعه من الأموال

وحدث محمد بن عيسى الخرقى قال : وقف عليه ذات يوم سائل من الصيارين للظرفاء وجماعة من جيرانه حواليه ، فسأله دونهم ، قال له : صنع الله لك ، فأعد السؤال فرد عليه ، فأعذاك لته ، فغضب ، وقال له : ألسنت الذي يقول [من المديد] :
كل حى عند ميتته حظهُ من ماله الكفن

قال : نعم ، قال : فبالله عليك أتريد أن تصد ممالك كله لمن كفتك ؟ قال : لا ، قال : فبالله كم قدرت لكفتك ؟ قال : خمسة دنانير ، قال : فأعمل على أن ديناراً من الحصة وضيمته فتراطوا دفع إلى قيراط واحد ، وإلا فواحدة أخرى ، قال : وماهى ؟ قال : القميون بخمسة ثلاث دراهم ، فأعطى درهما وأقيم لك كفيلاً بأن أحفر لك به

قبرك متى مت وتريح درهمين لم يكونا في حسابك ، فان لم أفر رددته على ورتك
أو رده كليل عديهم ، فنجعل أموالنا عليه وقال : اغرب لملك الله وغضب عليك
وضحك جميع من حضر ، ومر السائل يضحك ، فالتفت إلينا أبو العتاهية وقد
اغتناظ فقال : من أجل هذا وأمثله حرمت الصدقة ، قلنا له : ومن حرما متى
حرمت ؟ فإرأيت أحدا ادعى أن الصدقة حرمت قبله ولا بعده

وقال : قلت لأبي العتاهية : أنزكي مالك ؟ فقال : والله ما أنفق على عيالي
إلا من زكاة مالي ، قلت له : سبحان الله ! إنما ينبغي لك أن تخرج زكاة مالك
لتقراء والمساكين ، فقال لي : لو أنقطعت عن عيالي زكاة مالي لم يكن في الأرض
أقر منهم

وحدث أيضاً قال : كنت جازراً لأبي العتاهية ، وكان له جارية يلتقط النوى
ضعيف سىء الحال متجمل عليه ثياب ، فكان يمر بأبي العتاهية طرقي الثبار
فيقول أبو العتاهية : اللهم أعنه على ما هو بسبيله ، شيخ ضعيف سىء الحال عليه ثياب
متجمل ، اللهم اصنع له ، اللهم برك فيه ، فبقي على هذا إلى أن ملت الشيخ نحواً
من عشرين سنة ، لا والله إن تصدق عليه بدرهمين ولادائق قط ، وما كان زاده
على الدعاء شيئاً ، قلت له : يا أبا إسحاق ، إني أراك تكثر الدعاء لهذا الشيخ
وتزعم أنه فقير معيل ، فلم لا تتصدق عليه بشيء ؟ فقال : أخشى أن يعتاد
الصدقة وهي آخر مكاسب العبد ، وإن في الدعاء خيراً كثيراً

وقال الجاحظ : حدثني ثمامة بن أشرس قال : دخلت يوماً على أبي العتاهية
فاذا هو يأكل خبزاً بلا شيء ، قلت له كلنسكر : كأنك رأيته يأكل خبزاً وحده ،
قال : لا ولكن رأيته يتأدم بلا شيء ، قلت : وكيف ذلك ؟ قال : رأيته
قدامه خبزاً يابساً من دقاق فطير وقد حافيه حليب ، فكلن يأخذ القطعة من
الخبز فيفهمها في اللبن ويخرجها فلم تنمق منه قليل ولا كثير ، قلت له : كأنك
أشبهت أن تتأدم بلا شيء ، وما رأيته أحداً قبله تأدم بلا شيء .

وقال نمامة أُنشدني أبو العنابية [من الطويل] :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَلْعَنِ مَنْ أَلَمَّ أَنْفُسُهُ تَمَلَّكَهُ الْمَالُ الَّذِي هُوَ مَالِكُهُ
أَلَا إِنَّمَا مَالِي الَّذِي أَنَا مُنْفَعٌ وَلَيْسَ لِي الْمَالُ الَّذِي أَنَا تَارِكُهُ
إِذَا كُنْتُ ذَامَالٌ فَبَادِرْهُ الَّذِي يَحِقُّ وَلَا اسْتَهْلِكْهُ مَالَكُهُ

فقلت له : من أين قضيت بهذا ؟ قال : من قوله صلى الله عليه وسلم « إنما لك من مالك ما أكلت فأنفيت ، أو لبست فأبليت ، أو أعطيت فأمضيت »
قلت : أتؤمن بأن هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه الحق ؟ قال : نعم ، قلت : فلم تجلس عندك سبعا وعشرين بكرة في دارك لا تأكل منها ولا تشرب ، ولا تزكي ، ولا تقدمها ذخرًا لیسوم فقرك وفاقك ؟ قال : يا أبا معن ، والله إن ما قلت لحق ، ولكي أخاف الفقر والحاجة إلى الناس . قلت : وما يزيده حال من افتقر على حاله وأنت دائم الحزن لا تأكل ولا تشرب منها دائم الجمع شحيح على نفسك ، لا تشتري اللحم إلا من عيد إلى عيد ؟ فقرك جواب كلامي كله ، ثم قال لي : والله لقد اشتريت في يوم عاشوراء لحماً وتوابله وما يقبضه بخمسة دراهم ، فلما قال لي هذا القول أضحكني حتى أذهلني عن جوابه ومعاتبته ، وأمسكت عنه وعلمت أنه ليس ممن شرح الله صدره للإسلام .

وقيل له : مالك تبخل بما رزقك الله تعالى ؟ فقال : والله ما تبخل بما رزقني الله قط ، قبل له : فكيف ذاك وفي بيتك من المال مالا يحصى ؟ قال : ليس ذلك رزقي ، ولو كان رزقي لأنتقته .

وحدث أبو العنابية قال : أخرجني المهدي معه إلى الصيد ، فوقعنا منه على شيء كبير ، وتفرق أصحابه في طلبه ، وأخذ هو في طريق آخر غير طريقهم ، فلم يلتفتوا ، وعرض لنا وادجرًا عظيم ، وتقيمت السماء ، وبدأت بمطر ، فتحيرنا ، وأشرفنا على الوادي ، وإذا فيه ملاح يعبر الناس ، فلجأنا إليه وسألناه

عن الطريق ، فجعل يضمف رأينا ويمجزنا في بذل أفضنا في ذلك القيم والمطر
للصيد حتى أبعدنا ، ثم أدخلنا كوخاً له ، وكاد المهدي يموت برداً ، فقال له :
أعطيك بجيتي هذه الصوف ؟ فقال : نعم ، فغطاه بها ، قماش قليلا ونام ، وافتقده
غلمانا ، وتبعوا أثره حتى جاؤونا ، فلما رأى الملاح كثرتهم علم أنه الخليفة فهرب
وتبادر الغلمان ، فَتَحَوْا الخبة عنه ، وألقوا عليه الخنز والوشى ، فلما اتقه قالوا :
ويحك ! ما فعل الملاح ؟ فوالله لقد وجب حقه علينا ، قتلنا : والله هرب خوفاً
مما خاطبنا به . قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله لقد أردت أن أغنيه ،
وبأى شيء خاطبنا ؟ نحن والله مستحقون لأضاعف ما خاطبنا به ، بجياتي عليك
إلا ما هجرتني ، قتلنا : يا أمير المؤمنين ، كيف تطيب فنى بأن أهجوكم ؟ قال :
والله لتفعلن فأننى ضعيف الرأى مغرم بالصيد ، قتلنا [من السريع] :

يَا لَابِسَ الْوَشَى عَلَى ثَوْبِهِ مَا أَقْبَحَ الْأَشْيِبَ بِالرَّاحِ

فقال : زدنى بجياتي عليك ، قتلنا :

لَوْ شِئْتَ أَيْضاً جُلْتَ فِي خَامَةٍ وَفِي وَشَاحِينِ وَأَوْصَاحِ

فقال : ويلك ! هذا معنى سوء يرويه عنك الناس وأنا أستاذل ، زدنى شيئاً

آخر ، قتلنا : أخاف أن تنفض ، فقال : لا والله ، قتلنا :

كَمْ مِنْ عَظِيمِ الْقَدْرِ فِي نَفْسِهِ قَدْ نَامَ فِي جُبٍّ مَلَّاحِ

فقال : معنى سوء عليك لعنة الله ، وقتنا فركبنا وانصرفنا .

وعن الحسن بن عابد قال : كان أبو الصناهية يهيج في كل سنة ؛ فإذا قسم أهدي

للمأمون برداً قطرياً ونعلا سوداء ومساويك أراك ، فيبعث إليه بشرين ألف

درهم ، فأهدي له مرة كما كان يهدي كل سنة إذا قسم ، فلم يبقه ولا بعث إليه

بالوظيفة ، فكتب إليه أبو الصناهية يقول [من الرمل] :

خَبَرُونِي أَنْ مِنْ ضَرْبِ السَّنَةِ جَدّاً بَيْضاً وَصَفْراً حَسَنَ

(١٩ - معامد ٢)

أَحَدِيَّتْ لَكُنِّي لَمْ أَرَهَا مَثَلًا كُنْتُ أَرَى كُلَّ سَنَةٍ
 قَالَ: فَأَمَّا الَّذِينَ يَحْمِلُ الْعَشْرِينَ أَلْفًا إِلَيْهِ، وَقَالَ: أَغْفَلْنَاهُ حَتَّى أَذْكَرْنَاهُ.
 وَحَدَّثَ أَبُو عَكْرَمَةَ قَالَ: كَانَ الرَّشِيدُ إِذَا رَأَى عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَعْنٍ بَنَ زَائِدَةً،
 يَتِمَّلُ يَقُولُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ [مَنْ السَّرِيعُ]:

أَخْتُ بَنَى شَيْبَانَ مَرَّتَ بَنَى مَشْوُطَةٌ كُورًا عَلَى بَغْلٍ
 وَهَذَا الْبَيْتُ مِنْ أَيْيَاتِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ يَهْجُو بِهَا عَبْدَ اللَّهِ الْمَذْكُورَ، وَبَعْدَهُ:
 تَكُنِّي أَبَا الْفَضْلِ وَمَنْ ذَا رَأَى جَارِيَةً تَكُنِّي أَبَا الْفَضْلِ
 قَدْ قَطَطْتُ فِي وَجْهِهَا نَقْطَةً خُفَافَةَ الْعَيْنِ مِنَ الْكُحْلِ
 إِنْ زُرْتُمُوهَا قَالَ حُجَابُهَا نَحْنُ عَنْ الزُّوَارِ فِي شُعْلٍ
 مَوْلَانَا مَشْغُولَةٌ عِنْدَهَا بَعْلٌ وَلَا إِذْنَ عَلَى الْبَعْلِ
 يَا بِنْتَ مَعْنٍ الْخَيْرِ لَا تَجْهَلِي وَأَيْنَ تَقْصِيرُ عَنْ الْجَهْلِ^(١)
 أَتَجْلِدُ النَّاسَ وَأَنْتَ أَمْرُؤُ تُجْلِدُ فِي دُبُرِكَ وَالْقَبْلِ
 مَا يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَنْسُبُوا مَنْ كَانَ ذَا جُودٍ إِلَى الْبَخْلِ
 يَنْزِلُ مَا يَنْتَعُ أَهْلُ النَّدَى هَذَا لِعَمْرِي مُنْتَهَى الْبَذْلِ
 مَا قُلْتُ هَذَا فِيكَ إِلَّا وَقَدْ حَقَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ مِنْ قَبْلِي

قَالَ: فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْنٍ، فَأَتَى بِهِ، فَدَعَا بِبَغْلَانِ لَهُ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ
 يَرْتَكِبُوا مِنْهُ الْفَاحِشَةَ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، ثُمَّ أَجْلَسَهُ، وَقَالَ لَهُ: قَدْ جَرَيْتُكَ عَلَى
 قَوْلِكَ، فَهَلْ لَكَ بَعْدَ هَذَا فِي الصَّلَاحِ وَمَعَهُ مَرْكَبٌ وَعَشْرَةُ آلَافٍ دَرَاهِمٍ أَوْ تَقِيمُ
 عَلَى الْحَرْبِ وَمَا تَرَى؟ قَالَ: بَلِ الصَّلَاحُ، قَالَ: فَأَسْمَعْنِي مَا تَقُولُهُ فِي مَعْنَى الصَّلَاحِ
 فَقَالَ [مَنْ الرِّمْلُ]:

(١) فِي الْأَغَانِي «وَأَيْنَ إِقْصَارُ عَنِ الْجَهْلِ» وَهُوَ أَظْهَرُ

ما لعدلى ومللى أمرؤى بالضلال
عذكوى فى اغتفارى لا بن معن واجتالى
إن يكن ما كان منه قبحجرى وفصالى
أنا منه كنت أسوا عشرة فى كل حال (١)
قل لمن يعجب من حسن رجوعى ومقللى (٢)
رب ود بعد صد وهوى بعد قال
قد رأينا ذا كثيراً جارياً بين الرجال
إنما كانت يمينى لطمت منى شمالى

وكان أبو العتاهية فى حدائنه يروى امرأة من أهل الخيرة تألحه لها حسن
ودمائه، [يقال لها سعدى] (٣) وكان ممن يرواها أيضاً عبد الله بن معن، وكانت
مولاهم، وكانت صاحبة حجاب، وكان أبو العتاهية مولعاً بالنساء، فقال فيها
[من الطويل]:

أفقت أن السحق فى الغرب والشرق أفقت أن النيك أشهى من السحق
أفقت أن الخبز بالأدم يشتهى وليس يسوغ الخبز بالخبز فى الحلق
أرا كن ترقن الخروق بمنلها وأى ليب يزق الخرق بالخرق
وهل يصلح المهراس إلا بعوده إذا احتيج منه ذات يوم إلى الدق
وقال فيها أيضاً [من الخفيف]:
قلت للقلب إذ طوى وصل سعدى لهواؤه البعيدة الأسباب

- (١) فى الأصل «كنت أسوا * عزة» وما أثبتناه موافق لما فى الأغاني
(٢) فى الأصل «ما لمن يعجب» محرفاً عما أثبتناه موافقاً لما فى الأغاني
(٣) وقعت هذه الجملة فى الأصل بعد قوله «وكانت مولاهم»، وأثبتناها
فى مكانها عن الأغاني

أنتَ مثلُ الذي يرقُ من القطرِ حِذَارَ الندى إلى الميزابِ
فضضابِ ابنِ من لسمدى، فضربَ أبا العتاهية مائةً، فقال فيه [من مجزؤه الخفيف]:

جلَدْتُني بكفها بنتُ من بنِ زائمه
جلَدْتُني بكفها بأبي تلكَ جالده^(١)
وتراها مع الخصى على البابِ قاعدهُ
تَكْفَى كفى الرجا ل لعمدِ مُكايدهُ
جلَدْتُني وبالفِتْ مائة غيرِ واحدِه
اجلدينِ اجلدى اجلدى إنما أنتِ واللهُ

وقال في ضربه إياه أيضا [من الخفيف]:

ضربتني بكفها بنتُ من أوجعت كفها وما أوجعتني
ولعمري لولا أنى كفها إذ ضربتني بالسوط ما تركتني
وحديث أحمد بن أبي قن قال: كنا عند ابن الأعرابي فذكر قول يحيى بن
نوفل في عبد الملك بن عمير القاضى، وهو [من الطويل]:
إذا كلمته ذاتُ دَلٍّ لحاجةٍ فهمٌ بأن يقضى تمنح أوسل^(٢)
وأن عبد الملك بن عمير قال: تركتني والله وإن السُّلَّةَ لتمرض لى فى الخلاء
فأذكر قوله [فأهاب أن أسمل] ^(٣) قال: قلت: هذا ابن من بن زائمه يقول له
أبو العتاهية^(٤) [من المزعج]:

- (١) فى الأغاني «جلدتني فأوجعت» ولا يتناسب مع المعنى الذى يريدُه
ولا مع البيتَين الذين بعد هذه الأبيات
(٢) وقع فى الأصول (إذا كلمته ذات دار الحاجة) محرراً عما أئتمناه، وفى
الأغاني • إذا ذات دل كلمته حاجة •
(٣) زيادة يتم بها المعنى، وهى ثابتة فى الأغاني
(٤) البيتان من أبيات يقولها أبو العتاهية فى عبد الله بن من بن زائمه،
وانظرها فى الأغاني (٤ - ٢٤ دار الكتب)

فَضَعُ مَا كُنْتَ حَلَيْتَ بِهِ سَيْفَكَ حَلْخَلَا
 فَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ إِذَا لَمْ تَكُ قَتَالَا
 قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : مَا لَيْسَ السَّيْفُ قَطْ فَلَاحِي إِسْنَانٍ إِلَّا قُلْتُ بِمَحْضِ شَرِّ
 أَبِي الْعَتَاهِيَةِ فِي فَيَنْظُرُ إِلَى بَسْبِهِ ، قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : اعْجَبُوا لِهَذَا الْعَبْدِ يَهْجُو
 مَوْلَاهُ ، وَكَانَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ مِنْ مَوَالِي بَنِي شَيْبَانَ
 وَحَدَّثَ الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : اجْتَمَعَ أَبُو نَوَاسٍ وَأَبُو الشَّعْمَقِيِّ فِي بَيْتِ ابْنِ أُذَيْنَ ،
 وَجَاءَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ - وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي الشَّعْمَقِيِّ شَرٌّ - فَجَاءَهُ مِنْ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ فِي
 بَيْتٍ ، وَدَخَلَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ ، فَظَنَرَ إِلَى غُلَامٍ عِنْدَهُمْ فِيهِ تَأْنِيثٌ ، فَظَنَّهُ جَارِيَةً فَقَالَ
 لِابْنِ أُذَيْنَ : مَتَى اسْتَظَرَفْتَ هَذِهِ الْجَارِيَةَ ؟ قَالَ : قَرِيبَا يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، قُلْ فِيهَا
 مَا حَضَرَ ، فَقَدْ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يَدُهُ إِلَيْهِ وَقَالَ [مِنْ السَّرِيعِ] :

مَدَدْتُ كَفِّيْ نَحْوَكُمْ سَائِلَا مَاذَا تَرُدُّونَ عَلَى السَّائِلِ
 فَلَمْ يَلْبِثْ أَبُو الشَّعْمَقِيِّ حَتَّى تَلَدَّاهُ مِنْ دَاخِلِ الْبَيْتِ هَهُنَا الْبَيْتِ
 تَرُدُّ فِي كَفِّكَ ذَا فَيَنْشَعِرُ يَشْفِي جَوْيَ فِي اسْتِكَ مِنْ دَاخِلِ

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ : [أَبُو] الشَّعْمَقِيُّ وَآلُهُ ، وَقَامَ مَغْضَبَا
 وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ : حَبَسَنِي الرَّشِيدُ ^(١) لَمَّا تَرَكْتُ قَوْلَ الشَّرِّ ، فَأَدْخَلْتُ السَّجْنَ
 وَأَغْلَقَ الْبَابَ عَلَيَّ ، فَدَهَشْتُ كَمَا يَدْهَشُ مِثْلِي لِقَائِكَ الْحَلَالَ ، فَذَا أَنَا بِرَجُلٍ جَالِسٍ فِي
 جَانِبِ الْحَبْسِ مُقِيدٌ ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ سَاعَةً ، ثُمَّ تَمَثَّلَ وَقَالَ [مِنْ الطَّوِيلِ] :
 تَوَدُّتُ مَسَّ الضَّرِّ حَتَّى أَلْفَتُهُ وَأَسْلَمْتُ حَسَنُ الْعَزَاءِ إِلَى الصَّبْرِ
 وَصَبْرِي يَأْسِي مِنَ النَّأْسِ رَاجِيًا لِحَسَنِ صَنِيعِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أَدْرِي ^(٢)
 قُلْتُ لَهُ : أَعَدَّكَ اللَّهُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، فَقَالَ لِي : وَيْلَكَ يَا أَبَا الْعَتَاهِيَةِ !
 مَا أَسْوَأَ أَذْبُكَ وَأَقْلَ عَقْلِكَ ! دَخَلْتُ عَلَى الْحَبْسِ فَأَسْلَمْتُ تَسْلِيمَ السَّلَامِ عَلَى السَّلَامِ ،

(١) فِي ابْنِ خُلِكَانَ « أَمْرُ الْمُهْدِيِّ بِجَبْسِي » وَفِي بَقِيَةِ الْقِصَّةِ ذِكْرُ الرَّشِيدِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ « يَأْسِي مِنَ اللَّهِ » وَهُوَ فَاسِدٌ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي الْأَخَايِ

وَلَا سَأَلْتُ سَأَلَةَ الْحَرِّ لَحَرٍ ، وَلَا تَوَجَّعْتُ تَوَجُّعَ الْمَيْتِ لِلْمَيْتِ ، حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ
يَتَيْنِ مِنَ الشَّعْرِ الْهَيَّ لَا فَضْلَ فِيكَ غَيْرِهِ لَمْ تُصْبِرْ عَنْ اسْتِعَانَتِهِمَا ، وَلَمْ تَقْدَمْ قَبْلَ
مَسْأَلَتِهِمَا عَنَّا لِنَفْكَ فِي طَلِبِهِمَا ، قَهَلْتُ : يَا أَخِي ، إِنِّي دَهَشْتُ لِهَذَا الْحَالِ فَلَا
تَمْنَنِي وَاعْتَرَفِي مُتَفَضِّلًا بِنَفْكَ ، قَهَلْتُ : وَاقِفْ أَنَا أَوَّلِي بِالْهَشِّ وَالْحِمَةِ مِنْكَ ،
لَأَكُنَّ حَيْسَتْ فِي أَنْ تَقُولَ الشَّعْرُ الْهَيَّ بِهِ ارْتَفَعْتُ وَبَلَعْتُ مَا بَلَعْتُ ، فَذَا قُلْتُ
أَمْنَتَهُ ، وَأَنَا مَأْخُذٌ بِأَنْ أَهْلَ عَلَى ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَقْتُلَ أَوْ أَقْتُلَ
دُونَهُ ، وَوَاقِفٌ لَا أَهْلَ عَلَيْهِ أَبَدًا وَالسَّاعَةَ يَدْعِي بِي فَأَقْتُلُ ، فَأَيُّمَا أَحَقَّ بِالْهَشِّ ،
قَهَلْتُ : أَنْتَ وَاقِفٌ أَوَّلِي سَلَمَكَ اللَّهُ وَكَفَاكَ ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ هُنَا حَالُكَ مَا سَأَلْتُكَ ،
قَهَلْتُ : لَا نَبْخُلُ عَلَيْكَ إِذَنْ ، ثُمَّ أَعَادَ الْبَيْتَيْنِ حَتَّى حَفِظْتَهُمَا ، فَسَأَلْتُهُ مِنْ هُوَ (١)
قَالَ : أَنَا حَضَرُ (٢) دَاعِيَةِ عَيْسَى بْنِ زَيْدٍ وَابْنِهِ أَحْمَدَ ، وَلَمْ تَلْبِثْ أَنْ سَمِعْتَ صَوْتَ
الْأَهْزَالِ . فَهَامَ فَكَبَّ عَلَيْهِ مَاءُ كَلَنَ عِنْدَهُ فِي جِرَّةٍ وَلَيْسَ ثَوْبًا نَظْفِيًا وَدَخَلَ
الْحُرْسَ وَالْجُنْدَ مَعَهُمُ الشَّمْعَ . فَأَخْرَجْنَا جَمِيعًا ، وَقَدِمْتُ قَبْلِي إِلَى الرَّشِيدِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ
أَحْمَدَ بْنِ عَيْسَى ، قَهَلْتُ : لَا تَسْأَلْنِي عَنْهُ وَاصْنَعْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ فَلَوْ أَنَّهُ تَحْتَ ثَوْبِي
هَذَا مَا كَشَفْتُ عَنْهُ . فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ فَضَرَبْتُ ، ثُمَّ قَالَ لِي : أَظُنُّكَ ارْتَفَعْتَ
يَا إِسْمَاعِيلُ ؟ قَهَلْتُ : دُونَ مَا رَأَيْتَهُ تَسِيلُ مِنْهُ النَّفُوسُ . قَهَلْتُ : رُدُّوهُ إِلَى عَجَبِهِ .
فَرُدَّدْتُ . وَاتَّحَلَّتِ الْبَيْتَيْنِ وَزِدْتُ فِيهِمَا [مِنَ الطَّوِيلِ]

إِذَا أَنَا لَمْ أَقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ كُلِّ مَا تَكَرَّرَتْ مِنْهُ طَالَعْتُ عَلَى الدَّهْرِ
وَكُلَّنْ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ مُشْتَرًّا بِحَبِّ عُنْبَةٍ جَارِيَةِ الْمَهْدِيِّ ، وَأَكْثَرَ نَسِيهِ فِيهَا
فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ وَكَتَبَ بِهِ إِلَى الْمَهْدِيِّ يَمْرُضُ بِهَا [مِنَ الْبَسِيطِ] :

(١) فِي ابْنِ خُلِكَانَ « مِنْ أَنْتَ » فِي الْأَغَانِي مِثْلَ مَا هُنَا ، وَكَلَامًا صَحِيحًا
(٢) فِي الْأَغَانِي « أَنَا خَاصُ دَاعِيَةِ عَيْسَى بْنِ زَيْدٍ وَابْنِهِ أَحْمَدَ » وَفِي
ابْنِ خُلِكَانَ مِثْلَ مَا هُنَا .

نفسى بشيء من الدنيا مُلَقَّةٌ والله والقائم المهدي يكفيها
إني لأرأس منها ثم يُطْمِئني فيها احتقارك لدنيا وما فيها

فهم المهدي بدفع عتبة إليه ، فخرجت وقالت : يا أمير المؤمنين مع حرمتي
وخدعتي أقدمتني إلى قبيح المنظر بأثني جرّارٍ ومكتسب بالشقي ؟ فأعفاها ،
وكان قد كتب البيتين على حواشي ثوب مطيب ووضعه في برنية ضخمة ، قال
المهدي : ملأوا له البرنية مالا . قال لا كتاب : أمرلى بدنانير ، قالوا : ماندفع
إليك ذلك ، ولكن إن شئت أعطيناك الدراهم إلى أن يفصح بما أراد ، فاختلف
في ذلك حولا ، قالت عتبة : لو كان عشقا كما يزعم له يكن يختلف منذ حول في
التمييز بين الدراهم والدنانير ، وقد أضرب عن ذكرى صفحا

وجلس أبو العتاهية يوما يغزل أبا نواس ويومه على استماع الفناء وبحالته
لاصحابه ، قال أبو نواس [من مجزوء الرمل]

أتراني يا عتاهي تازكا تلك الملاهي

أتراني مفدما بالفسك عند القوم جاهي

فوثب أبو العتاهية وقال : لا بارك الله عليك ! وجعل أبو نواس يضحك

وحدث مخارق قال : جاءني أبو العتاهية يوما فقال لي : قد عزمت على أن
أزود منك يوما تبه لي ، فتي تنشط لذلك ؟ قلت : متى شئت ، قال : إني أخاف
أن تقطع بي ، قلت : لا والله ولو طلبني الخليفة ، فقال : يكون ذلك في غد ،
قلت : فصل ، فما كان من الغد باكرني رسوله ، فحنته فدخلني بيتاه فظليفا فيه
فرش نظيف ، ثم دعا بمائة وعليها خبز صميد وخل وبقل وملح وجدي مشوى ، ثم
قال : فأكلنا منها حتى اكتفينا ، ثم دعا بسمك مشوى فأصبنا منه أيضا ، ثم
دعا بفراخ ودجاج وفراريج مشوية فأكلنا منها حتى اكتفينا ، ثم أتونا بمخلو
أصبنا منها وغسلنا أيدينا ، ثم جاءونا بفككة وزيجان وألوان من الأبنسة قال

لى : اختر ما يصلح لك ، فاخترت وشربت وصب قنحائم قال : غنى لى قولى
[من الخفيف]

أحدُ قال لى ولم يدْرِ ما بى أحبُّ الفتاة عُتْبَةً حَقًّا
ففتنيته ، فشرب أقداحًا ، وهو يبكى أحر بكاء ، ثم قال : غنى فى قولى
[من السريع] :

ليس لمن ليست له حيلةٌ موجودةٌ خيرٌ من الصبرِ
ففتنيته ، وهو ينتحب ويبكى ، ثم قال : غنى ، فديتك فى قولى
[من الطويل] :

خلجى مالى لا تزالُ مضربى تكونُ مع الأقدار حتمًا من الختمِ
ففتنيته إليه ، وما زال يقترح على كل صوت غنى به فى شعره ، ويقول : غنى
به ، فأغنيه ويشرب ويبكى ، ثم صارت العتمة ، فقال لى : أحب أن تصبر
حتى ترى ما أضع ، فجلست ، فأمر ابنه وغلامه ، فكسرا كل ما كان بين أيدينا
من النبيذ وآلات الملاهى ، ثم أمر باخراج كل ما كان فى بيته من النبيذ والآلات
فما زال يكسره ويصب النبيذ ، وهو يبكى ، حتى لم يبق من ذلك شئ ، ثم
نزع ثيابه واغتسل ولبس ثياب بياض من الصوف ، ثم عاتقنى وبكى ، وقال :
عليك السلام يا حبيبي وفرحى من الناس كلهم ، سلام الفراق الذى لا لقاء بعده ،
وجلس يبكى ويقول : هذا آخر عهدك بى فى حال تعاشر أهل الدنيا ، فظننت
أنها بعض حماقاته ، فانصرفت فما لقيته زمانًا ، ثم تشوقته ، فأتيته فاستأذنت
عليه ، فأذن لى فدخلت ، فاذا هو قد أخذ قوسرتين وثقب إحداها وأدخل
رأسه ويديه فيها وأقامها مقام القميص ، وثقب أخرى وأخرج رجله منها وأقامها
مقام السراويل ، فلما رأته نسيت ما كان عندى من الغم عليه والوحشة لعشرته
وضحك والله ضحكًا ما ضحكت مثله قط ، فقال لى : من أى شئ تضحك ؟

لا ضحكت ! قلت : أسخن الله عينيك ! أى شىء هو ؟ من بلغك عنه أنه
 فعل مثل هذا من الأنبياء ، أو الزهاد ، أو الصحابة ، أو التابعين ، أو المجانين ؟
 انزع عنك هذا يا سخين العين ، فكأنه استحياء منى ، ثم بلغنى عنه أنه جلس
 حجاباً ، فجهدت أن أراه بتلك الحالة ، فلم أره ، ثم مرض فبلغنى أنه اشتهى
 أن أغنيه ، فأتيته عائداً ، فخرج إلى رسوله يقول : إن دخلت جددت لى حرماً
 وناقت نفسى إلى ماعك وإلى ما قد غلبتها عليه ، وأنا أستودعك الله وأعتذر
 إليك من ترك الالتقاء ، ثم كان آخر عهدى به .

وقيل لأبى المتاهية عند الموت : ما تشهى ؟ فقال : أشتهى أن يعجى
 مخارق فيضع فيه على أذننى ثم يفتننى [من الطويل] :

ستعرض عن ودى وتفسى مودتى ويحدث بمدى للخليل خليل
 إذا ما قضت عنى من الدهم دتى فان غناء الباكيات قليل
 وحدث محمد بن أبى المتاهية قال : آخر شعر قاله أبى فى مرضه الذى مات
 فيه [من الوافر] :

إلهى لا تمدبني فاني مقرر بالذى قد كان منى
 فالى حيلة إلا رجائي لمفوك إن عفوت وحسن ظنى
 وكم من زلة لي فى الخطايا وأنت على رفو فضل ومن
 إذا فكرت فى تدعى عليها عضضت فأملى وقرعت سنى
 أجن بزهره الدنيا جنونا وأقطع طول عمرى بالتمنى
 ولو أنى صدقت الزهد عنها قلبت لأهلها ظهر المجن
 يظن الناس بى خيراً وإنى لشر الناس إن لم تعف عنى
 ومحاسنه كثيرة .

وكان الأصمى يستحسن قوله [من مجزوء الرمل] :

أَنْتَ مَا اسْتَفْنَيْتَ عَنْ صَا حَبِكَ الدَّهْرَ أَخُوهُ
فَإِذَا احْتَجَّتْ إِلَيْهِ سَاعَةٌ بِحَبِّكَ فُوهُ

وحدث ابن الأنباري أبو بكر ، قال : أُرْسِلَتْ زُبَيْدَةُ أُمُ الْآمِينَ إِلَى أَبِي
الْمَتَاهِيَةِ أَنْ يَقُولَ عَلَى لِسَانِهَا آيَاتًا بَعْدَ قَتْلِ الْآمِينَ يَسْتَعْفُ بِهَا الْمَأْمُونُ . فَأُرْسِلَ
إِلَيْهَا هَذِهِ الْآيَاتُ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

أَلَا إِنْ صَرَفَ الدَّهْرُ يَدَيَّ وَيُنَوِّدُ وَيُنْمِغُ بِالْآلَاءِ ظُورًا وَيَفْقُدُ
أَصَابَتُ بَرِيْبِ الدَّهْرِ مَنِي يَدِي فَسَلْتُ لِلْأَقْدَارِ وَاللَّهِ أَحَدُ
وَقُلْتُ لُرَبِّ الدَّهْرِ : إِنْ هَلَكْتُ يَدُ فَقَدْ بَقِيَتْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لِي يَدُ
إِذَا بَقِيَ الْمَأْمُونُ لِي فَالْشَّيْءُ لِي وَلِي جَعْفَرُ لَمْ يَفْتَقِدْ وَجَدُ
قَالَ : فَلَمَّا قَرَأَهَا الْمَأْمُونُ اسْتَحْسَنَهَا وَسَأَلَ عَنْ قَائِلِهَا ، فَقِيلَ لَهُ : أَبُو الْمَتَاهِيَةِ
فَأَمَرَهُ بِبَشْرَةِ آلَافِ دَرَاهِمَ ، وَعُطِفَ عَلَى زُبَيْدَةَ ، وَزَادَ فِي تَكْرِمَتِهَا ، وَقَضَى
حَوَائِجَهَا جَمِيعًا .

وحدث عمر بن أبي شَيْبَةَ قَالَ : مرَّ عَابِدُ بُرَاهِبٍ فِي صُومَةٍ ، فَقَالَ لَهُ :
عِظْنِي ، قَالَ : أَعْظُكَ وَعَلَيْكُمْ نَزَلَ الْقُرْآنُ ، وَنَبِّئُكُمْ مَعْدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَرِيبَ الْمَهْدِ بِكُمْ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَ : فَاتْلُظْ بَيْتَ مَنْ شَرَّ شَاعِرِكُمْ أَبِي الْمَتَاهِيَةِ
حَيْثُ يَقُولُ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

تَجْرُدُ مِنَ الدُّنْيَا فَأَنْتَ إِنَّمَا وَقَفْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنْتَ مَجْرُدُ
وَمَنْ شَرُّ أَبِي الْمَتَاهِيَةِ قَوْلُهُ [مِنْ الْكَامِلِ] :

بَادِرْ إِلَى اللَّذَاتِ يَوْمًا أَمْكَنْتُ بِمَحْلُولِهَا بَوَادِرِ الْآفَاتِ (١)
كَمْ مِنْ مُؤَخَّرٍ لَذَّةٍ قَدْ أَمْكَنْتُ لَعْدٍ وَلَيْسَ غَدُهُ لُهُ بِمَوَاتٍ
حَتَّى إِذَا فَاتَتْ وَفَاتَ تَلَابِهَا ذَهَبَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ حَسَرَاتٍ

(١) فِي الدِّيْوَانِ (٤٩) « بَادِرْ إِلَى الْغَايَاتِ يَوْمًا أَمْكَنْتُ » وَلَيْسَ بِشَيْءٍ

تَأْتِي الْمَكَارَهُ حِينَ تَأْتِي جَمَلَةٌ وَأَرَى الشَّرَّ وَبِجَى فِي الْفَلَتَاتِ

ومنه قول بعضهم [من الخفيف] :

أَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ أَعْجَبَ أَمْرًا إِنْ تَنَكَّرْتَ مِنْ صُرُوفِ الزَّمَانِ

عَارِضَاتُ الشَّرُّورِ تَوَزَّنْ فِيهِ وَالْبَلَايَا تُكَالُ بِالْقَضَمَانِ

ومن شعره أيضا قوله [من الكامل] :

وَإِذَا انْقَضَى هَمُّ أَمْرِي فَقَدْ انْقَضَى إِنْ الِهْمُومَ أَشَدُّهُنَ الْآحَدُ

وَيُؤَيِّئُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ أَيْضًا ، وَهُوَ عَجِيبٌ فِي مَعْنَاهُ [من الخفيف] :

إِنَّمَا أَنْتَ طَوَّلَ عَمْرُكَ مَا عَمَرْتَ فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا

ومن هذا قول من قال [من الرمل] :

وَكَا تَبَلَّى وَجُوهٌ فِي الثَّرَى فَكُنَّا يَبْلَى عَلَيْهِنَّ الْحَزَنُ

ومن شعره أيضا قوله [من البسيط] :

كَأَنَّ عَائِبَكُمْ يُبْدِي مُحَاسِنَكُمْ مِنْكُمْ فَيَمْدَحُكُمْ عِنْدِي فَيُفْرِقُهُ

إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ حُبِّ يَقْرُبُنِي مِمَّا يِبَاعِدُنِي عَنْهُ وَيَقْصِيْنِي

ومثل الأول قول عروة بن أذينة [من السريع] :

كَأَنَّمَا عَائِبُهَا جَاهِدًا زَيْنَهَا عِنْدِي بِتَزِينِ

وكذا قول أبي نُوَاسٍ [من السريع] :

كَأَنَّهُمْ أَتْنَوْا وَلَمْ يَعْلَمُوا عَلَيْكَ عِنْدِي بِالَّذِي عَابُوا

وقال أبو العنانية لابنته رقية في علته التي مات فيها : قومي يا بنية ، فارني

أَبَاكَ وَانْدِيهِ بِهِذِهِ الْآيَاتِ ، فَقَامَتْ ، فَتَدَبَّتْ بِقَوْلِهِ [من الكامل] :

لَعَبَ الْبَلَاءُ بِعَالِي وَرَسُومِي وَفُيِّرَتْ حَيَاتُنَا حَتَّى رَدِمَ هُمُومِي

لَزِمَ الْبَلَاءُ جَسْمِي فَأَوْهَى قَوَّتِي إِنْ الْبَلَاءُ لَمَوْكَلٌ بِلِزُومِي

وكان مولده سنة ثلاثين ومائة ، ووفاته في يوم الاثنين ، لثمان من جادى
الأولى ، وقيل : ثلاث من جادى الآخرة ، سنة إحدى عشرة ومائتين ، وقيل :
سنة ثلاث عشرة ، ودفن حيل قنطرة الزياتين في الجانب الغربى ببغداد ، وأمر
أن يكتب على قبره [من الخفيف] :

إِنْ عِشًّا يَكُونُ آخِرُهُ الْمَوْتُ لَمَيْشُ مُعْجَلُ التَّنْفِيسِ
وقيل : أوصى أن يكتب عليه [من مجزوء الخفيف] :

أَذْنٌ حَيٍّ تَسْمِيٍّ وَاسْمِيٍّ نَمِيعٍ وَرَعِيٍّ
أَنَا رَهْنٌ بِمَضْجِي فَاحْفَرُوا مِثْلَ مَضْرَعِي
عَشْتُ تَسْعِينَ حِجَّةً اسْلَمْتَنِي لِمَضْجِي
كَمْ رَى الْحَيَّ ثَابِتًا فِي دِيَارِ التَّرْزُوعِ
لَيْسَ زَادُ سِوَى التَّقَى فَخَنَى مِنْهُ أَوْ دَعَى

ولما مات رثله ابنه عبد صالح [من مجزوء الخفيف] :

يَا أَبَى ضَمَكِ التَّرَى وَطَوَى الْمَوْتَ أَتَجَمَعُ
لِيَقَى مَتًى يَوْمَ صَرَ تَ إِلَى حَفْرَةِ مَعَكِ
رَحِمَ اللَّهُ مَصْرَعَكَ بَرَدَ اللَّهُ مَضْجَكَ

ما نوالُ النِّعَمِ وَقَتَ رَبِّيعٍ كُنُوالُ الْأُمُورِ يَوْمَ سَخَاءِ
فَنُوالُ الْأُمُورِ بِدَرَّةٍ عَيْنٍ وَنُوالُ النِّعَمِ قَطْرَةُ مَاءِ

التفريق

البيتان لرشيد الدين الوطواط الشاعر، من الخفيف

والنوال : العطاء، والبصرة : كيس فيه ألف دينار، أو عشرة آلاف درهم،

أو سبعة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دينار، والمعين هنا: المال

والشاهد فيهما : التفریق، وهو: إضاع تباین بین أمرین من نوع فی المدح أو فی غیره، فن ذلك قول بعضهم [من الوافر] :

من أمثلة
التفريق

حسبتُ جمالهُ بديراً متبراً وأين البدر من ذاك الجلال
وقول الآخر [من مغلغ البسيط] :

قاسوك بالنفس في التَّنْزِي قِياسَ جهلٍ بلا اتصاف
هناك غصن الخلاف يُدْعَى وأنت غصن بلا خلاف

وما أحسن قول الموصلي مع تسمية النوع [من البسيط] :

قللوا هو البحر والتفريق بينهما إذ ذاك غمٌّ وهذا فارق الغُصَمِ
وقد تلاعب الشعراء بمعنى البيتين المستشهد بهما ، فقلوا واء المعشوق
[من المنسرح] :

مَنْ قاسَ جَدُّوْكَ بالغامِ فَا أنصف في الحكم بين شكلين
أنت إذا جُدَّتْ ضاحكٌ أبداً وهو إذا جلد بأكى العين
ولبعضهم فيه أيضاً وأجاد جداً [من المجث] :

من قاسَ جَدُّوْكَ يوماً بالسُّحْبِ أخطأ ملحك
السُّحْبُ تعطى وتبكي وأنت تعطى وتضحك

ولأبي الفتح البُسنِي وأجاد [من الكامل] :

يا سيد الأمراء يا مَنْ جُودُهُ أَوْفَى على الفَيْثِ المَطِيرِ إذا هَمَى
الفَيْثُ يعطى بأكى متجهماً ونراك تعطى ناخراً متبهما

ومثله لأبي منصور البوشنجي [من الوافر] :

وذلكَ ضاحكٌ أبداً بجُودٍ وجودك ليس بمطرٍ غيرَ بأكى

وقول الأديب يعقوب النيسابوري ، في الأمير أبي الفضل الميكالي ،

[من الطويل] :

رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ يَضْحَكُ مُمِطِيًا وَيَبْكِي أَخُوهُ الْفَيْثُ عِنْدَ مَطَائِي
وَكَمْ بَيْنَ ضَحْكِهِ يَجُودُ بِمَالِهِ وَأَخَرَهُ بِكَأَمٍ يَجُودُ بِمَائِهِ

ولشرف الدين السنجارى فى معناه [من الكامل] :

مَا قَسْتُ بِالْفَيْثِ الْمَطَايَا مِنْكَ إِذْ يَبْكِي وَتَضْحَكُ أَنْتَ إِذْ تُؤَلِّى التَّدَا
وَإِذَا أَقَاضَ عَلَى الْبَرِيَةِ جُودَهُ مَاءَ تَفْيِضٍ لَنَا يَمِينُكَ عَسَجَمًا
وَمَا أَبْشَعُ قَوْلَ الْبَدِيعِ الْهَمْدَانِ ، مَعَ زِيَادَةِ الْمَعْنَى ، وَالْمُبَالَغَةِ فِي الْغُلُوِّ

[من البسيط] :

يَكَادُ يُحْكِيكَ صُوبُ الْفَيْثِ مَنْسَكِيًا لَوْ كَانَ طَلَّقَ الْحَيَا يَمْطُرُ الذَّهَبَا
وَالدَّهْرُ لَوْ لَمْ يَخْنُ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ وَاللَّيْثُ لَوْ لَمْ يُصَدِّ وَالْبَحْرُ لَوْ عَذَّبَا

وقول ابن بابك يمدح نظام الملك [من الطويل] :

يَقُولُونَ إِنَّ الْمَزْنَ بِحْكَمِكَ صُوبُهُ بِجَاهِلَةٍ هَاقَدَ شَهْتِ وَغَابَا
وَكَمْ عَزْمَةٍ عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِؤْسُهَا فَهَلْ نَابَ فِيهَا عَنْ نَدَاكَ مَنَابَا
هَمَّتْ ذَهَابًا فِيهَا يَدَاكَ عَلَيْهِمْ وَضَنْتَ يَدَاهُ أَنْ تَرُشَّ ذَهَابَا

وقول ابن اللبانة فى المعتمد على الله بن عباد [من الطويل] :

سَأَلْتُ أَخَاهُ الْبَحْرَ عَنْهُ فَقَالَ لِي شَقِيقِي إِلَّا أَنَّهُ الْبَارِدُ الْعَنْبُ
لَنَا دِيمَتَا مَاءٍ وَمَالٍ ، فَدِيمَتِي تَمَاسَكَ أَحْيَانًا وَدِيمَتُهُ سَكَبُ
إِذَا نَشَأَتْ بَرِّيَّةٌ فَلَهُ النَّدَى وَإِنْ نَشَأَتْ بِحَرِيَّةٍ فَلِى السَّحْبُ

وينظر إل معاني ما مر ولم يكن بعيدا منها قول بعضهم [من الخفيف] :

يَا عَيُونََ السَّمَاءِ دَمْعُكَ يَفْنَى عَنْ قَرِيبٍ وَمَا لِدَمْعِي فَنَاءُ
أَنَا أَبْكِي طَوْعًا وَتَبْكِينَ كَرْهًا وَدَمْعِي دِيمًا وَدَمْعُكَ مَاءُ

ولم أنف على ترجمة الوطواط ^(١) الشاعر ، لكن رأيت ابن فضل الله ذكره في المسالك في معرض تراجم فأثبت ما رأيته ، قال في ترجمة الشمس بن دانيال إنه كان بينه وبين الوطواط ما يكون بين الأدباء ، و يدب بين الأجباء ، فعرضت للوطواط رمة تكدر بها صفيحه ، وتسكني له فيها صريحه ، فقبل له : لو طلبت ابن دانيال ، فقال : ذاك لا يسمح بذرة ، يعنى من كحله . فبلغ ابن دانيال فقال في ذلك [من الطويل] :

ولم أقطع الوطواط بخلاً بكحله ولا أنا من يعميه يوماً تردد
ولكنه ينبو عن الشمس طرفه فكيف به لى قدرة وهو أرمد
وقال في ترجمة شافعن على بن عباس الكاتب ، ومن قوله في الوطواط الشاعر [من الخفيف] :

كم على درم يلوح حراماً يالئيم الطباع سرّاً تواجلى
دائماً في الظلام تمشى مع الناس ، وهذى عوائد الوطواط
وقوله فيه [من السريع] :

قالوا نرى الوطواط في شدة من تعب الكد ومن ويل
فقلت هذا دأبه دائماً يسعى من الليل إلى الليل

ثم إنى رأيت المرحوم الجلال السيوطى ذكره في طبقات النحاة ، فقال :
محمد بن محمد بن عبد الجليل بن عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن
محمد بن يحيى بن مردويه بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاطب رضى الله عنه .

(١) اقرأ خبراً عن الرشيد الوطواط في معجم الأدباء لياقوت (١ - ١٠٣)
مصر (وقرأه ترجمة في المعجم أيضاً (١٩ : ٣٦ - ٢٩)) وعنها نقل السيوطى
ما ذكره المؤلف عنه فيما بهد

المعروف بالرشيد الوطواط^(١) قال ياقوت : كان من نوادر الزمان ومجانبه ، وأفراد
الهمر وغرائبه ، أفضل أهل زمانه في النظم والنثر ، وأعلم الناس بدقائق كلام
العرب ، وأسرار النحو والأدب ، طار في الآفاق صيته ، وسار في الإقاليم ذكره ،
وكان ينشئ في حالة واحدة بيتا بالعربية من بحر وبيتا بالفارسية من آخر ،
ومعلمها معا ، وله من التصانيف « حدائق السحر ، في دقائق الشعر » أسفاره رسالة
بالعربي ورسالة بالفارسي ، وغير ذلك ، مولده ببلخ ، ومات بخوارزم سنة ثلاث
وسبعين وخمسمائة

فتبين بهذا أن الذي ذكرناه أولا ليس هو
ومن رسائله ما كتبه إلى العلامة جارا لله الزمخشري ، ليستأذنه في حضور
مجلسه والاستفادات من سؤالاته [من الطويل] :

لقد حاز جارا لله دام جماله فضائل فيها لا يشق غباره
تجدد رسم الفضل بمداندراسه بأيام جارا لله قاله جاره^(٢)
أنا منذ لفظنتي الأقدار من أوطائي ، ومعاهد أهل وجيرائي ، إلى هنه
الخطة التي هي اليوم بمكان جارا لله ، أدام الله جماله جنة للكرام ، وجنة من
نكبات الأيام ، كانت قصوى منيقي ، وقصارى بفيقي ، أن أكون أحد
الملازمين لسدته الشريفة التي هي بحجم السيادة^(٣) ومقبّل أفواه السادة ، فمن
ألقى بها عصاه ، حاز في الدارين مناه ، ونال في المحلين مبتغاه ، ولكن سوء
التقصير ، أو موانع التقدير ، حرمني^(٤) مدة تلك الخدمة ، وحرم تلك النعمة ،
والآن أعلن وطن المؤمن لا يخطئه أن أقل جدّي هم بالاشراق ، وذابل إيراق

(١) في معجم الأدباء « رشيد الدين المعروف بالوطواط »

(٢) في المعجم « بأكثر جارا لله »

(٣) في المعجم « بحجم السيادة » وكلاهما صحيح له وجه .

(٤) هذه الكلمة لا توجد في المعجم .

تحرك للإبراق^(١) ، فقد أجد في نفس نوراً مجدداً يهديني إلى جنّته ، ومن شوقٍ داعياً موقفاً يدعوني إلى عتبته ، ويقرع سمى كل ساعة لسان الدولة^(٢) أن اخلع نعلك ، وأطرح بالواد المقدس رحلك ، ولا تحفل بقصد قاصد^(٣) ، وحسد حاسد ، فان حضرة جبار الله أوسع من أن تضيق على راغب في فوائده ، وأكرم من أن تستقل^(٤) وطأة طالب لموائده ، ومع هذا أرجو إشارة تصدر عن مجلسه المحروس ، إما بخضعة الشريف ، فان في ذلك شرفاً لي يدوم مدى الدهر والأيام ، وفخراً يبقى على مر الشهور والأعوام ، وإما على لسان من يُوثق بصدق مقالته ، ويعتمد على تبليغ رسالته ، من المنخرطين في سلك خدمته ، والراغبين في رياض نعمته ، ورأيت في ذلك أعلى وأصوب .

وكتب إليه يهنئه بالعيد : الأعياد - عرف الله سيدنا جبار الله بركة قدومه وورودها ، وجل له الحظ الأكل والنقسط الأجزل من ميامنها وسعودها ١ - فرائد فلائد الأيام ، وغرر جبهات الأعوام ، لكنّها راحلة لا تقوم ، وزائلة لا تدوم ، ولقاء جبار الله - أدام الله مجده لنا ممشر خدمه ، والمرتمضين دَرّ فضله وكرمه - عيد لا زال العيد له كتصحيفه^(٥) باقية محاسنه ، دائمة ميامنه ، يهدي كل ساعة إلى أبصارنا نوراً ، وإلى أرواحنا راحة وسرواً ، فكيف نهيه عيداً هذه حاله ، بعيد لا يؤمن زواله [من الطويل] :

(١) الذي في المعجم « وذابل إقبال أقبل على الإبراق »

(٢) في المعجم « لسان الهيبة »

(٣) في المعجم « ولا تحفل بمحمد حافد »

(٤) في الأصول « وأكرم من أن تستقل من وطأة » وما أثبتناه

موافق لما في معجم ياقوت

(٥) يريد لا زال العيد له عبداً .

أَتَى الْعِيدُ جَارَ اللَّهِ وَهُوَ مُجَدِّدٌ بِخِدْمَتِهِ عَهْدَ الْمُهَيَّمِينَ تَجْدِيدًا
فَلَسْتُ بِعِيدٍ لَا يَدُومُ مَهْنَشًا لَصَدْرِ حَيَاهُ يَدُومُ لَنَا عِيدًا

اهد التنصيص

١٢٧ - وَلَا يَقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يَرَادُ بِهِ

إِلَّا الْأَذْلَافَ عَيْرُ الْحَى وَالْوَرْدُ
هَذَا عَلَى الْخُصْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ وَذَا يُشْجُّ فَلَا يَرْتَفِعُ لَهُ أَحَدُ
الْبَيْتَانِ مِنَ الْبَسِيطِ ، وَقَاتِلَهُمَا الْمُتَلَسُّ مِنْ آيَاتِ (١) ، وَهِيَ :

إِنَّ الْمَوَانَ حَارُ الْأَهْلِ يَعْرِفُهُ وَالْحَرِيْنُ كَرُهُ وَالرَّسَلَةُ الْأَجْدُ (٢)
كُونُوا كَسَامَةً إِذْ ضُنْكَ مَنَازِلُهُ إِذْ قِيلَ جَيْشٌ وَجَيْشٌ حَافِظٌ عِنْدُ (٣)
شَدَّ الْمَطِيَّةِ بِالْأَنْسَاعِ فَأَنْحَرَفَتْ عَرْضَ التَّنُوفَةِ حَتَّى نَسَهَا النَّجْدُ (٤)
كُونُوا كَبْكِرَ كَمَا قَدْ كَانَ أَوْلَكُم وَلَا تَكُونُوا كَهَمْدِ الْقَيْسِ إِذْ قَعَدُوا
يُعْطُونَ مَا سَأَلُوا وَالْبَحْرُ مُحْتَدُهُمْ كَمَا أَكْبَّ عَلَى ذِي بَطْنِهِ الْفَهْدُ (٥)

- (١) اقْرَأْ هَذِهِ الْآيَاتِ مَعَ آيَاتٍ أُخْرَى فِي شُعْرَاءِ النَّصْرَانَةِ (٣٤٣) .
(٢) فِي شُعْرَاءِ النَّصْرَانِيَّةِ « حَارُ الْقَوْمِ يَعْرِفُهُ » وَمَعْنَى يَعْرِفُهُ : يَصْبِرُ لَهُ
وَيَقْبَلُهُ . وَالرَّسَلَةُ : النَّافَةُ السَّهْلَةَ السَّيْرِ ، وَالْأَجْدُ : الْمُؤَثَّقَةُ الْخَلْقِ مِنَ التَّوَقُّ .
(٣) فِي الْمَرْجِعِ الْمَذْكُورِ « إِذْ ضُنْكَ مَنَازِلُهُ » وَفِيهِ « وَجَيْشٌ
حَافِظٌ رَصْدٌ » .

- (٤) الْإِنْسَاعُ : جَمْعُ نَسْعٍ ، وَهُوَ مَا يَشْدُ بِهِ رَحْلُ الْبَعِيرِ ، وَانْحَرَفَتْ :
أَمْرَعَتْ فِي سَيْرِهَا . وَالتَّنُوفَةُ : الْغَلَاةُ ، وَالنَّجْدُ : الْعَرَقُ وَالْكَرْبُ .
(٥) فِي الْمَرْجِعِ الْمَذْكُورِ « وَانْخَطَ مَنْزِلُهُمْ » مَكَانُ « وَالْبَحْرُ مُحْتَدُهُمْ »
وَانْخَطَ : مَرَقًا تَنْسَبُ إِلَيْهِ الرَّمَاحُ فَيَقَالُ لَهَا : الْخَطِيَّةُ ، وَهُوَ مِنْ مَنَازِلِ
عَبْدِ الْقَيْسِ .

وبمده البينان ، وبعدهما قوله :

وفي البلاد إذا ما خِثَّ ثائرة مشهورة عن ولاة سوء تنقذ^(١)

والضيم : الظلم ، والمير ، بفتح المهملة : الحمار ، وغلب على الوحش ،
والمناسب هنا : الأهل ، والخسف : النقيصة ، والاذلال : تحميل الانسان
ما يكره ، وحبس الدابة بلا علف ، والزمة — بضم الراء ، وتكسر — قطعة
من جبل ، والشج : الكسر والدق ، والاستثناء في « إلا الاذلان » استثناء مفرغ
وقد أسند إليه فعل الاقامة في الظاهر ، وإن كان مسندا في الحقيقة إلى
العام المحذوف .

والشاهد فيهما : التقسيم ، وهو : ذكر متعدد ، ثم إضافة ما لكلٍ إليه على
التعين ، فانه ذكر المير والوتد ، ثم أضاف إلى الأول الربط مع الخسف ،
وإلى الثاني الشج ، على التعيين

ومما ورد في التقسيم قول زهير بن أبي سلمى السابق في شواهد الایجاز
والاطناب [من الطويل] :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله^١ ولكنني عن علم ما في غدٍ عَمِي
وقد نقل أبو نؤاس هذا التقسيم من الجدل إلى الهزل فقال [من المنسرح] :
أمرُ غدٍ أنتَ منه في لبسٍ وأمس قد فاتَ قاله عن أمسٍ
وإنما الشأنُ شأنُ يومكَ ذَا فباكرِ الشمسِ بابنةِ الشمسِ
وقد نقله بعضهم أيضا ، فقال [من الطويل] :

تمتع من الدنيا بساعتك التي ظفرت بها مالم تمكَّ الموائقُ

(١) في المرجع المذكور :

وفي البلاد إذا ما خفت نائرة مشهورة عن ولاة سوء مبتعد

فلا يومكَ الماضي عليكَ بَعائِدٍ ولا يومكَ الآتي به أنتَ واثقُ

ومن التقسيم قول بشار بن برد [من الطويل] :

وراحوا فریقَ فی الأسارِ، ومثلُهُ قَتيلٌ، ومثلٌ لاذ بالبحر هارِبُهُ

ومثله قول الصفي الحلبي [من البسيط] :

أفنى جيوشِ المداغِزِ وأفلست تری سوى قَتيلٍ ومأسورٍ ومنهزمٍ

وهو مأخوذ من قول عمر بن الأيهم [من الخفيف] :

اشربا ما شربنا فهدِلْ من قَتيلٍ أو هاربٍ أو أسيرٍ

ومنه ، وزعم قومٌ أنه أفضل بيت وقع فيه تقسيم ، قول نصيب

[من الطويل] :

قالَ فریقُ القومِ : لا ، وفریقُ نعم ، وفریقُ أئمنُ الله ما ندری

وزعم أبو العیناء أن خير تقسيم قول عمر بن أبي ربيعة [من الطويل] :

نسيمٌ إلى نعم فلا الشملُ جامعٌ ولا الحبلُ موصولٌ ، ولا القلبُ مُقصرٌ

ولا قربٌ نعم إن دنت لك نافعٌ ولا نأیها یُسلي ولا أنت تصبرٌ

واختار آخرون قول الحاركي ، وقالوا : إنه أفضل [من الطويل] :

فلا كمدی یقی ولا لك رقةٌ ولا عنك إقصارٌ ولا فيك مطعمٌ

و بدیع قول الأمير السلياني [من الطويل] :

وصلتَ فلما أن مَلَكْتَ حشاشتي هجرت فجد وأرحم فقد مسنى الضرُّ

فليت الذي قد كان لي منك لم يكن ولبتك لا وصلٌ لديك ولا هجرٌ

فلا عبرتي ترقوا ولا فيك رقةٌ ولا منك إلسام ولا عنك لي صبرٌ

وقد ألم بنحو هذا التقسيم الشهابُ محمود حيث قال [من المقارب] :

وإني لفي نظري نحوها وقد ودَّ عنتي قَبيلَ الفراقِ

ولا صبرَ لي فأطبقَ الهوى ولا طمعَ إن نأت في اللحاقِ

ولا أملُ يرتجى في الرجوع ولا حكم في ردّ تلك النياقِ

كمضنى يودّع رُوحاً غدت يراها على رغبة في السّياقِ

ومن مליح التفسير قول داود بن مسلم [من السريع] :

في باعه طولٌ ، وفي وجهه نورٌ ، وفي العرينين منه شتمٌ

وكان محمد بن موسى المنجم يحب التقسيم في الشعر وكان معجبا بقول العباس

ابن الأحنف [من الطويل] :

وصالكم صرمٌ ، وحكم قلاءٌ وعطفكم صدٌ ، وسلمكم حربٌ

ويقول : أحسن والله فيما قسم حيث جعل حيال كل شيء ضده ، والله إن

هذا التقسيم لأحسن من تقسيمات إقليدس .

ومن جيد التقسيم قول أبي تمام [من الطويل] :

فما هو إلا الوحى أوحى مرهف تملّ ظبّاهُ الحدّ عن كل مائل

فما هو دواء الداء من كل عالم وهذا دواء الداء من كل جاهل

وذكر الجاحظ أن قتيبة بن مسلم لما قدم خراسان خطب الناس ، فقال :

من كان في يده من مال عبد الله بن حازم شيء فلينبذه ، وإن كان في فيه فليلفظه ،

وإن كان في صدره فلينفثه ، قال : فعجب الناس من حسن ما فصلّ وقسم .

ووقف أعرابي على حلقة الحسن ، فقال : رحم الله من تصدق من سعة ، أو

واسى من كفاف ، أو أثمر من قوت .

ولقد أجاد ابن حيّوس في التقسيم بقوله [من الطويل] :

ثمانية لم تفرّق منذ جمعها فلا افتقرت ماذبٌ عن ناظرٍ شفرٌ

ضميرك والتقوى ، وكفك والندى ، وإنظك والمعنى ، وسيفك والنصر

وما أحسن قول أبي ربيعة المخزومي ^(١) [من الطويل] :

وهبها كشيء لم يكن أو ككنازح عني الدار أو من غيّبتهُ المقابر

وعجيبٌ هنا قول أبي تمام في مجوسٍ أحرق في النار [من الكامل] :

صَلَّى لها حَيًّا ، وكان وقودَها مَيْتًا ، ويدخلها مع الفجَارِ

وما أعذب قول الشيخ شرف الدين بن الفارض [من الطويل] :

يقولون لي صَغْبًا فَأَنْتَ بَوْصَهَا خَيْرٌ ، أَجَلٌ عِنْدِي بِأَوْصافِها عِلْمٌ

صَفَاهُ وَلَا مَاهُ وَلُطْفٌ وَلَا هَوَى وَنُورٌ وَلَا نَارُ ، وَرُوحٌ وَلَا جِسْمٌ

وقول محمد بن دراج القسطلي وأجاد [من الطويل] :

عَطَاءٌ بِلَا مَنَ ، وَحُكْمٌ بِلَا هَوَى وَمَلِكٌ بِلَا كِبَرٍ ، وَعِزٌّ بِلَا عَجَبٍ

وقول الآخر أيضًا [من الطويل] :

بَنَى جَفَرٌ أَنْتُمْ سَمَا ، رِيَاةٌ ' مَنَاقِبِكُمْ فِي أَنْفِها أَنْجَمٌ زَهَرُ

طَرِيقَتِكُمْ مِثْلِي ، وَهَدْيِكُمْ رِضَى وَمَذْهَبِكُمْ قَصْدٌ ، وَنَائِلِكُمْ غَرُ

عَطَاءٌ وَلَا مَنٌ ، وَحُكْمٌ وَلَا هَوَى ، وَحِلْمٌ وَلَا عِجْزٌ ، وَعِزٌّ وَلَا كِبَرٌ

و بديعٌ قول بعضهم أيضًا [من البسيط] :

قَوْسٌ وَلَا وَتَرٌ ، سَهْمٌ وَلَا قَوْدٌ عَيْنٌ وَلَا نَظَرٌ ، نَحْلٌ وَلَا عَسَلٌ

وقول بعضهم أيضًا [من الطويل] :

تَسْرِبُ ' وَشِيَا مَن خَزُونُورُ تَطَارَزَتْ ' مَطَارِفُها طَرَزًا مَن الْبَرْقُ كَالْبَرْقِ

فَوْشَى ' بِلَا رَقْمٍ ، وَرَقْمٌ بِلَا يَدٍ ، وَدَمْعٌ بِلَا عَيْنٍ ، وَضَحْكٌ بِلَا ثَنَرٍ

وقول الرستمي [من الطويل] :

فَنِي حَازِرُقُ الْمَجْدِ مَن كُلِّ جَانِبٍ إِلَيْهِ وَخَلَّى كَاهِلَ الشُّكْرِ ذَا ثَقَلِي

يَعْنُو بِلَا كَدٍّ ، وَصَفْوٌ بِلَا قَدْتِي وَتَقْدَرُ بِلَا وَعْدٍ ، وَوَعْدٌ بِلَا مَقْلِي

وما شرف قول ابن شرف [من الطويل] :

لِخَلْقِ الْحَاجَاتِ جَمْعٌ بَيَّاهُ فَهَذَا لَهُ فَنٌ وَهَذَا لَهُ فَنٌ

فَلِلْخَالِ الْعُلِيَاءِ ، وَلِلْمَعْدِمِ الْغَنَى وَلِلْمَذْنَبِ الْعَنِي ، وَلِلْخَائِفِ الْأَمْنُ

وقول بعضهم أيضاً [من الكامل] :

نرجو سؤلوا في رسوم بينها الأغصانُ سكرى والحامُ مُتيم
هذي تميلُ إذا تَنَسَّمتِ الصبا والورقُ تذكُرُ شجرةَ هافتهمُ

ولابن جابر الأندلسي [من المتقارب] :

لقد عطفتني على حبها بوجهٍ تبدى على عطفه
فهذا هو البدرُ في أفقه وهذا هو العنقُ في حنقه

ولأبي الحسين الجزار [من الوافر] :

وزبرٌ ما تقلدَ قطُ وزراً ولا دانهُ في مثوى أنامُ
وجلُّ فماله صاداتُ برِّ صلاتٍ أو صلاةٍ أو صيامُ

ولشيخ شيوخ حماة [من المتقارب] :

لنا ملكٌ واجدٌ ما أشتى ولكنه لم يجدْ مثله
ملاذى به ومثولى لديه ومبلى إليه ومدحى له

ومثله قول بعضهم مجوناً [من الخفيف] :

وبديعُ الجمالِ مُتَنَدِلُ القَا مة كالنصن حنٌ قلبي إليه
أشهى أن يكونَ عندى وفى يَستى وبمضى فيه وكلُّى عليه

ومن المضحك فيه قول السراج الوراق [من مجزوء الوافر] :

رأتُ حالى وقدْ حَالَتْ وقدْ غال الصبا فَوْتُ
فَقَالَتْ إِذْ تَسَاجَرْنَا ولمْ يُجَفِّضْ لنا صَوْتُ
أشيعُ مفلِسٌ يهوى وَيَشْقُ فَاثَكَ الْفَوْتُ
فلا خيرٌ ولا ميرٌ ولا إيرٌ فذا مَوْتُ

ولطيف قول بعضهم [من الطويل] :

وفي أربع مَنَى حَلَّتْ مِنْكَ أَرْبَعٌ فَمَا مِنْهُ أَدْرَى أَيُّهَا هَاجَ لِي كَرْبِي
أَوْ جَهْلِكَ فِي عَيْنِي أَمْ الرِّيقُ فِي فَمِي أَمْ التَّنَطُّقُ فِي مَعْنَى أَمْ الْحُبُّ فِي قَلْبِي
وقد سمع يعقوب بن إسحاق السكندی هذا فقال : هو تقسيم فلسفي
وقد أخذَه الحاماني الملوِي فجعله خمسة فقال [من الطويل] :

وفي خمسة مَنَى حَلَّتْ مِنْكَ خَمْسَةٌ فَرَيْقَكَ مِنْهَا فِي طَيْبِ الرَّشَفِ
وَوَجْهَكَ فِي عَيْنِي وَلِسْكَ فِي يَدِي وَنُطْقَكَ فِي مَعْنَى وَعَرَفَكَ فِي أَنْفِي

والتلس^(١) اسمه جرير بن عبد المسيح الضبعي^(٢) ، وهو أحد الثلاثة
المقلين الذين اتفق العلماء بالشعر على أنه أشعرهم ، وهم التلس ، والمسيب بن علس
وحصين بن الحزام ، ولقب بالتلس لقوله [من الطويل] :

وذاك أَوَانُ الْبَرِضِ طَنْ ذِبَابُهُ زَنَابِيرُهُ وَالْأَزْرَقُ التَّلْسُ^(٣)

وكان هو وطرفة بن العبد يتنادمان مع عمرو بن هند ملك الحيرة وكان
سوء الخلق شديده ، وكان قد حرق من تميم مائة رجل فجهزه وكان مما هجاه به
التلس قوله [من الكامل] :

إِنْ الْخِيَانَةَ وَالْمَقَالَةَ وَالْخُلَا وَالْقَدْرَ نَرُكُهُ بِيَلْدَةٍ مُقْسِدٍ^(٤)

(١) نجد للتلس ترجمة في الشعر والشعراء لابن قتيبة (٨٥-٨٨) وفي
الأنغلي (٢١ : ١٢٠-١٣٧) وفي شعراء النصرانية (٣٣٠)

(٢) في الأصول « الضبعي » وهو تحريف ما أثبتناه ، وهو أحد
بنى ضبيعة بن ربيعة بن نزار

(٣) العرض : الوادي . وروى « جن ذبابه » وروى « حن ذبابه » وغنى
بالأزرق التلس الذباب الأخضر ، وأصله من قولهم : تلس فلان الحاجة ، إذا
طلبها سرا ، وكانه يبحث عنها بيده فيمنسها

(٤) في الأصول « إن الخيانة والمقالة » وهو تحريف ما أثبتناه ، والمقالة -
بالعين المعجمة - الغيلة ، وهي القتل خفية

«لَكَ يَلَاغِبُ أُمُهُ وَقَطِينَهَا رِخْوُ الْفَافِلِ بَطْنُهُ كَلَرُودٍ
فَإِذَا حَلَّتْ فَدُونَ بَيْتِي غَاوَةٌ فَابْرِقْ بَارِضِكَ مَا بَدَاكَ وَارْهَدْ (١)»

وهجاه طرفة بما تقدم في ترجمته في شاهد التكيل ، فاستحيا أن يقتلها
بحضرتها وبينه وبينهما إبدال النادرة ، فكتب لهما صيفتين وختمها لثلا
يدلما ما فيها ، وهو أول من ختم الكتاب ، وقال لهما : انهما إلى علي بالبحرين
فقد أمرته أن يصلكما بالجواز ، فذهبا فمرا في طريقهما بشيخ يُحَدِّثُ وَيَأْكُلُ
من خبز بيده ويتناول القمل من ثيابه فيقصه ، فقال المنلس : ما رأيت شيئا
كاليوم أحق من هذا ، فقال الشيخ : ما رأيت من حقي ، أخرج الماء ، وأدخل
الدواء ، وأقبل الأعداء ، وروى : أطرح خبيثاء وأدخل طيبا ، وأقتل عدوا ،
أحبق والله مني من يحمل حنقه بيده ، فاستراب المنلس بقوله ، فطلع عليهما
غلام من أهل الحيرة من كتاب العرب ، فقال له المنلس : أقرأ يا غلام ؟ قال :
نعم ، ففك حينئذ الصحيفة فإذا فيها : إذا أتاك المنلس فاقطع يديه ورجليه وادفنه
حيا « فقال لطرفة : ادفع إليه صيفتك فإن فيها مثل هنا ، فقال طرفة : كلام
يكن لي جتري ، علي ، وكان غرا صغير السن ، فنف المنلس بصيفته في نهر
الحيرة وقال [من الطويل] :

قَدَفْتُ بِهَا بِالْنِي مِنْ جَنْبِ كَافِرٍ كَذَلِكَ أَقْبَى كُلِّ قَطِرٍ مُضَلِّلٍ (٢)

(١) وقع في شعراء النصرانية (فدون بيتي غاوة) بالواو ، وفسرهما بأنها
قرة قرب حلب .

(٢) النتي : منعطف النهر ، وكافر : اسم لنهر الحيرة ، وأقْبَى - بضم همزة
المضارعة - بمعنى أحفظ ، والقط - بكسر القاف - الكتاب ، وكأنه يقول :
لا أحفظ الكتاب الذي يضلني إلا بقذفه في النهر ، وروى « أنفو » بفتح
همزة المضارعة ، وروى « كذلك ألقى »

رضيتُ بها لما رأيتُ مدادها يحولُ به التيارُ في كلِّ جدولٍ

وأخذ نحو الشام وقال: (١) [من السكامل]:

ألقى الصحيفة كي يخففَ رحلُهُ والزَّادَ حتى نعلُهُ ألقاها
يريد أنه تخفف للفرار وألقى ما يثقل وما لا بد للسفر منه .

وأما طريقة فانه وصل إلى البحرين وقتل كما مر في ترجمته ، وهلك المتلصص
في الجاهلية ، وقال ابن فضل الله في حقه : هو رجل نبيه الذكر ، معروف بصحة
العكر ، وهو الذي يضرب المثل بصحيفته ، ومن شعره [من الطويل] :

ألم ترَ أن المرءَ رَهْنُ مَنِيَةٍ صَرِيحاً لَعَالِي الطَّيْرِ أَوْ سَوْفَ يَرْمَسُ
فلا تقبلنَّ ضِيقاً حِذَارَ مَنِيَةٍ وَمُوتَنَ بِهَا خُرّاً وَجِلْدُكَ أَمْلَسُ (٢)
فمن حذر الأوتار ما حَزَّ أَنْفُهُ قَصِيرٌ وَخَاضَ الْمَوْتَ بِالسَّيْفِ بِيَهْسُ
وما الناس إلا ما رأوا وتحدثوا وما العجز إلا أن يضاموا فيجلسوا
فان ثَقِيلُوا بالود ثَقِيلُ بَمَثَلِهِ وَإِلَّا فانا نحن أبى وأشمسُ
ومن شعره أيضاً [من الطويل] :

تعيّرني أمي رجال ولا أرى أخا كَرَمٍ إِلَّا بَأَن يَتَكَرَّمُ (٣)

(١) المعروف عند النحاة أن هذا البيت من كلام أبي مروان النحوي
يقوله في قصة المتلصص .

(٢) بروي « مخافة ميتة » في مكان « حذار منية » ووقع في الأصول
« وموتن بها واحيا » وهو تحريف رواية أخرى وصوا بها « واحين » أمر من
الحياة مؤكّد بالنون الخفيفة فيأؤه مفتوحة .

(٣) في الأصول « تعيّرني أمي رجالا » وهو تحريف مفسد للمعنى ، فان
مقصوده أن يقول : يعيّرني بأبي رجال .

أَحَارِثُ إِنَّا لَوُتَّاسُطٌ دَمَاؤُنَا تَزِيلُنَ حَتَّى لَا يَمْسُ دَمٌ دَمَا^(١)
 لَذَى الْحَلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِهَا تَنْقَرُ الْعَصَا وَمَا عَلَّمُ الْإِنْسَانُ إِلَّا لَيْعَلًا
 وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهِ بَكَفٍّ لَهُ أُخْرَى فَأَصْبَحَ أَحَدَمَا
 يَدَاهُ أَصَابَتْ هَذِهِ حَتْفَ هَذِهِ فَلَمْ تَجِدِ الْآخِرَى عَلَيْهَا مَقْدَمَا
 فَاطَرُ قِطْرِ إِطْرَاقِ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغًا لِنَابِيهِ الشُّجَاعُ لَصَمَمَا^(٢)
 إِذَا مَا أَدِيمُ الْقَوْمِ أَنْهَجَهُ الْبِلْمَى تَفْرَى وَإِنْ كَتَبْتَهُ وَتَخْرَمَا
 وَمَا يَتِمُّ لِي بِهِ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ [مِنْ الْوَاوِرِ] :

وَأَعْلَمُ عِلْمٍ غَيْرِ ظَنٍّ لَتَقْوَى اللَّهُ مِنْ خَيْرِ الْعَتَادِ
 وَحِفْظُ الْمَالِ خَيْرٌ مِنْ ضَيَاعِ وَضَرْبُ الْبِلَادِ بِغَيْرِ زَادِ
 وَإِصْلَاحُ الْقَلِيلِ يَزِيدُ فِيهِ وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ^(٣)
 وَهَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ مَطْلَعُهَا :

صَبَّامٌ بَعْدَ سُلُوكِهِ فَوَادِي وَأُمْتَحَجٌ لِلْقَرِينَةِ بِالْقِيَادِ
 وَقَدْ ضَمَّنَهُ بَعْضُهُمْ فِي الْمَجَاءِ فَقَالَ [مِنْ الْوَاوِرِ] :
 يُحَصِّنُ زَادَهُ عَنْ كُلِّ ضِرْسٍ وَيُعْمَلُ ضِرْسُهُ فِي كُلِّ زَادِ
 وَلَا يَرَوِي مِنَ الْأَشْعَارِ شَيْثًا سِوَى بَيْتٍ لَا بَرَاهَةَ إِلَّا بِإِدَى
 قَلِيلُ الْمَالِ تَصْلَحُهُ فَيَبْقَى وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ

- (١) فِي الْأَصُولِ «لَوْ تَسَاطَطَ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ مَا أَتْبَعْنَاهُ ، وَتَسَاطَ - بِالسَّيْنِ
 مَهْمَلَةً - أَيْ تَخَلَّطَ ، وَيَقَعُ فِي بَعْضِ الْأَمْهَاتِ «تَشَاطَ» بِالشَّيْنِ مَعْجَمَةً - وَمَعْنَاهُ
 تَهَدَّرَ ، وَتَزِيلُنَ : أَيْ تَمِيزُنَ وَانْفَصَلَ دَمِي عَنْ دَمِكَ لِأَنَّ دَمَ الْمُلُوكِ لَا يَخْتَلِطُ بِدَمِ
 السُّوقَةِ ، وَيُرْوَى «تَزَالِنَ» وَهِيَ بِمَعْنَى تَزِيلُنَ
 (٢) يُرْوَى النِّجَاحَةُ هَذَا الْبَيْتُ «وَلَوْ يَرَى مَسَاغًا لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمَمَا» .
 (٣) يُرْوَى صَدْرُ هَذَا الْبَيْتِ «قَلِيلُ الْمَالِ تَصْلَحُهُ فَيَبْقَى» كَمَا سَيَقُولُ
 الْمُؤَلِّفُ بَعْدَ .

وشطر هذا البيت رواية في شطر البيت السابق ، وأخذه ابن وكيع فقال
[من مجزؤه الكامل] .

مَالٌ يُخْلَعُهُ الْفَقِي لِلشَّامِتِينَ مِنَ الْعِدَا
خَيْرٌ لَهُ مِنْ قَضَاهُ إِخْوَانُهُ مُسْتَرْفِدَا

ويقول : إن حاتم الطائي لما سمع قول المنلس هذا قال : ماله قطع الله لسانه
يحمل الناس على البخل والتباخل ، ألا كان يقول [من الأول] :

وَمَا الْبَذْلُ يُفْنِي الْمَالَ قَبْلَ فَنَائِهِ وَلَا الْبُخْلُ فِي مَالِ الشَّحِيحِ يَزِيدُ
فَلَا تَلْتَمِسْ فَقْرًا يَعْيشُ فَانَهُ لِكُلِّ غَدَرٍ رِزْقٌ يُعَوِّدُ جَدِيدُ
أَلَمْ تَدْرُ أَنَّ الْمَالَ غَايِرٌ وَرَاحٌ وَأَنَّ الْأَذَى يُعْطِيكَ لَيْسَ يَبِيدُ
انتهى .

وقد قال البلغاء في معنى الأول : إن في إصلاح مالك جمال وجهك ، وبقاء
عزك ، ونقاء غرضك ، وسلامة دينك ، وطيب عيشك ، وبناء مجدك ، فأصلحه
إن أردت هذا كله ، وفي المثل « احفظ مافي الوعاء ، بشد الوكاه » يضرب في الحث
على أخذ الأمر بالحزم ، وقيل : من أصلح ماله فقد صان الأكرمين الدين والعرض
وقيل : التدبير يشر التيسير ، والتدبير يبرد الكثير ، ولا جود مع تبذير ، ولا بخل
مع اقتصاد ، والاعتدال في الجود ، أحسن من الاعتداء على الموجود ، والرزق
مقسم محدود ، فرزوق ومحدود^(١) والله أعلم بالوجود

قدم - نحمد الله تعالى وعونه - الجزء الثاني من « معاهد التنصيص » وبليه
- إن شاء الله تعالى - الجزء الثالث ، مفتحا بشواهد الجمع مع التفريق ، نسأله
- سبحانه - الاعانة على إكماله ، والتوفيق إلى إتمامه .

(١) محدود الأول من الحد بمعنى تحديد الشيء . بنهاية يقف عندها
لا يتجاوزها ، ومحدود الثاني بمعنى الذي لاحظ له ولا يبحث .

ثانيا - في الجزء الثاني

موضوعات شواهد الفن الثاني	٥٣	شاهد إمكان وجود المشبه
(علم البيان)	٥٦	شاهد ندرة حصول المشبه به في
٤ شاهد التشبيه الخيالي	٥٧	الذهن عند حضور المشبه
٧ شاهد التشبيه الوهمي	٥٩	شاهد التشبيه المقلوب
١٠ شاهد التشبيه التخيلي		شاهد ترك التشبيه والعدول إلى
١٧ شاهد المركب الحسي في التشبيه الذي		الحكم بالتشابه احترازا من ترجيح
طرفاه مفردان		أحد المتساويين
٢٨ شاهد المركب الحسي في التشبيه الذي	٧٨	شاهد تشبيه المركب بالمفرد
طرفاه مركبان	٨٠	شاهد التشبيه الملقوف
٣٢ شاهد المركب الحسي في الهياآت التي	٨١	شاهد التشبيه المفروق
تقع عليها الحركات	٨٨	شاهد تشبيه التسوية
٣٤ شاهد مجرد الحركة عن غيرها من	٩٠	شاهد التشبيه المجمل
الأوصاف	٩١	شاهد التشبيه المفضل
٢٨ شاهد التركيب في هيئة السكون	٩٢	شاهد تفصيل التشبيه بأخذ بعض
٥١ شاهد المركب العقلي المترع من متعدد		الأوصاف وترك بعضها الآخر

فهرست الموضوعات البلاغية

الموضوع	ص	الموضوع	ص
شاهد جواز البناء على القرع ، وهو المشبه به	١٦١	شاهد التصرف في التشبيه المبثذل بما يجعله غريباً	٩٣
شاهد الاستعارة بالكناية	١٦٣	شاهد التشبيه المشروط	٩٤
من شواهد الاستعارة بالكناية أيضاً	١٧١	شاهد التشبيه المؤكد	٩٥
شاهد الكناية التي يراد بها موصوف	١٧٢	موضوعات شواهد الاستعارة	
شاهد الكناية التي يراد بها نسبة	١٧٣	شاهد الاستعارة التحقيقية	١١٢
موضوعات شواهد الفن الثالث وهو		شاهد ادعاء أن المشبه من جنس المشبه به	١١٣
علم البديع		شاهد انبناء شيء على ادعاء أن المشبه من جنس المشبه به	١٢٩
شاهد طباق التدييع	١٧٨	شاهد القرينة اللفظية للاستعارة	١٣١
شاهد إيهام التضاد	١٨٤	شاهد مجيء القرينة لمعاني ملتزمة	١٣١
شاهد مراعاة النظر	٢٢٧	مربوط بعضها ببعض	
شاهد الإرساد (أو التسميم)	٢٣٦	شاهد الاستعارة الغريبة	١٣٢
شاهد المشاكلة	٢٥٢	شاهد التصرف في الاستعارة العامة	١٣٤
شاهد المزاجية	٢٥٥	حتى تصير غريبة	
شاهد الرجوع	٢٥٧	شاهد على أن مدار قرينة الاستعارة	١٤٧
شاهد الاستخدام	٢٦٠	التعبية على المفعول به	
من شواهد الاستخدام أيضاً	٢٦٩	شاهد الاستعارة المجردة	١٤٩
شاهد اللف والنشر على غير ترتيب	٢٧٣	شاهد اجتماع التجريد والترشيح	١٥١
اللف		شاهد على أن معنى الترشيح على تناسي التشبيه	١٥٢
شاهد الجمع	٢٨٣		
شاهد التفريق	٣٠٠		
شاهد التقسيم	٣٠٦		